



جامعة سنان



جامعة تشرين

٢ دراسات في اللغة العربية وآدابها

■ نقد حكم ابن هشام على أبي حيان في ضوء دراسة لآرائه البلاغية

الدكتور محمد نبي احمدى و الدكتور علي سليمى

■ الظواهر الصوتية عند سيبويه

الدكتور إبراهيم محمد الب

■ أنواع البديع في العصر المملوكي

الدكتور علي حيدر

■ آلية مقاربة الخطاب الشعري الحديث في ضوء منهج سيميانى

الدكتور محمد خاقاني والدكتور رضا عامر

■ نفسية المتنبي وسعدى وأثرها في حكمتهما الشعرية

الدكتور صادق عسكري

■ جمالية توظيف المصطلحات الصرفية وال نحوية والعروضية في نزوميات المعرّي

الدكتور سيد مهدي مسيبوق والدكتور علي باقر طاهري نيا ومهدى ترکاشوند

■ ظاهرة التناوب اللغوي بين المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية والمصدر

الدكتور مازك يحيى

■ لم ولما الجازمان ودلائلهما في القرآن الكريم

الدكتور يوسف علي يونس

مجلة فصلية محكمة تصدر عن جامعة:

٢٠١٠ - سوريا / تشرين

١٣٨٩ - إيران

السنة الأولى، صيف، العدد ٤

مجلة دراسات في اللغة العربية و أدابها

فصلية علمية محكمة

صاحب الإمتياز: جامعة سمنان

المدير المسؤول: الدكتور صادق عسكري

رئيس التحرير: الدكتور محمود خورسندی والدكتور عبدالكريم يعقوب

المدير الداخلي: الدكتور إحسان إسماعيلي طاهري

المستشار العلمي: الدكتور آذر تاش آذرنوش

المصحح: الدكتور شاكر العامري

هيئة التحرير (حسب الحروف الأجدبية):

أستاذ جامعة طهران
أستاذ مشارك بجامعة تشرين
أستاذ مشارك بجامعة تشرين
أستاذ جامعة تشرين
أستاذ مساعد بجامعة تشرين
أستاذ مشارك بجامعة سمنان
أستاذ مشارك بجامعة تشرين
أستاذ جامعية تربیت معلم
أستاذ مساعد بجامعة سمنان
أستاذ مساعد بجامعة طباطبائی
أستاذ مشارك بجامعة همدان
أستاذ جامعة علامہ طباطبائی
أستاذ جامعة تشرين

الدكتور آذر تاش آذرنوش
الدكتور إبراهيم محمد البب
الدكتور لطفية إبراهيم برهم
الدكتور محمد إسماعيل يصل
الدكتورة رنا جوني
الدكتور محمود خورسندی
الدكتور رفی محمود سلیطین
الدكتور حامد صدقی
الدكتور صادق عسکری
الدكتور علي گنجيان
الدكتور فرامرز میرزایی
الدكتور نادر نظام طهرانی
الدكتور عبدالکریم یعقوب

الخبير التنفيذي: محمد مهدي قدس

المنفذ والمخرج الفنی: مهرداد آزاد

الطباعة والتجلید: جامعة سمنان

العنوان: إيران، مدينة سمنان، جامعة سمنان، كلية العلوم الإنسانية، مكتب مجلة دراسات في اللغة العربية و أدابها

البريد الإلكتروني: Lasem@Semnan.ac.ir

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

دراسات

في اللغة العربية وأدابها

مجلة علمية محكمة، تُصدرها جامعتا
سمنان وتشرين، في إيران وسوريا

السنة الأولى، صيف، العدد ٢

١٣٨٩ هـ / ٢٠١٠ م

شروط النشر في مجلة دراسات في اللغة العربية وأدابها

مجلة دراسات في اللغة العربية وأدابها مجلة فصلية محكمة تتضمن الأبحاث المتعلقة بالدراسات اللغوية والأدبية التي تبرز التفاعل القائم بين اللغتين العربية والفارسية، وتسلّط الأضواء على المثقفة التي تمت بين الحضارتين العريقتين.

تشرّف المجلة الأبحاث المبتكرة في المجالات المذكورة أعلاه باللغة العربية مع ملخصات باللغات العربية والفارسية والإنجليزية على أن تتحقّق الشروط الآتية:

- ١- يجب أن يكون الموضوع المقترن للبحث جديداً ولم ينشر من قبل، ويجب أن لا يكون مقدماً للنشر لأية مجلة أو مؤتمر في الوقت نفسه.
- ٢- يربّ النص على النحو الآتي:

(أ) صفحة العنوان: (عنوان البحث، اسم الباحث ومرتبته العلمية وعنوانه البريد الإلكتروني).

(ب) الملخصات الثلاثة (العربية والفارسية والإنجليزية في ثلاثة صفحات مستقلة حوالي ١٥٠ كلمة) مع الكلمات المفتاحية في نهاية كل ملخص.

(ت) نص المقالة (المقدمة وعناصرها، المباحث الفرعية ومناقشتها، الخاتمة والنتائج).

(ث) قائمة المصادر والمراجع (العربية والفارسية والإنجليزية)، وفقاً للترتيب الهجائي لشهرة المؤلفين.

٣- تدوّن قائمة المراجع بالترتيب الهجائي لشهرة المؤلفين متّوّعة بفاصلة يليها بقية الاسم متّوّعاً بفاصلة، عنوان الكتاب بالحرف المائل متّوّعاً بفاصلة، رقم الطبعة متّوّعاً بفاصلة، مكان النشر متّوّعاً ببنقطتين، اسم الناشر متّوّعاً بفاصلة، تاريخ النشر متّوّعاً بنقطة.

وإذا كان المرجع مقالة في مجلة علمية فيبدأ التدوين بالشهرة متّوّعة بفاصلة ثم عنوان المقالة متّوّعاً بفاصلة ضمن علامات التصنيف، عنوان المجلة بالحرف المائل متّوّعاً بفاصلة، رقم العدد متّوّعاً بفاصلة، تاريخ النشر متّوّعاً بفاصلة ثم رقم الصفحة الأولى والأخيرة متّوّعاً بنقطة.

٤— تستخدم الهوامش السفلية ويتم اتباع الترتيب الآتي إذا كان المرجع كتاباً: اسم الكاتب بالترتيب العادي تتبعه فاصلة، عنوان الكتاب بالحرف المائل تتبعه فاصلة، رقم الصفحة متبوعاً بنقطة.

وإذا كان المرجع مقالة فيتبع الترتيب الآتي في الحاشية السفلية: اسم الكاتب بالترتيب العادي متبوعاً بفاصلة، عنوان المقالة متبوعاً بفاصلة ضمن علامات التصنيف، عنوان المجلة بالحرف المائل، رقم الصفحة متبوعاً بنقطة.

٥— تخضع البحث لتحكيم سري من قبل حكمين لتحديد صلاحيتها للنشر. ولا تُعاد الأبحاث إلى أصحابها سواء قبلت للنشر أم لم تُقبل.

٦— يذكر المعادل الإنكليزي للمصطلحات العلمية عند ورودها لأول مرة فقط.

٧— يجب ترقيم الأشكال والصور حسب ورودها ضمن البحث بين قوسين صغيرين، وتوضع دلالتهما تحت الشكل. كما ترقم الجداول بالأسلوب نفسه، وتوضع الدالة فوقها.

٨— ترسل إلى المجلة ثلاثة نسخ من البحث، مطبوعة بواسطة الكمبيوتر على ورق قياس A4 على وجه واحد مع CD، (الخط Simplified Arabic ١٤، الهوامش ٣ سم من كل طرف). وتدرج الأشكال والجداول والصور في موقعها ضمن النص.

٩— يجب أن لا يزيد عدد صفحات البحث على عشرين صفحة بما فيها الأشكال والصور والجداول والمراجع.

١٠— في حال قبول البحث للنشر في مجلة دراسات في اللغة العربية وأدابها يجب عدم نشره في أي مكان آخر.

١١— يحصل صاحب البحث على ثلاثة نسخ من عدد المجلة الذي ينشر فيه بحثه.

١٢— الأبحاث المنشورة في المجلة تعتبر عن آراء الكتاب أنفسهم، ولا تعتبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير.

١٣— ترسل البحث والمراجعات إلى رئيس تحرير المجلة على عنوان التالي:
في إيران: سمنان، جامعة سمنان، كلية العلوم الإنسانية، الدكتور محمود خورسandi.

Mahmoodkhorsandi7@gmail.com — ٠٢٣١٣٣٥٤١٣٩

في سوريا: اللاذقية، جامعة تشرين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدكتور عبد الكريم يعقوب،

٠٩٦٣٤١٤١٥٢٢١ ..



أ. علاء الدين شوقي

كلمة العدد

اللغة العربية لغة حية متكاملة تدين إليها الثقافة الإسلامية وحضارتها مدى الأعصار والقرون الماضية في تبيين القيم الإنسانية. وقد كان القرآن الكريم آخر معجزة سماوية، أعظم ما أهداه العربية إلى البشرية.

إن البحث في تاريخ الأدبين العربي والفارسي ونصولهما النثرية والشعرية ودراسة ما فيهما من العلوم والفنون القديمة والحديثة تكسبنا المهارات الضرورية لتنمية مستوى التعامل بين الشعوب الإسلامية.

هذا وبناء على الرغبة المتبادلة بين جامعة سمنان وجامعة تشرين في توسيع العلاقات الثقافية والعلمية، تم الاتفاق بين الجامعتين لنشر مجلة علمية مشتركة بعنوان: دراسات في اللغة العربية وأدابها تهدف إلى نشر الأبحاث والدراسات الأدبية واللغوية التي تبرز التفاعل القائم بين اللغتين العربية والفارسية عبر العصور وتسلط الأضواء على المثقفة التي تمت بين الحضارتين العريقتين.

تنشر المجلة الأبحاث النقدية المتعلقة باللغة العربية وأدابها صرفاً ونحواً وبلاهة، إلى جانب الدراسات المقارنة بين العربية والفارسية. ويتم النشر طبعاً بعد تحكيم علمي دقيق حسب المعايير العلمية والمواصفات الفنية.

وتجدر الإشارة أخيراً إلى أن القائمين على المجلة في إيران وسوريا يطمحون في رفع مستوى المقالات علمياً ومنهجياً. فالمطلوب من المؤلفين والمنقحين والحكام التركيز على الموضوعات الجديدة والاهتمام بالمعايير العلمية والمنهجية في أبحاثهم.

فهرس المقالات

- نقد حكم ابن هشام على أبي حيان في ضوء آرائه البلاغية ١
الدكتور محمد نبي أهmedi والدكتور علي سليمي
- الظواهر الصوتية عند سيوبيه ١٩
الدكتور محمد إبراهيم البب
- أنواع البديع في المصر المملوكي ٤٩
الدكتور علي حيدر
- "النهج السيميائي": آلية مقاربة الخطاب الشعري الحديث وإشكالياته ٦٣
الدكتور محمد خاقاني والدكتور رضا عامر
- نفسية المتنبي وسعدى وأثرها في حكمتهما الشعرية ٨٥
الدكتور صادق عسكري
- حملة توظيف المصطلحات الصرفية والنحوية والعروضية في لزوميات المعرى ١٠٥
الدكتور فرامرز ميرزابي
- ظاهرة التناوب اللغوي بين المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية والمصدر ١٢٣
الدكتور مالك يحيى
- لم ولما الجازمتان دلالتهما في القرآن الكريم ١٤٣
الدكتور يونس على يونس

نقد لحكم ابن هشام على أبي حيان في ضوء آرائه البلاغية

محمد نبى احمدى* على سليمى**

الملخص

نحا ابن هشام الأنباري في كتابه مغني اللبيب منحى لا مثيل له في ما كتب قبله، كدراسته ونقده لآراء النحاة من جميع المذاهب النحوية، ولم يقف عند المسائل النحوية فحسب، بل تناول كثيراً من المسائل البلاغية أيضاً. فقد تعرض لكثير من النحويين والبلاغيين والمفسرين بؤيدهم أو يخالفهم في آرائهم، ولكنَّه يخالف آراء أبي حيان النحوية والبلاغية مخالفة شديدة وغير متعارفة، فيحكم عليه حكماً قاسياً، يتهمه بأنه لا يعرف علم البيان، فيقول في شأنه: "وَمَنْ لَا يَعْرِفُ هَذَا الْعِلْمَ كَأَبِي حَيَّانَ".

يبدو أنَّ ما جاء في تفسير أبي حيان "البحر المحيط" من آرائه البلاغية الهامة مثل: "الاستعارة"، "المجاز"، "المبالغة"، و "الأغراض البلاغية للاستفهام" يدلَّ دلالة واضحة، خلافاً لحكم ابن هشام عليه، على أنه يعرف هذا العلم حق المعرفة. هذه مقالة هي نقد لقول ابن هشام في ضوء دراسة آراء أبي حيان البلاغية

كلمات مفتاحية: ابن هشام، أبو حيَّان، النحو، البلاغة، النقد

المقدمة

لا يزال الباحثون يهتمون بموضوعات النحو والبلاغة اهتماماً بالغاً وقد اجتهد الكتاب والمؤلفون من العرب وغيرهم في تأليف الكتب في هذا المجال وتدريسها في الجامعات. كما كان القدماء يبذلون جهداً عظيماً في سبيل الدراسة والتحقيق فيعنون عنابة باللغة بال نحو والبلاغة والتفسير، وكانت آراء ابن هشام في كتابه "مغني اللبيب" حجر أساس لدراسات كثيرة في هذا الباب، لأنَّه كما قيل «نَهَجَ فِي كِتَابِهِ هَذَا سَبِيلًا لَمْ يُسْبِقْ إِلَيْهِ وَهُوَ السَّبِيلُ الَّذِي أَتَاحَ لَهُ أَلَا يَدْعُ فَرْعَأً مِنَ الْفَرْوَعِ إِلَّا عَرَضَ لَهُ بِإِيْدَاعِ مَعَ دَعْمِ تَكْرَارِ فَأَوْفَى فِي ذَلِكَ

* استاذ مساعد في اللغة العربية بجامعة الرازى، كرمانشاه.

** استاذ مشارك في اللغة العربية بجامعة الرازى، كرمانشاه.

على الغاية...»^(١) فهذا الكتاب يحتوي على كثير من الفوائد مثل الاحتجاج بالأيات من القرآن الكريم والشواهد الشعرية؛ وبما أنه جاء بأراء لمجمع غير من النحاة والبلاغيين يحلّها، لذا فإنّا نسميه كتاباً في نقد النحو ونقد البلاغة. ولكن، ولما يقول المثل: «فلكلّ حوار كبوة، ولكلّ عالم هفوة»، لا يخلو هذا الكتاب، مع احتوائه على هذه الفوائد العظيمة في المسائل العلمية، لا يخلو أحياناً من العيب والنقص، كما نلاحظ ذلك في حكمه القاسي على أبي حيان في تخطئة آرائه البلاغية.

مسألة التحقيق

يتحدث ابن هشام في كتابه "مغني اللبيب" عن كثير من النحوين والبلاغيين ويحكم عليهم، يخالفهم أو يؤيدّهم في آراءهم العلمية، لكنه يخالف آراء أبي حيان البلاغية مخالفة شديدة وغير متعارفة، فيحكم عليه حكماً قاسياً ويتهّمه بأنه لا يعرف علم البيان، حيث يقول في شأنه: "وَمَنْ لَا يَعْرِفُ هَذَا الْعِلْمَ كَأَبِي حِيَانَ".

والسؤال المطروح هنا: هل توجد في آثار أبي حيان آراء بلاغية تدلّ على أنه عالم بعلوم البلاغة ودقايقها خلافاً لرأي ابن هشام وحكمه القاسي عليه؟

هذه المقالة محاولة موجزة للإجابة عن هذا السؤال في ضوء دراسة لآراء أبي حيان البلاغية.

دراسات سابقة

قيل إنّ آراء ابن هشام وكتابه "مغني اللبيب" بما ذوا أهمية عظيمة في النحو والبلاغة. ولهذا الكتاب، كما هو مشهور، شروح كثيرة، منها: القصر المبني على حواشي المغني للأبياري؛ تنزيه السلف عن تمويه الخلف لابن الصائغ؛ تحفة الغريب بشرح مغني اللبيب للدماميني. وكتب العلماء عليه حواش جليلة، منها: حاشية الدسوقي؛ حاشية السيوطى؛ حاشية الشمنى وحاشية الأمير.

والملاحظ أنّ الشروح لكتاب "مغني اللبيب" كثيرة جداً قام بها الدارسون قديماً وحديثاً، ولكن لا يوجد في موضوع نقد لحكم ابن هشام على أبي حيان، سوى دراسات قليلة، حيث طبع أخيراً مقال نقدي في هذا الموضوع باللغة الفارسية بعنوان:

"جایگاه نحویان در کتاب مغنى الليب": (مكانة النحوين في كتاب مغني الليب)، (ميرلوحي، وامحدي، ١٣٨٨ - مجلة الجمعية الإيرانية لغة العربية، ع. ١١، جامعة تربوية مدرس" إيران)، كما طبعت قبل ذلك مقالة بعنوان: "اعتراضات ابن هشام على أبي حيان" (حسن موسى الشعرا، مجلة جامعة دمشق، ع ٢٢، السنة ٢٠٠٩) وهي دراسة لأرائهم في الصرف والنحو.

ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ - ق^(٢)):

هو جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، أعظم نحاة المدرسة المصرية لعصر المماليك، ولد بالقاهرة سنة ٧٠٨هـ.

سمع على أبي حيان ديوان زهير بن أبي سلمى ولم يلزمه ولاقرأ عليه غيره بل أصبح فيما بعد شديد الانحراف عنه. أخذ ابن هشام مذاهب النحاة وعرفها معرفة عميقة منذ حياته الأولى؛ فذاعت شهرته في العربية، فأقبل عليه الطلاب يأخذون من علمه ومباحثه النحوية الدقيقة، واستنباطاته الرائعة المبثوثة في ثنايا مصنفاته مع مناقشتها وبيان الصعيف منها والجيد. ومنهجه في النحو هو منهج المدرسة البغدادية. فهو يوازن بين آراء البصريين والковيين ومن تلاهما من النحاة في أقطار العالم العربي، مختارا لنفسه ما يتمشى مع مقاييسه، مظهراً قدرة فائقة في التوجيه والتعميل والتخرج، وكثيراً ما يشتق لنفسه رأياً جديداً لم يُسبق إليه، وخصوصاً في توجيهاته الإعرابية، على نحو ما يتضح لقارئ كتابه المغني.

وهو في أغلب اختياراته يقف مع البصريين. وكان يجل سيبويه إجلالاً كبيراً كما كان يجل جمهور البصريين. وفي كل جانب من كتاباته نراه متحمساً لهم مدافعاً عن آرائهم، وليس معنى ذلك أنه كان متعصباً لسيبويه وجمهور البصريين، وإنما كان يواافقهم في العديد من آرائهم النحوية، ولكن دون أن يوصد الأبواب أمام بعض آراء الكوفيين والبغداديين حين يراها جديرة بالاتباع.

وعلى نحو ما كان يختار ابن هشام لنفسه من المدرستين البصرية والковية،

٢ - تلخيص بحصن من مقالة لعنایت فاخنی نژاد (دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، ٥: ١٨٨) وشرح معنى الليب.

كان يختار لنفسه أيضًا من المدرسة البغدادية والمدرسة الأندلسية، ولعل في ذلك كله ما يصور — من بعض الوجوه — نشاط ابن هشام الانصاري النحوي، ومدى استيعابه لآراء النحاة السابقين. وقد خلَّ في العربية مصنفات كثيرة من أهمها كتاب مغني الليب عن كتب الأغاريب. وقد اخترط له منهاً لم يسبق إليه؛ إذ لم يقسمه على أبواب النحو المعروفة بل قسمه قسمين كبيرين:

القسم الأول أفرده للحروف والأدوات، ووضح وظائفها وطرق استخدامها مع عرض كل الآراء المتصلة بها. والقسم الثاني تحدث فيه عن أحكام وخصائص الأبواب المتنوعة وأحكام الجار وال مجرور وخصائص الأبواب النحوية وصور العبارات الغربية. ومن مصنفاته أوضح المسالك إلى الفقيه ابن مالك، وهو مطبوع مراراً، وله شذور الذهب في معرفة كلام العرب؛ قطر الندى وبل الصدى.

أبوحيان الغرناطي (ت ٧٤٥ هـ - ق):

أثير الدين محمد بن يوسف (٦٥٤ هـ - ٧٤٥ هـ) المعروف بأبي حيان ولد في غرناطة، نشأ وتعلم هناك وهو بريء الأصل،^(٣) وله آثار كثيرة^(٤)، أشهرها "البحر المحيط في تفسير القرآن الكريم". كانت شهرته الذائنة في مقرته في القراءات واللغة قد سبقته وعلا ذكره بين الأنام ومدحه كثير من الأدباء نحو: محيي الدين بن عبد الظاهر صاحب ديوان الرسائل في مصر، صدر الدين بن الوكيل، نجم الدين الإسكندراني، القاضي ناصر الدين الشافع وخليل بن أبيك الصفدي. كان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وكان عبقرياً بينما كان أصدقاؤه شديدي الحسد له وكان يتلذذ كثيراً بقراءة الكتب وكشف الغموض، وكان يأنس

٣ - حسبي دشتي، ٣٨٥ هـ - ش. ص ٣١٧

٤ - ألهما: _ الأسفار - التجريد لأحكام سبويه _ التذليل والتكميل في شرح التسهيل _ ارتشاف الضرب من لسان العرب _ التتخيل _ اتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب _ كتاب النافع في قراءات تافع _ الذكرة ٩ _ التدريب _ غاية الإحسان _ كتاب الأثير في قراءة ابن الأثير - الروض الباسم في قراءة عاصم _ غاية المطلوب في قراءة بعقوب _ تقريب النائي في قراءة الكسائي _ زهو الملك في نحو الترك _ الإدراك في لسان الأتراك _ منطق الحرس في لسان الفرس _ نور الغيش في لسان الجيش.

بالقرآن الكريم^(٥).

الجملة المعرضة أو الاعترافية

حينما يتناول ابن هشام الآراء المختلفة حول الجملة المعرضة^(٦)، يأتي بقوله تعالى: «... قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكُمْ وَإِلَهُ أَبَائِكُمْ إِنَّا إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ»^(٧) ويقول: «لليانيين في الاعتراض اصطلاحات مختلفة لاصطلاح النحوين، والزمخشي يستعمل بعضها...»^(٨) (نفس الكتاب والصفحة) وبعد ذلك يخطئ أبي حيّان كما هو عادته دائمًا في كتابه – مغني اللبيب – ويقول: «ويرد عليه [على الزمخشي] مثل ذلك من لا يعرف هذا العلم كأبي حيّان توهّمًا منه أنه لا اعتراض إلا ما يقوله النحوي وهو الاعتراض بين شتئين متطلبين..» (نفس الكتاب والصفحة)

إنَّ كثيرًا من علماء علم النحو والمفسّرين الذين كان في كتبهم إشارات بلاغية هامة جاؤوا بالآلية وذكروا الوجوه الإعرابية فيها ولكن ما أشاروا إلى الاعتراض فيها، خلافاً لابن هشام، من مثل: الشيباني، ٤١٣/١ـ٢١٤/١ـ٢١٤/١ـ٢٠، العكري، د.ت، ج ٤٠، دعاش، ٤٢٥/١ـ٥٧، الأندلسى، ٤٢٢/١ـ٢١٤/١ـ٢٠، البغوى، ٤٢٠/١ـ١٧١، صافي، ٤١٨/١ـ٢٧٣.

وبيدو أنَّ الاختلاف بين أبي حيّان والزمخشي في الجملة ينبئ عن تعاريفين مختلفين لها في الكتب البلاغية، على سبيل المثال في بعض منها نقرأ: «الاعتراض

٥ - يظهر أبو حيّان تلك اللذة في أبيات و يقول:

أغاذلُ إِذْنِي وَقُرْأَدِي عَنِ الورَى
فَلَسْتُ أَرِي فِيهِمْ كُلِّيًّا مُصَافِي
نَدَمَاهِي كُتُبْ أَسْتَفِدُ غَلُومَهَا
أَجَاهِي ثُنْيَ عنْ لَقَائِي الْأَعْدَادِيَا
كَجَاهِي إِذَا فَكَرْتُ أَوْكُثْ تَالِيَا

٦ - وهو الموضوع الذي يسبّبه أئمّة ابن هشام وأبي حيّان بأنه غير عالم بالعلوم البلاغية، فقال في شأنه: "وَ مَنْ لَا يَعْرِف
هَذِهِ الْعِلْمَ كَأَبِي حَيَّانَ"

٧ - الفقرة: ٢٠٣ : ١٣٣

٨ - يقول الزمخشي عن القسم الآخر من الآية (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ): حال من فاعل (نعبد) أو من مفعوله، لرجوع
الباء إليه في (له) ويجوز أن تكون جملة معطوفة على نعبد، وأن تكون جملة اعتراضية مؤكدة؛ أي و من حالات
مسلمون مخلصو التوحيد أو مذعنون. (زمخشي، ١٤٠٧ـ١ـ١٩٤)

في اللغة: الدخول بين الشيئين حتى يكون الداخل المعتبر فاصلاً بينهما، ويسمى "عارضًا" أي: حائلاً ومانعاً بينهما، ومنهأخذ الاعتراض في البلاغة والنحو. الاعتراض اصطلاحاً: أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين في معناهما بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة بلاغية سوى دفع الإيهام. فإذا كان لدفع الإيهام فهو من طريقة (الاحتراض = التكمل) ويؤتى بالاعتراض لداعي بلاغية أخرى.

قد تبين أن الاختلاف ينبعث من نظرتهما إلى الاعتراض، "هل من الواجب أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين في معناهما بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة بلاغية^(٩) أو لا يشترط كونه واقعاً في أثناء كلام أو بين كلامين متصلين معنى، بل يجوز أن يقع في آخر كلام لا يليه كلام أو يليه كلام غير متصل به معنى^(١٠).

إنَّ أبا حيَان يشير إلى الجملة المعتبرضة في مئة آية مباركة تقريرياً^(١١) وفي بعض منه يشير إلى كونها معتبرضة مؤكدة^(١٢)، وهو الوجه الذي بسببه دعا ابن هشام إلى اتهامه بأنه لا يعرف علم البيان. ليست هذه المقالة بقصد إثبات أنَّ أبا حيَان كان بلاغياً، بل تزيد الإشارة إلى أنَّ له آراء قيمة في النحو والبلاغة فلا يستحق ما فعل به ابن هشام في كتابه مغني اللبيب.

آراء أبي حيان البلاغية

إنَّ أبا حيَان كان يعرف علم البيان رغم أنه لم يكن بلاغياً، ويكفيه أن نفتح كتابه "البحر المحيط" حتى نفهم ذلك، مع أنَّ كتابه هو في تفسير القرآن الكريم وليس

٩- هذا هو الذي يعتقد أبو حيَان، حيث يعول عليه في موارد عديدة من تفسيره، لرذ الجملة المعتبرضة التي لا تأتي في أثناء الكلام ويكون لها محل من الإعراب؛ نحو: (أندلسي، ١٤٢٠ق، ١: ٦٤٣ و ٢: ١٣٦ و ٣٣٤ و ٤٣٤ و ...).

١٠- هذا ما يعتقد الرمخشري، و الجمل التي يعيتها اعتبرتها ثبتة؛ نحو: (زمخشري، ١٤٠٧ق، ١: ١٩٤ و ١: ١٦٦ و ١: ٤٤٠ و ١: ٥٦٩ و ...).

١١- نحو: (أندلسي، ١٤٢٠ق، ١: ٧٧ و ١٣٩ و ١٧٤ و ٣١١ و ٤١٤ و ٤١٩ و ٤٤٩ و ٤٤٥ و ٤١٠ و ٤٧٧ و ٥٠٥ و ٥٦٥: ٣ و ٦١ و ١١٨ و ١٦٩ و ٢١٤ و ٣٣٧ و ٣٤٩ و ٣٥٧ و ٣٨٠ و ٤١١ و ٤٤٥ و ٥٠٧ و ٦٦٠ و ٦١٩ و ٧٠٧ و ٧٤: ٤ و ٨٧ و ٢٩ و ٢٠٣ و ١٨١ و ٣٩٤ و ٤٥٤ و ٥٢٣ و ٥٦٢ و ...).

١٢- نحو؛ الآية السادسة من سورة البقرة: (أندلسي، ١٤٢٠ق، ١: ٧٧).

موضوعه البلاغة. والآن نذكر بعض آيات القرآن الكريم التي يشير أبو حيّان إلى المسائل البلاغية فيها:

١— «المجاز» كلُّ كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها، لملحوظة بين الثاني والأول^(١٣). وهو من أجمل الوسائل البينية التي يحصل للنفس بها أريحية وفرح وشغف العرب باستعماله وزيّوا به خطبهم وأشعارهم؛ فأين هذه الخطب والأشعار من القرآن الكريم الذي يكون في الذروة الرفيعة من المجاز.

وكان أبو حيّان يعرف هذه الصنعة البلاغية، حيث أشار إليها في أي من القرآن الكريم؛ منها قوله عن آية: ﴿فَلَوْ لَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَرَبَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١٤) حيث يقول: «... إسناد المجيء إلى البأس مجاز عن وصوله إليهم والمراد أوائل البأس وعلاماته»^(١٥) وبعد ذلك يستمر في الشرح عن (ولكن) في: ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَرَبَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ حيث يقول: ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي صلبت وصبرت على ملاقة العذاب لما أراد الله من كفرهم، ووقوع (لكن) هنا حسن لأنَّ المعنى انتفاء التذلل عند مجيء البأس ووجود القسوة الدالة على العتو والتعزز فوقيعه (لكن) بين ضدّين وهما اللين والقسوة، وكذا إن كانت القسوة عبارة عن الكفر فغير بالسبب عن المسبّب^(١٦) والضرارة عبارة عن الإيمان فغير بالسبب عن المسبّب كانت أيضاً واقعة بين ضدّين تقول: قسا قلبه فكفر وآمن فتضعر^(١٧).

ومن معرفته هذه الصنعة قوله في: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(١٨) حيث يقول: «الظرفية في (فيهم) مجاز والمعنى: وأنت مقيم بينهم غير راجل عنهم»^(١٩).

١٣— (الخرجاني، ١٤٢٣هـ، ص ٢٨٧)، راجع أيضاً إلى: (الخطيب الفزوبي، د.ت، ١٥٢

١٤— الأنعام: ٤٣

١٥— أندلسبي، ١٤٢٠ق، ٤: ٥١٤

١٦— وهذا أيضاً مجاز مرسل علاقته السببية.

١٧— نفس المرجع والصفحة

١٨— الأنفال: ٨، ٢٣

١٩— أندلسبي، ١٤٢٠ق، ٥: ٣١٢

٢_ قد تخرج الفاظ الاستفهام عن معانيها الأصلية لمعانٍ أخرى تستفاد من سياق الكلام^(٢٠). وقد فهم أبو حيان هذا الموضوع جيداً وجاء بمصداق منه في آية: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾^(٢١) لغرض التعجب والإنكار، حيث يقول: «الاستفهام معناه التعجب والإنكار كأنه تعجب من فساد عقولهم، حيث خوفوه خسماً وحجارة لا تضر ولا تنفع، وهو لا يخافون عقبى شركهم بالله وهو الذي بيده النفع والضرّ والأمر كلّه ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ معطوف على ﴿أَخَافُ﴾ فهو داخل في التعجب والإنكار واختلف متعلق الخوف، فالنسبة إلى إبراهيم، علق الخوف بالأصنام؛ وبالنسبة إليهم، علقه بإشراكهم بالله تعالى^(٢٢)؛ تركاً للمقابلة ولئلا يكون الله عذيل أصنامهم لو كان التركيب ولا تخافون الله تعالى؛ وأتى بلفظ ما الموضوعة لما لا يعقل لأنّ الأصنام لا تعقل إذ هي حجارة وخشب وكواكب».

كما جاء بمصداق منه في آية: ﴿أَفَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْتَغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مَقْصِلًا وَالَّذِينَ آتَيْتُمُوهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكُمْ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾^(٢٣) لغرض النفي حيث يقول: «هذا استفهام معناه النفي أي لا أبتغي حكماً غير الله»^(٢٤). وكما جاء بمصداق آخر من خروج الاستفهام عن معناه الأصلي في آية: ﴿قَالَ مَا مَتَعَكَ أَلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمْرَتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٢٥) حيث يقول: «(ما) استفهامية تدلّ على التوبیخ»^(٢٦).

٣_ إذا أتى المتكلّم بمتعدي، وبعده جاء بمتعدي آخر يتعلّق كلّ فرد من أفراده بفرد

٢٠ - المخارق والأمين، ١٤٢٤، ص ٣٥٠.

٢١ - الأنعمان: ٨١

٢٢ - لم يقل سبحانه و تعالى: «كيف أخاف ما أشركتم و لا تخافون الله» تماشياً و فراراً عن مساواة الأصنام بالله العلي القدير و هذا ما سبق في علم البلاغة بـ التماشي و الاحتراز عن مساواة اللائق بالسابق، راجع أيضاً: فاضلي، ١٣٦٥، ص ١٤٢، ديباجي، ١٣٧٦، ش، ص ٧٠ و الماشي، ١٣٦٨، ش، ص ١١٤.

٢٣ - الأنعمان: ١١٤

٢٤ - أندلسی، ١٤٢٠، ق ٤، ٦٢٧

٢٥ - الأعراف: ٧، ١٢

٢٦ - وقد ذكر موارداً كثيرة أخرى لخروج الاستفهام عن معناه الأصلي و يامكانك أن تراجع على سبيل المثال الآيات: الأعراف: ٧، ٩٥، التوبية: ٣٨، التوبية: ٩٣، التوبية: ٩٦، التوبية: ٩٧، التوبية: ٦٣، و يوسف: ١٢٩ على الترتيب في أندلسی، ١٤٢٠، ق ٥، ٢٥١، ٥: ٣٧٦ و ٥: ٣٨٢ و ٥: ٤١٩ و ٥: ٤٥١ و ٦: ٣٤٢.

من أفراد السابق بالتفصيل دون تعين سُمّي صنيعه هذا **لَفَّاً** و**نَشِرًا**... وإذا جاء لفُ المتعدد مجملًا، فالنشر بعده مجرد بيان تفصيلي للمجمل؛ نحو: **فَإِنْ خَفْتُ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا**^(٢٧) جاء **لَفَّ** المجمل في عبارة: **فَإِنْ خَفْتُمْ** خطاباً للمؤمنين حالة الحرب، وبعده جاء النشر المفصل في عبارة **فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا**^(٢٨) وقد أحسن أبو حيّان في تعين هذا الموضوع في آية: **وَوَكِمْ مِنْ قَرِيْبٍ أَهْلَكَنَا هَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَا بَيَاتٍ أَوْ هُمْ قَاتِلُونَ**^(٢٩) حيث يقول: «... (أو) هنا للتنويح أي جاء مرّة ليلاً كقوم لوط ومرة وقت القيلولة كقوم شعيب وهذا فيه نشر لما لف في قوله (فجاءها) وخصص مجيء البأس بهذين الوقتين لأنهما وقتان للسكون والدّعة والاستراحة فمجيء العذاب فيما أقطع»^(٣٠).

٤ _ أحد أغراض تقديم المسند إليه أو المسند أو المفعول أو... سلوك السبيل الرقي نحو: (هذا الكلام صحيح، فصيح وبليغ) فإذا قلت: «هذا الكلام فصيح وبليغ» لا يحتاج إلى ذكر (الصحيح) و(**الفصيح**) بعدها؛ أو مراعاة الترتيب الوجودي، نحو: **لَا تَأْخُذْهُ سِنَةً وَلَا نَوْمًا**^(٣١) وقد أصاب أبو حيّان في تعين هذا الموضوع في آية: **وَلَتَصْنَعِي إِلَيْهِ أَفْنَدَةً الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلَيَرْضُوَهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُفْتَرُونَ**^(٣٢) حيث يقول: «أي ولتميل إليه؛ الضمير [في (إليه)] يعود على ما عاد عليه في (فعلوه)^(٣٣) (وليرضوه): وليكتسبوا ما هم مكتسبون من الآثام. والـ (لام) لام كي وهي معطوفة على قوله (غرورا) لما كان معناه للغرور فهي متعلقة بـ (يوحى)؛ ونصب (غرورا) لاجتماع شروط النصب فيه، وعدى يوحى إلى هذا باللام لفوت شرط صريح المصدرية واختلاف الفاعل لأنّ فاعل يوحى هو بعضهم وفاعل تصفعى هو أفتده، وتترتيب هذه

٢٧ — القراءة: ٢٣٩

٢٨ — السكاكي، مفتاح العلوم، ق بديع: ذكر المتعددات مع ذكر ما يعلق بكل واحد منها

٢٩ — الأعراف: ٤

٣٠ — أندلسي، ١٤٢٠هـ، ٥: ١١

٣١ — القراءة: ٢٥٥

٣٢ — الأنعام: ٦

٣٣ — في الآية قبلها: وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ كَبِيْرٍ عَلَوْا شَيَاطِينَ الْأَئِمَّةِ وَ الْجِنِّ يُوحِي بِعَصْبِهِمْ إِلَى بَعْضٍ رُخْزَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلْتُمْ فَلَذِكْرُمْ وَ مَا يَقْتَرِفُونَ (الأنعام: ٦)

المفاعيل في غاية الفصاحة لأنّه أولاً يكون الخداع فيكون الميل فيكون الرضا فيكون الفعل فكان كلّ واحد مسبب عمّا قبله»^(٣٤).

٥ _ يُوتى بالمسند إليه اسم إشارة إذا تعين طريقة لإحضار المشار إليه، أما إذا لم يتعمّن طريقة لذلك، فيكون لأغراض أخرى؛ منها: تعظيم درجته بالقرب كقوله سبحانه وتعالى: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ»^(٣٥) وقد أحسن أبو حيّان في تمييز هذا الغرض في آية: «وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرِي مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَبَّ فِيهِ مِنْ رَبٌّ الْعَالَمِينَ»^(٣٦) حيث يقول: «لَمَّا تَقْدَمَ قَوْلُهُمْ: {أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرٍ هَذَا أَوْ بَدْلٍ}»^(٣٧) وكان من قولهم: إنه افتراء قال تعالى: «وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرِي» أي: ما صحّ، ولا استقام أن يكون هذا القرآن المعجز مفترى. والإشارة بـ«(هذا)» فيها تفخيم المشار إليه وتعظيمه»^(٣٨). وكثيراً ما يشار إلى المسند إليه القريب بإشارة البعيد تعظيمياً لدرجته بالبعد كقوله تعالى: «لِلَّٰهِ الْكِتَابُ لَا رَبَّ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ»^(٣٩) وكلّك قد أصاب أبو حيّان في تعين هذه الصنعة في آية: «قَالَتْ فَذِلِكُنَّ الَّذِي لَمْ تُنَتَّزِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَذْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصِمْ...»^(٤٠) حيث يقول: «... يحتمل أن تكون وأشارت إليه وهو للبعد قريب بلطف البعيد رفعاً لمنزلته في الحسن، واستبعاداً لمحله فيه، وأنه لغرابته بعيد أن يوجد منه. واسم الإشارة تضمن الأوصاف السابقة فيه كأنه قيل: الذي قطعتن أيديك بسببه وأكبرتّه وقلّنَ في ما قلتُنَّ من نفي البشرية عنه وإثبات الملكية له، هو الذي لمتنّني فيه أي: في محبته وشغفي به»^(٤١).

٦ _ باب التغليب باب واسع يجري في كلّ فن؛ قال تعالى حكاية عن قوم شعيب: «لَخَرِ جَنَّكَ يَا شَعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِيبَتِنَا أَوْ لَتَعْوُدُنَّ فِي مَلَّتِنَا» أدخل شعيب

٣٤ - أندلسي، ١٤٢٠ق، ج ٤/٦٢٦

٣٥ - الإسراء ٩/١٧

٣٦ - يوتس ١٠/٣٧

٣٧ - يوتس ١٠/١٥

٣٨ - في ضوء دراسة لآراء أبي حيّان البلاغية

٣٩ - البقرة ٢/٢٤

٤٠ - يوسف ١٢/٣٢

٤١ - أندلسي، ١٤٢٠ق، ج ٦/٦٧٢

في «لَتَعُودُنَّ فِي مِلْتَنَا» بحكم التغليب وإلاًّ فما كان شعيب في ملتهم كافراً مثلهم فإنَّ الأبياء معصومون أن يقع منهم صغيرة فيها نوع نفرة فما بال الكفر^(٤٢). ويؤيد أبو حيَّان هذا الموضوع بعينه حيث يقول: «أَوْ لَتَعُودُنَّ إِذْ صَارَ فَعْلًا مَسْنَدًا إِلَى شَعِيبٍ وَأَتَبَاعِهِ وَلَا يَدِلُّ عَلَى أَنْ شَعِيبًا كَانَ فِي مَلْتَهُمْ وَعَلَى الْمَعْنَى الثَّانِي يُشَكِّلُ لَأَنَّ شَعِيبًا لَمْ يَكُنْ فِي مَلْتَهُمْ قُطًّا لَكِنْ أَتَبَاعَهُ كَانُوا فِيهَا، وَأَجِيبُ عَنْ هَذَا بِوَجْهِهِ أَحَدُهُا:... أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ تَغْلِيبِ حُكْمِ الْجَمَاعَةِ عَلَى الْوَاحِدِ لَمَّا عَطَفُوا أَتَبَاعَهُ عَلَى ضَمِيرِهِ فِي الإِخْرَاجِ سَحَبُوا عَلَيْهِ حُكْمَهُمْ فِي الْعُودِ وَإِنْ كَانَ شَعِيبًا بِرِئَاهُ مَمَّا كَانَ عَلَيْهِ أَتَبَاعَهُ قَبْلَ الْإِيمَانِ»^(٤٣). وقد أحسن في تطبيق هذه الصنعة في آية: «يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ»^(٤٤) حيث يقول: «في ندائِه باسمِه [يوسف] تقرِيب له وتلطيف،... ثم ذكر سبب الاستغفار وهو قوله: لذنبك، ثم أكَّد ذلك بقوله: «إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ» ولم يقل من الخاطئات، لأنَّ الخاطئين أعم، لأنَّه ينطلق على الذكور والإناث بالتلطيف»^(٤٥).

٧ _ وقد أحسن أبو حيَّان في تعين عدَّة من الصنائع البلاغية في آية واحدة مع أنه لا ينسب هذا التعين إلى نفسه، حيث نقرأ في تفسيره لآية: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذْهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْهُ إِلَّا بِإِنْهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسَعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَوْدُهُ حَفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ»^(٤٦) يقول: «[فيها] حسن الافتتاح لأنَّها افتتحت بأجلِّ أسماء الله تعالى، وتكرار اسمه في ثمانية عشر موضعاً، وتكرير الصفات، والقطع للجمل بعضها عن بعض، ولم يصلها بحرف العطف. والطباق في قوله: «الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذْهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ» فإنَّ النوم موت وغفلة؛ والحيَّ القيوم ينافقه؛ وفي قوله: «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ» [طباق أيضاً]. والتشبيه: في قراءة من قرأ «وَسَعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» أيَّ كَوْسَعَ، فإنَّ كَانَ الْكَرْسِيَ جرماً فتشبيه محسوس بـ حَسُوس، أو معنى فتشبيه معقول

٤٢ - السكاكي، أول فصل بعد الفن الثالث

٤٣ - أندلسي، ١٤٢٠ق، ج ١٢/٥

٤٤ - يوسف/١٢

٤٥ - أندلسي، ١٤٢٠ق، ج ٦/٢٦٢

٤٦ - البقرة/٢٥٥

بمحسوس»^(٤٧). ونقرأ في تفسيره الآية: «لَا إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرَّسُولُ مِنَ الْغَيْرِ فَمَنْ يَكْفُرُ بِالظَّاهِرَةِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرُوهَةِ الْوُقْنَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِ»^(٤٨) أنه يشير إلى عدة أخرى من الصنائع البلاغية، حيث يقول: «[فيها] معدول الخطاب في «لَا إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ» إذا كان المعنى لا تكرهوا على الدين أحداً. والطبق: أيضاً في قوله «لَا إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ» وفي قوله (آمنوا) (كفروا) وفي قوله «مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ». والتكرار: في الإخراج لتبني تعليقهما... ثم ذكر أنَّ من كفر بالطاغوت وأمن بالله فهو مستمسك بالعروة الوثقى، عروة الإيمان، ووصفها بالوثقى لكونها لا تقطع ولا تنفص، واستعار للإيمان عروة^(٤٩) إجراء للمعقول مجرى المحسوس»^(٥٠). يعين ابو حيان خمسة أنواع من الصنائع البلاغية في الآية الأولى وأربعة في الثانية.

٨ _ يُؤْتَى بالمضاف معرفاً بالإضافة إلى شيء من المعرف لأغراض كثيرة؛ منها التعليم للمضاف إليه نحو: (السلطان صديقي). وقد عرف أبو حيان هذا الموضوع في آية: «فَلَمْ نَزَّلْهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِتَبَيَّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدَى وَبَشَّرَى لِلْمُسْلِمِينَ»^(٥١)، حيث يقول: «أضاف الرب إلى كاف الخطاب تشريفاً للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باختصاص بالإضافة، وإعراضاً عنهم، إذ لم يضف إليهم»^(٥٢).

٩ _ المبالغة هي أن يدعى المتكلم لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حداً مستبعداً أو مستحيلاً؛ وأنواعه "التبليغ" و"الإغرار" و"العلو". وقد أحسن أبو حيان في تمييز هذه الصنعة البدعية في آية: «وَقَدْ مَكْرُومُونَ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُومُونَ وَإِنْ كَانَ مَكْرُومُونَ لِتَرْوَلَ مِنْهُ الْجِبَالُ»^(٥٣)، حيث يقول: «والذي يظهر أنَّ زوال الجبال مجاز ضرب مثلاً لمكر قريش، وعظمته والجبال لا تزول، وهذا من باب الغلو والإيجاز

٤٧ – في ضوء دراسة لآراء أبي حيان البلاغية

٤٨ – البقرة: ٢٥٦

٤٩ – استعارة تصريحية.

٥٠ – أندلسى، ١٤٢٠ق، ٢: ٦٢٠

٥١ – التحليل: ١٦: ١٠٢

٥٢ – أندلسى، ١٤٢٠ق، ٦: ٥٩٤

٥٣ – إبراهيم: ١٤: ٤٦

والمبالغة في ذم مكرهم»^(٥٤).

١٠ _كيف يمكن الألّا يُعرف علم البيان من يأتي بكلام جميل ورصين عن وقوع المسؤول عنه بعد همزة الاستفهام في آية: **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَنْكُمْ السَّاعَةُ أَغْيَرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**^(٥٥) ومقتضاه البلاغي؟! حيث يقول: «تقديم المفهول هنا بعد الهمزة يدل على الإنكار عليهم دعاء الأصنام إذ لا يذكر الدعاء إنما يذكر أن الأصنام تدعى كما تقول: "أزیداً تضرب" لا تذكر الضرب ولكن تنكر أن يكون محله زيداً... وهذه الآية عند علماء البيان من باب استدراج المخاطب وهو أن يلين الخطاب ويمزجه بنوع من التلطّف والتتعطف حتى يوقع المخاطب في أمر يعترف به فتقوم الحجّة عليه، والله تعالى خاطب هؤلاء الكفار بلين من القول وذكر لهم أمراً لا ينazuون فيه وهو أنّهم كانوا إذا مسّهم الضرّ دعوا الله لا غيره وجواب **﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** محدود تقديره إن كنتم صادقين في دعوامكم أن غير الله إله فهل تدعونه لكشف ما يحلّ بكم من العذاب؟»^(٥٦)

والآن نشير إلى ملاحظات بلاغية أخرى من قبل أبي حيّان ؛ دون أيّ شرح رعاية لإيجاز :

إنّه يعتقد أن الآيات السابعة والثمانين إلى الثانية والتسعين^(٥٧) من سورة النساء تتضمّن أنواعاً من الصنایع البلاغية، حيث يشير إلى التتميم في: **﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾** والاستفهام بمعنى الإنكار في: **﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ﴾** وفي: **﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا﴾** والطبق في: **﴿أَنْ تَهْدُوا مِنْ أَضْلَالَ اللَّهِ﴾** والتجنّيس المماطل في: **﴿لَوْ تَكُفُّرُونَ كَمَا كَفَرُوا﴾**، وفي: **﴿بَيْتُكُمْ وَبَيْتُهُمْ﴾** وفي: **﴿أَنْ يَقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوْا﴾**، وفي: **﴿أَنْ يَأْمُنُوكُمْ وَيَأْمُنُوا﴾** وفي: **﴿خَطَا وَخَطَا﴾** والاستعارة في: **﴿بَيْتُكُمْ وَبَيْتُهُمْ﴾** وفي: **﴿حَصَرَتْ صُنُورُهُمْ﴾**، وفي: **﴿فَإِنِ اعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَلَقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾** وفي: **﴿سَبِيلًا﴾** و**﴿كُلَّمَا رُدُوا إِلَى الْفَتْتَةِ أَرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَرَلُوكُمْ﴾**. والاعتراض في: **﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسْلَطَهُمْ﴾** والتكرار في مواضع».

٥٤ — أندلسي، ١٤٢٠ق، ٦: ٤٥٥

٥٥ — الأنعام: ٤٠

٥٦ — أندلسي، ١٤٢٠ق، ٤: ٥١١

٥٧ — لا ثانية بالآيات المباركة بأجمعها للاختصار فعليكم أن تراجعوا إلى القرآن الكريم.

موقف ابن هشام من أبي حيّان وموقفه من الآخرين

إن المقارنة بين موقف ابن هشام من أبي حيّان وموقفه من الآخرين تدل دلالة واضحة على أنه كان يقف دائمًا موقفاً سلبياً تجاه أبي حيّان، خلافاً لرأيه في الآخرين. فالقسم الأول من الجدول التالي يشير إلى كمية ذكر اسم سيبويه، الزمخشري وأبي-حيّان في مختي اللبيب دون ابداء رأي من جانب ابن هشام في صحة آرائهم أو سقها، والقسم الثاني من الجدول يبيّن كمية تأييد آراء كل من هؤلاء الثلاثة من جانب ابن هشام وموقفه السلبي إزاء أبي حيّان؛ والقسم الثالث من الجدول يشير إلى كمية رد آراء هؤلاء من جانب ابن هشام؛ وفي القسم الأخير نرى الآراء التي طرحت وما اتّخذ ابن هشام إزاءها موضعًا:



كما يشاهد من الجدول أنَّ ابن هشام يخالف آراء أبي حيّان وشخصيته مخالفة شديدة، فكلما يذكر اسمه يقصد مخالفة آرائه وتخطئته. فلا يوجد في كتاب مختي اللبيب، رأي واحد لأبي حيّان مؤيد من جانب ابن هشام أو على الأقل دون مخالفة مؤكدة منه عليه.

النتيجة

إن ابن هشام الأنباري يجلّ بعض النحوين مثل سيبويه إجلالاً بلغاً، ويكون مقصداً وممحظاً لبعضهم الآخر في الاستحسان والرّد على آرائهم من مثل الزمخشي. ولكن ، ومن العجب، مع أنه تعلم لدى أبي حيّان وقرأ عليه لأنّه كان تلميذاً له، إلا أنه ينظر إليه بنظارة سوداء، يخطئه دائمًا ويتهمنه بأنه لا يعرف علم البيان، وما أيدَه حتى لمرة واحدة. ولاشك في أنّ أبي حيّان، ومع أنه ليس في عدد البلاطين، وإنّ آراءه المختلفة في البلاغة حق المعرفة، فأجاد كما لاحظنا في دلالة واضحة على أنه كان يعرف علوم البلاغة حق المعرفة، فأجاد كما لاحظنا في تطبيقها على كثير من آيات القرآن الكريم في تفسيره "البحر المحيط". وعلى هذا فإنّ حكم ابن هشام عليه في عدم معرفته هذا العلم لا يخلو من القسوة والجور عليه.

قائمة المصادر :

- ١ _ القرآن الكريم
- ٢ _ ابن الأثير، ضياء الدين، (د.ت) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، القاهرة، دار النهضة مصر للطبع والنشر.
- ٣ _ ابن عطيّة الأندلسي، عبد الحق بن غالب، (١٤٢٢ق) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١.
- ٤ _ ابن هشام الأنباري، (١٣٧١هـ ش) مغني اللبيب عن كتب الأعaries، قم، مطبعة مكتبة سيد الشهداء، ط؟.
- ٥ _____، (١٤١٩هـ ق) المسائل السفرية، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، ط؟.
- ٦ _ أبو حيّان الأندلسي، أثير الدين، (١٤١٧هـ ق) ارتشاف الضّرّب من لسان العرب، تحقيق وتعليق دكتور مصطفى أحمد النمس، قاهره، المكتبة الأزهرية للتراث، ط؟.
- ٧ _____، أثير الدين، (١٤٢٠هـ ق) البحر المحيط في التفسير، بيروت، دار الفكر، ط؟.
- ٨ _ البغوي، حسين بن مسعود (١٤٢٠ق)، معلم التنزيل في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.

- ٩ _ الجارم، علي وأمين، مصطفى (١٤٢٤هـ - ق) البلاغة الواضحة، دمشق، دار النعمن للعلوم، ط١.
- ١٠ _ الجرجاني، عبد القاهر، (١٤٢٣هـ - ق) أسرار البلاغة في علم البيان، بيروت، دار الفكر، ط١.
- ١١ _ حسيني نشتى، سيد مصطفى، (١٣٨٥هـ - ش) معارف ومعاريف، دائرة المعارف جامع اسلامي، تهران، مطبعة صنعة شرق، ط١.
- ١٢ _ الخطيب القزويني، أبو المعالي جلال الدين، (دون تا)، الإيضاح في علوم البلاغة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- ١٣ _ درويش، محبي الدين، (١٤١٥هـ - ق) إعراب القرآن وبيانه، سوريه، دار الإرشاد، ط٤.
- ١٤ _ دعاس، أحمد عبيد، (١٤٢٥هـ - ق) إعراب القرآن الكريم، دمشق، دار المنير ودار الفارابي، ط١.
- ١٥ _ ديباجي، سيد ابراهيم، (١٣٧٦ش) بداية البلاغة، تهران، سازمان سمت انتشارات مهر قم، ج١.
- ١٦ _ الزمخشري، محمود، (٤٠٧هـ - ق)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣.
- ١٧ _ الشوكاني، (١٣٤٨هـ - ق)، القدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، قاهرة، طبع سعادت، ط١.
- ١٨ _ الشيباني، محمد بن حسن، (٤١٣هـ - ق)، نهج البيان عن كشف معانى القرآن، تحقيق حسين درگاهي، دائرة المعارف الإسلامية، تهران، ط١.
- ١٩ _ الصافي، محمود بن عبد الرحيم، (٤١٨هـ - ق)، الجدول في إعراب القرآن، دمشق، بيروت، دار الرشيد مؤسسة الإيمان، ط٤.
- ٢٠ _ الصقدي، صلاح الدين خليل بن أبيك، (١٣٨٩هـ - ق) الوافي بالوفيات، بيروت، دار النشر، ط١.
- ٢١ _ العكبري، عبدالله بن حسين، (دون تا)، التبيان في إعراب القرآن، عمان، رياض، بيت الأفكار الدولية، ط١.
- ٢٢ - فاتحى نژاد، عنايت الله، (١٣٨٥هـ) دائرة المعارف بزرگ اسلامی، ج٥.

- ٢٣ _ فاضلی، محمد، (١٣٦٥ش)، دراسة و نقد في مسائل بلاغية هامة، مشهد، چاپ خانه دانشگاه فردوسی مشهد، ج ١.
- ٢٤ _ الكتبی، محمد بن شاکر، (١٩٧٣م) فوات الوفیات، تحقیق دکتر إحسان عبّاس، بیروت، دار صادر، ط؟.
- ٢٥ _ محمد الأسعد، عبدالکریم، (١٤١٣هـ - ق)، الوسيط في تاريخ النحو العربي، ریاض، دار الشفوف، ط ١.
- ٢٦ _ المیدانی، عبد الرحمن حسن حبنکة، (١٤١٦هـ - ق)، البلاغة العربية أنسها وعلومها وفنونها، دمشق دار القلم، بیروت دار الشافیة، ط ١.
- ٢٧ - میرلوھی، سید علی، واحمدی، محمد نبی، (١٣٨٨)، مكانة النحويین في كتاب مغنى الليب، مجلة "الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها" ع ١١.
- ٢٨ _ هاشمی، احمد، (١٣٦٨ش)، جواهر البلاغة، قم، مؤسسه مطبوعات دینی، ج ٣.

الظواهر الصوتية عند سيبويه

د. إبراهيم محمد البب*

الملخص

يتناول هذا البحث عدداً من الظواهر الصوتية التي وقف عليها سيبويه في الكتاب، وهي ظواهر تأرجح بين الصوت والسياق، إلا أن تصنيفها صوتياً أقرب من تصنيفها سياقياً. وتضم الظواهر التالية:

ظاهرة الوقف: وقد بيّنا فيه أسمه، وقوانيئه، وقواعد، وأنواعه عند سيبويه. سواء أكان ذلك بزيادة حرف أم بغير زيادة؛ ومع أحرف العلة أم مع غيرها من الأحرف الصامتة. ظاهرة الإملاء: وقد تمَّ تصنيفها بناءً على معطيات سيبويه إلى: مطردة وشاذة. ثمَّ بيّنا مواضعها في الكلام وصلتها بعرف العلة من جهة، وبحرف الراء في العربية من جهة أخرى. وقد خصصنا بالحديث لأنَّه تمتنع معه الإملاء في مواضع، وتطرد معه في مواضع أخرى، وذلك وفقاً لقوانين صوتية محددة في الكتاب.

ظاهرة الإعلال والإبدال: وهو ما من الظواهر الصوتية المهمة في تراثنا اللغوي نحوياً كان أم غير نحوبي. وقد وقنا فيهما على أنواع الإعلال المختص بأحرف العلة (الألف ، والواو، والياء). ثمَّ وضَّحْنَا الفرق بينه وبين الإبدال الذي تعددت حروفه، واختلفت أشكاله عند سيبويه. ظاهرة المماثلة والمُخالفة: وهو ظاهرتان صوتيتان لهما أسمهما وقوانينهما الخاصة. ولكن سيبويه لم يفرد لأيٍّ منهما عنواناً خاصاً، وإنما درسهما تحت عنوان الإبدال. فتناول المماثلة الكافية والجزئية كلاً ب نوعيه: التلقمي والرجعي. كما تناول المُخالفة، والفرق بينها وبين المماثلة، فرأى أنَّ ما تماثل من العروض هو أكثر بكثير مما تختلف منها في الكلمة الواحدة. وأخيراً بيّنا في الخاتمة مجموعة من النتائج التي توصل إليها البحث.

كلمات مفتاحية: الأصوات، الظواهر الصوتية، سيبويه .

المقدمة:

يعدُّ كتاب سيبويه المصدر الأول للباحثين اللغويين والمرجع الفصل في قضايا

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة تشرين ، اللاذقية ، سوريا.

العربية بشكل عام. وهو أيضاً مكتبة لغوية شاملة. ضم إلى جانب النحو والصرف كثيراً من المسائل المتعلقة بالشعر، والأمثال، واللهجات، والأصوات وغيرها. وقد تناول مؤلفه جلّ قضایاه تناولاً وصفياً دقيقاً، إذ كان يذكر القضية ثمّ يبيّن كف تعامل رسمياً ولقطاً، من خلال الإكثار من الأمثلة التي تساعده على فهم ما يريد. ولم يكن الذين جاؤوا بعده مختلفين عنه كثيراً في تناولهم للنحو والصرف. لأنَّ جلّهم بقي يدور في فلكه شارحاً عبارته كما هي حيناً، ومضيفاً إليها ما يُعين على إيضاحها حيناً آخر. ولكنَّ مدار الخلاف بينه وبينهم يكمن في قضایا اللغة، ولاسيما الظواهر الصوتية منها. فقد تناولها تناولاً بعيداً عن التببيب أو المنهج في جلّ أماكنه. فجاءت مبثوثة متاثرة تحت عناوينها حيناً، وتحت عناوين مختلفة حيناً آخر. ولا غرابة في ذلك، لأنَّ الكتاب كما هو معروف ينفرد إلى منهجٍ تصنيفيٍّ يعين القارئ على الوصول إلى ما يريد. وسيقف البحث عند تلك الظواهر المتاثرة، محاولاً رصدها وتبويبها وتقديرها تعقیداً منسجماً مع دارسيها المعاصرین. مجملًا هذا الوقوف عند الظواهر التالية: الوقف، والإملاء، والإعلال، والإبدال، والمخلافة، والمماثلة. تلك الظواهر التي لم تحظَ كثيراً باهتمام الباحثين.

منهج البحث:

من يقرأ كتاب سيبويه يدرك من الصفحات الأولى أنَّ لبسَ ما يعتريه، ولا سيما الظواهر الصوتية فيه. ولا يعود هذا اللبس إلى حجم المادة ووفرتها، وإنما إلى التصنيف والمنهج والتبويب والترتيب. فمنهج الكتاب يبقى لغزاً عصياً على الإدراك، ومصطلحاته عسيرة المنال مفتوحة الدلالة. فأحياناً يصرّح بالظاهرة الصوتية، وأحياناً يتركها على إطلاقها. لكنَّ ظواهره متعددة اللهجات، متعددة التمثيل. وبناء على المادة المدرستة فسوف يكون المنهج الوصفي هو المتخى. محاولين في بحثنا تصنيف المادة، وتبويبها، وإدراجها ضمن قواعد ميسّرة تمكن من العودة إليها والإفادة منها. ونظراً لطبيعة المادة في الكتاب فإنَّ الإحالات ستكون أحياناً إجمالية، لأنَّ سيبويه كان يستطرد كثيراً في كلامه. إذ كان يتحدث عنها في مكانٍ ما، وتحت عنوانٍ محدّد؛ ثم

يعود إلى الحديث عنها في مكان آخر لا صلة لعنوانه بها. وقد يتحدث عن حرفٍ ما في أبواب مختلفة، ومواضع متباينة.

أولاً - ظاهرة الوقف :

يقع المقطع الأخير من المصرع، أو من البيت الشعري، أو من الجملة النثرية، أو من جزء منها موقعاً خاصاً يدعى "الوقف". وهو مما يشترك فيه الاسم والفعل والحرف^(١). وقد درس سيبويه هذه الظاهرة دراسة مطولة ومتشعبة، وجعلها ضمن دراساته الصوتية والصرفية والنحوية خالية من التبوب والترتيب، فجاءت في أجزاء الكتاب في الأبواب التي عقدها لهذه الظاهرة، وفي أبواب أخرى، ليس المقصود منها شيئاً من الوقف. ويمكن أن نميز نوعين من الوقف عنده:

أ - الوقف بزيادة صوت :

١- زِيادة الْهَاءُ: تزاد الهاء التي يسميها سيبويه "هاء السكت" في آخر الكلمة عند الوقف، ويراد من هذه الزيادة إثبات حركة الحرف المتحرك في آخر الكلمة. ويكون ذلك في الفعل المعتل الآخر، نحو: ارمِه، ولم يغَرْهُ، واخْشَهُ، ولم يقْضِهُ، وفي اللفيف المفروق، نحو: إِنْ تَعْ أَعِهُ، وَلَا تَعْهِهُ؛ وذلك لذهبان حرفين منه. وقد تبدل حركة عين الفعل فتقلب كسرة، نحو: ادعِه من دعا يدعُه؛ وذلك لتوهم بعض العرب أن حركة العين ساكنة في موضع الجزم، وهي لغة رديئة وغلط^(٢).

وتزداد الهاء أيضاً بعد نون المثنى والجمع والتوكيد، نحو: هما ضارباهُ، وهم قاتلُونَهُ، وضربُتَّهُ، وذهبَتَّهُ؛ كي لا يلتقي ساكنان عند الوقف. وتزداد بعد الميم في قولهم: ثُمَّهُ، وهلْمُهُ. كما تزداد فيما انتهى بحرف قبله ساكن، نحو: كيَّفَهُ، ولَيْتَهُ، ولعلَّهُ، وانطلقتَهُ في: انطلقتَ، وإنَّهُ في: إِنَّ^(٣).

وتزداد الهاء لبيان حركة الحرف الأخير وإن تحرك ما قبله، نحو: هذا غلامِيهُ، وجاء

١- انظر شرح المفصل لابن عبيش، عالم الكتب بيروت، مكتبة المتبي القاهرية، ٩: ٦٧ .

٢- انظر: الكتاب لسيبوه، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب بيروت، ٤: ١٥٩، ١٦٠ وهذه الماءات للوقف ليست ضمائر.

٣- نفسه ٤: ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧ .

من بعديه، وإنَّه ضربٌ لِهِ، وهَيَّهُ فِي هِيَ، وَهُوَ فِي هُوَ، وَخَذْهُ بِحِكْمَكَهُ .
وتزداد الهاء لتدل على حرف محفوظ، نحو علامَهُ، وفيَّهُ، ولَمَهُ، وبِّيَّهُ، وَحَتَّامَهُ؛
في: علامَ وَفِيَّهُ وَلَمَهُ وَحَتَّامَ الْاسْتَفَاهَمِيَّةِ^(٤).

وتزداد الهاء بعد الألف الخفية لبيانها، نحو هؤلاهُ، وهناء. وبعد ألف النسبة ويائها
ووأوها؛ لأن ذلك موضع تصويب وتبيين كما يقول سيبويه، نحو: يا غلاماً،
وواغلامَهُونَهُ^(٥).

وتزداد في الوقف على المنادي المرخص لتدل على المحفوظ، كالترخيم في: يا سَلَّمَهُ،
ويا طَلَحَهُ^(٦). والترخيم في خمسة عشر، إذ تبَيَّنَ الهاء في الوقف فنقول يا خمسَهُ^(٧).
وقد تكون هذه الهاء بدلاً من التاء التي تلحق الاسم للتأنيث؛ فإن وصل هذا الاسم
كانت علامة التأنيث فيه التاء، وإن وَقَفَ عَلَيْهِ لحقه الهاء، نحو: هذه تمرة وطلحة. أما
إذا لم تكن التاء للتأنيث فإنه لا يوقف بالهاء، كالتاء الملحدة في أخت وبنَت^(٨).

٢ - الوقف بزيادة غير الهاء : ويكون بزيادة الألف في حالة النصب في الوقف
على التنوين، كي لا يلتبس التنوين بالتون، نحو: رأيَت زيداً^(٩)، وكزيادتها في نحو
قول العرب: حَيَّهُلَا فِي حَيَّهُل، فإذا وصلوا قالوا: حَيَّهُل بَعْمَر^(١٠). ويكون أيضاً بمد
الحركة وإشباعها كقولهم: أنا، إذ الأصل كما يرى سيبويه هو "أَنْ"^(١١).

ومن العرب من يلحق السين بضمير الكاف المتصل الذي يدل على المؤنث، فيقول:
أَعْطَيْتِكُسْ، وأَكْرَمْكُسْ، في الوقف على أَعْطَيْتِكُ وَأَكْرَمْكُ، وبعضهم يُلحق الشين،
فيقول: أَعْطَيْتِكُشْ، وأَكْرَمْكُشْ في أَعْطَيْتِكُ وَأَكْرَمْكُ. وهناك من يُلحق بهذه الكاف أَفَا

٤ - نفسه: ٤، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦.

٥ - الكتاب: ٤: ١٦٥ - ١٦٦ .

٦ - انظر: الكتاب: ٢: ٢٤٢ .

٧ - نفسه: ٢: ٢٦٨ .

٨ - الكتاب: ٤: ١٦٦ .

٩ - الكتاب: ٤: ١٦٦ .

١٠ - نفسه: ٤: ١٦٣ - ١٦٤ .

١١ - نفسه .

في المذكر، وياء في المؤنث؛ وذلك إذا وقعت بعد هذه الكاف هاء الإضمار، فيقول: أَعْطِيَكَاهُ، وأَعْطِيَكَاها في الوقف على أَعْطِيكَاهُ وأَعْطِيَكَاها، وأَعْطِيَكِيهِ في الوقف على أَعْطِيَكِيهِ وأَعْطِيَكِهِ. ويروي سيبويه عن الخليل أن هناك من يقول: ضَرَبَتِيهِ في ضَرَبَتِيهِ، وهو قليل^(١٢).

ب - الوقف بغير زيادة :

١ - الوقف على آخر الكلمة المتحركة في الوصل^(١٣): ويكون ذلك بأربعة أوجه:
 أ - الإشمام: "... وهو تهيئة العضو للنطق بالضم من غير تصويب، وذلك بأن تَضَمَ شفتيك بعد الإسكان، وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج منه النفس، فيراهما المخاطب مضمومتين ..."^(١٤)، فيعلم أن المراد بضمها هو الحركة. وعلامة نقطة فوق الحرف، نحو: هذا خالد، وهذا فرج، وهو يجعلُ، ولا يكون الإشمام إلا في المرفوع بالضم، أما النصب والجر فلا إشمام فيها.

ب - الرُّوْم: وهو صوت ضعيف نروم به الحركة، ونختلسها اختلاساً، ولا نتَمَها. وعلامة خُطٌّ بين يدي الحرف^(١٥)، ويكون في الرفع والنصب والجر، نحو: هذا عَمَرْ، ورأيتُ الْحَارِثَ، ومررت بخالد.

ت - التسْكين أو عدم الإشمام: وهو الذي يسميه سيبويه ما أجري مجرى الساكن والمجزوم، وهو الأصل في الوقف والأغلب والأكثر استخداماً. والمراد به سلب حركة الحرف، وعلامة خاء فوق الحرف الذي نقف عليه^(١٦). ويكون في الرفع والنصب والجر، نحو: هو يجعلُ، ورأيتُ الْحَارِثَ، ومررت بخالد.

ث - التضييف: ويراد به تضييف الحرف الموقوف عليه؛ بزيادته حرفًا مثله، فيصير كا لإدغام. وهذا التضييف من زياادات الوقف؛ لأنَّه يُحرّك عند وصل

١٢ - انظر: الكتاب ١٩٩: ٤-٢٠٠.

١٣ - انظر: الكتاب ١٦٨: ٤-١٧٢. والمقصود بذلك الوقف على الحرف الذي يحمل حركة إعرابية.

١٤ - شرح المفصل، ٩: ٦٧.

١٥ - نفسه، ٦٨-٩: ٦٧.

١٦ - نفسه.

الكلام^(١٧). وعلامة الشين فوق الحرف المضعف، ويكون في الرفع والنصب والجر، نحو: هذا فرج ، ورأيت أحمـ ، ومررت بخالـ ، ولا يقع التضييف فيما كان قبله حرف ساكن، نحو: عـمرو ، وزـيد.

وقد جعل سيبويه الخاء لما أجري مجرـى الساكن أو المجزوم؛ لأنـها أولـ كلمة خـفـيفـ، فـدلــ بها على السـكـون لأنـه تـخـيـفـ، وجـعلــ حـرـفــ الشـينــ لـلتـضـيـفـ؛ لأنـهــ أولــ كـلـمــةــ شـدــيدــ، فـدلــ بهــ عـلــيــهــ لأنــهــ مـشــدــدــ، وجــعــلــ النــقــطــةــ لــلــإــشــامــ، وــالــخــطــ لــلــرــوــمــ؛ لأنــ الإــشــامــ أــضــعــفــ منــ الرــوــمــ وــالــنــقــطــةــ أــنــقــصــ مــنــ الــخــطــ^(١٨). وأــظــنــ أنــ هــذــهــ الــحــرــوــفــ الــتــيــ جــعــلــتــ ضــوــابــطــ فــوــقــ الــحــرــفــ دــلــيــلــ عــلــىــ كــمــيــةــ الــهــوــاءــ الــمــحــبــوــســ فــيــ الرــتــنــيــنــ.

٢— الوقف على الهمزة: إذا كان الحرف مهموزـاً مسبـقاً بـساـكنـ وـقـفــ عـلــيــهــ بـالــإــشــامــ أوــ بـالــرــوــمــ أوــ بـالــســكــونــ وــالــجــزــمــ، نحو: هوــ الــخــبــءــ وــالــخــبــءــ وــالــخــبــءــ . ويــوقــفــ عــلــيــهــ أــيــضاًــ بــإــلــقاءــ حــرــكــةــ الــهــمــزــةــ عــلــىــ الســاـكــنــ قــبــلــهــ، نحو: هوــ الــوــثــوــ، وــمــنــ الــوــثــيــ، وــرــأــيــتــ الــوــثــاـ، وــهــوــ الــبــطــوــ، وــمــنــ الــبــطــيــ، وــرــأــيــتــ الــبــطــاـ^(١٩). وبــعــضــ الــعــرــبــ يــحــذــفــ الــهــمــزــةــ فــيــ الــوــقــفــ وــلــاـ يــحــقــقــهــ؛ بلــ يــجــعــلــهــاـ وــاـوــاـ أوــ يــاءــ أوــ أــفــاـ، نحو: هذاــ هــوــ الــكــلــوــ، وــرــأــيــتــ الــكــلــاـ، وــمــنــ الــكــلــيــ^(٢٠). والــوــقــفــ عــلــىــ الــهــمــزــةــ مــمــاـ يــحــمــلــ حــرــكــةــ إــعــرــاـيــةــ.

٣— الوقف بنقل الحركة: ويــكــونــ فــيــمــاـ حــمــلــ حــرــكــةــ إــعــرــاـيــةــ وــفــيــ غــيرــهــ: فإذاــ كــانــ قــبــلــ آخرــ حــرــفــ فيــ الــكــلــمــةــ حــرــفــ ســاـكــنــ نــقــلــنــاـ حــرــكــةــ الــحــرــفــ الــأــخــيــرــ إــلــيــهــ وــســكــنــاهــ، كــيــ لاــ يــلــتــقــيــ ســاـكــنــاـ، وــيــكــونــ ذــلــكــ فــيــ الرــفــعــ وــالــجــرــ فــقــطــ، نحو: هــذــاـ بــكــرــ، وــمــنــ بــكــرــ، وــلــاـ يــكــونــ فــيــ الــمــنــصــوبــ، إــذــ لمــ يــقــولــواـ: رــأــيــتــ الــبــكــرــ^(٢١). وــقــدــ يــكــونــ هــذــاـ النــقــلــ بــإــتــبــاعــ الــحــرــكــةــ، كــقــولــهــ: هــذــاـ عــدــلــ وــفــســلــ، أــتــبــعــواـ حــرــكــةــ الــحــرــفــ قــبــلــ الــأــخــيــرــ (ــهــ، ســ)ــ حــرــكــةــ الــحــرــفــ الــأــوــلــ(ــعــ، فــ)ــ؛ لأنــهــ لــيــســ فــيــ كــلــامــهــ فــعــلــ. وــكــذــكــ قــالــلــوــاـ مــنــ الــبــطــوــ لــأــنــهــ

١٧ — نفسه .

١٨ — انظر: شــرــحــ الــفــصــلــ ٩ــ:ــ ٦٨ــ،ــ ٦٧ــ ...

١٩ — انظر: الــكــتابــ ١٧٧ــ:ــ ٤ــ .

٢٠ — نفسه ٤: ١٧٩ــ .

٢١ — الكتاب ٤: ١٧٣ــ .

ليس في الأسماء وزن فعل، وقياس ذلك كله: هذا عَدْلٌ، وفَسْلٌ، ومن البُطْئِ (٢٢).
ومما يوقف عليه بنقل الحركة بـباب سماه سيبويه "باب الساكن" ، الذي تحركه في الوقف، إذا كان بعده هاء المذكر، الذي هو علامة الإضمار، ليكون أبين لها كما أردت ذلك في المهمزة "(٢٣)"، نحو: ضَرَبَتُهُ، واضْرَبْتُهُ، وَقَدْهُ، وَمِنْهُ فِي ضَرَبَتُهُ، واضْرَبْتُهُ، وَقَدْهُ، وَمِنْهُ.
حيث حُرِّك الساكن بإلقاء حركة الهاء عليه. ويقول بعض بنى عدي في ضَرَبَتُهُ وَأَخْدَتُهُ: قد ضَرَبَتُهُ، وَأَخْدَتُهُ، بتسكن الهاء وتحريك ما قبلها كي لا يلتقي ساكنان.

٤— الوقف على حروف المد واللين إن كانت حروف إعراب أو لم تكن :
إن الواو والياء والألف حروف غير مهمومة، ومخارجها متسعة لهواء الصوت،
فلا يصح أن نضمّها بالشفة أو اللسان أو الحلق بل نجعل الصوت يهوي معها حتى
ينقطع آخره في مخرج المهمزة .

ولكن هذه الحروف ليست على استقرارها واطرادها بهذا الشكل لدى جميع العرب،
فقد يوقف عليها بإيدال حرف منها مكان آخر كقولهم في أفعى: هذه أفعى، وفي جبل: هذه حُبْليٌ، وهي لغة قليلة الاستعمال تكلمت بها قبيلنا فزارة وقيس، والصواب فيها كما يرى سيبويه أن تترك الألف في الوقف ولا تبدلها ياء، وبعض العرب يقول أفعوا
بإيدالها وأواً لأنها أبين من الياء (٢٤).

وهناك من يجعل الجيم مكان الياء في الوقف؛ لأن الياء حرف خفي، والجيم حرف أبين منه، نحو: هذا تميّج في تميمي، وعلّج في علي (٢٥)، وسعّرج في سعدّي (٢٦).

وتحذف من آخر الأسماء — عند الوقف — الياء المحذوفة في الوصل، نحو: هذا قاضٌ وغازٌ في قاضٍ وغازٍ. وتحذف الياء أيضاً في الفواصل والقوافي (٢٧)، كقوله

٢٤— نسخة ٤: ١٧٣، ١٧٧.

٢٥— نسخة ٤: ١٧٩. وانظر أيضاً عن ١٨١، ١٨٠.

٢٦— انظر: الكتاب، ٤: ١٨١، ٤: ١٨٢.

٢٧— نسخة ٤: ١٨٢.

٢٨— نسخة ٤: ٤٤٢.

٢٩— انظر: الكتاب : ٤: ١٨٥.

تعالى: «وَاللَّلَّٰٰ إِذَا يَسِرٌ»^(٢٨)، و«مَا كُنَّا نَبْغُ»^(٢٩)، و«يَوْمَ التَّنَادِ»^(٣٠). والمقصود بالفواصل رؤوس الآيات، ومقاطع الكلام.

وتحذف الياء أيضاً إذا لم تكن محفوفة في الوصل ولا يلحق بها التنوين، نحو: هذا غلام في غلامي، وقد أسلقان في أسلقاني عند الوقف^(٣١). وترك الحذف في كل هذا أكثر قياساً وأطراضاً.

ولا تتحذف هذه الياء إذا كانت في اسم منقوص منصوب أو في فعل نحو رأيت قاضياً، ولا أقضى، وهو يغزو، ويرمي، ولكنهم قالوا لا أذر بالحذف عند الوقف؛ لأنَّهكثر في كلامهم^(٣٢).

ويمتنع حذف هذه الياء إذا كان قبلها ساكن، نحو: هذا قاضي، وهذا غلامي، ورأيت غلامي، وإذا لم تكن في الوقف نحو: هذا غلامي فاعلم. ولا تتحذف الألف التي تذهب في الوصل نحو: رضا، ونها^(٣٣).

٥- الوقف على بعض الحروف الخاصة^(٣٤):

وهي حروف القلقلة، والحروف المهموسة، والحروف المشربة كما يسميتها سيبويه. ويكون الوقف عليها إما بالضغط، وإما بالنفخة. أما الضغط فيكون مع حروف القلقلة (ق، ط، ب، ج، د) فالوقوف معها لا يكون إلا بالصوئية لشدة ضغط الحرف، نحو: الحذق. وأما النفخة ف تكون مع الحروف المهموسة كلها، ومع الحروف (ز، ظ، ذ، ض) المشربة. فإذا وقفنا عندها خرجت معها نفخة، ولم تضطر كالحروف السابقة، وينسل آخر الصوت من بين الثنائي فيجد منفذًا له نحو: هذا نَشْرٌ، وهذا خَفْضٌ.

وهناك حروف لا يسمع معها التصويب، ولا تجد منفذًا لها من بين الثنائي، وهي

٤٢٨—الفجر

٤٢٩—الكهف

٤٣٠—غافر

٤٣١—نفسه ٤: ١٨٦.

٤٣٢—نفسه ٤: ١٨٤.

٤٣٣—انظر: الكتاب ٤: ١٨٧.

٤٣٤—انظر: الكتاب ٤: ١٧٤ وما بعدها.

(ل، ن، م، ع، غ، ء). ويقول فيها سيبويه: "ومنها حروف مُشربة لا تسمع بعدها في الوقف شيئاً مما ذكرنا؛ لأنها لم تُضْنَخْ ضغط الفاتح، ولا تجد منفذًا كما وُجِدَ في الحروف الأربعه ..."^(٣٥).

٦- الوقف بإبدال حرف مكان آخر :

ويُفهَمُ هذا النوع من الوقف؛ من الباب الذي سمَاه سيبويه: "هذا باب الكاف التي هي علامة المضمر"^(٣٦) فالكاف التي هي ضمير متصل مكسورة في المؤنث ومفتوحة في المذكر، نحو: رأيتك ورأيتاك.

ولكن بعض تميم وأسد يجعل مكان الكاف في المؤنث شيئاً للبيان والوقف؛ لأن هذه الكاف تسكن عند الوقف، فأرادوا بيانها كي لا يلتبس المذكر بالمؤنث، وفصلوها بينهما بالشين كما فصلوا بالنون، عند قولهم: ذهباوا، وذهبن، وجعلوا مكان الكاف المهموسة حرفاً مهماً مثلاً لها هو الشين؛ لأنه أقرب ما يشبهها، فقالوا: إِنْ شِ ذَاهِبَةً، وَمَا لَشِ ذَاهِبَةً، فـي إنك ذاهبة، وما لك ذاهبة .

٧- الوقف على نون التوكيد:^(٣٧)

النون الخفيفة: إذا كان ما قبلها مفتوحاً نجعل مكانها ألفاً، نحو: اضرِيَا في اضرِيَنْ (الأمر من المفرد) أما إذا كان ما قبلها مكسوراً أو مضموماً فلا نجعل مكانها ياء ولا واواً في الوقف، نحو: اخْشِيَ، واحْشُوَا، ونحن نقصد النون الخفيفة. ولكن يونس يذهب إلى زيادة الياء والواو بدلاً منها فيقول: اخْشِيَ، واحْشُوَا. وإذا وقعت في فعل مضارع مرفوع تحذف وتحل محلها نون الرفع التي يوقف عليها بالسكون، نحو: تضرِيَنْ، وهل تضرِيَنْ، وهل تضرِيَانْ، ولا تقول: هل تضرِيَنا (في الوقف) .

النون الثقيلة: لا تتغير في الوقف، وتبقى الألف التي قبلها في فعل الاثنين، نحو: لا تفعلانْ ذلك.

٣٥- نفسه ١٧٥:٤ والمقصود بالحروف الأربعه هي الحروف المشربة .

٣٦- انظر: الكتاب، ٤:١٩٩

٣٧- انظر: نفسه ٥٢١-٣:٥٢٧

٨- الوقف على قوافي الشعر:

ومما يتصل بظاهرة الوقف ما درسه سيبويه تحت عنوان " هذا باب وجوه القوافي في الإنشاد" (٣٨)، وهو يريد بذلك نوعاً من أنواع الوقف سمّاه بالترنُم. ويمكن دراسة الوقف هنا من الناحيتين التاليتين:

الأولى: الإنشاد مع الترنُم: ويراد به مَدَ الصوت، وإشباع الحركة وإلحاد الألف والياء والواو بما يُنون وما لا يُنون. وتتحقق هذه المدة بحروف الروي؛ لأن الشعر وضع للغناء والترنُم، فمما ذكره سيبويه من المنون الذي مدّوا صوته، قول أمرئ القيس :

بسقط اللوى بين الدخول فحومٍ

فنا نبا من ذكري حبيبٍ ومنزلي

وقول يزيد بن الطثريّة :

قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعاً

فِيَتْنَا تَحِيدُ الْوَحْشُ عَنَّا كَانَنَا

وقول الأعشى :

غَدَّاً غَدِّاً أَمْ أَنْتَ لِلبيْنِ واجْمُ

هَرِيرَةً وَدَعْهَا وَإِنْ لَامَ لَائِمُ

فقد مَدَ الصوت في "منزلٍ إلى "منزلي"، وفي "مصرعاً" إلى "مصرعاً"، وفي "لائم" إلى "لائمٌ"؛ للترنُم في الإنشاد.

ومما هو غير منون، ومَدَ صوته؛ قول جرير :

وَقُولِي إِنْ أَصْبَتُ لَقْدَ أَصَابَا

أَقْلَى اللَّوْمَ عَادِلَ والعتابا

وقوله أيضاً :

سُقِيتَ الغيثَ أَيْتَها الخيامُ

مَتَى كَانَ الخِيَامُ بِذِي طَلُوحٍ

وقوله كذلك :

كَانَتْ مَبَارِكَةً مِنَ الْأَيَامِ

أَيَّهَاتَ مَنْزَلَنَا بَنَعْفٌ سُوَيْقَةٌ

فالأصل فيها: "العتاب" ، و"الخيام" و"الأيام".

الثانية: الإنشاد مع عدم الترنُم: والعرب على خلاف فيه :

فالحجازيون يتربكون هذه القوافي - منونة وغير منونة - كما هي في الترنُم، وقسم

من بنى تميم يبتلون مكان المَدَّ نوناً، كقول رؤبة :

يا أبنا عَلَكَ أو عَسَاكُنْ

وقول العجاج :

يا صاح ما حاج الدِّمْوَعَ الْذَّرْقَنْ

وقوله :

من طَلِّ كَالْأَلْحَمِي أَنْهَجَنْ

ومن العرب فريق ثالث، أجرروا القوافي مجرى الكلام النثري، فلم يتربعوا، وتركوا المدة، ووقفوا على السكون في قول جرير: "أقلَّ اللَّوْمَ عَاذِلٌ وَالْعِتَابُ" ، "بالسكون" ، وقول الأخطل :

دَعِ الْمُغْفَرَ لَا تَسْأَلْ بِمَصْرِعِهِ
واسأْلْ بِمَصْقَلَةِ الْبَكْرِيِّ مَا فَعَلَ
بحذف ألف من "فعلا" لأنه لم يرد الترنم ولا مذ الصوت .

كما وقفوا على حذف لام القافية: إذا كانت ياءً أو واواً، وحرف الروي قبلهما.

كتقول زهير :

ضُّنْ الْقَوْمُ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرُ
وَأَرَاكَ تَفَرِّي مَا خَلَقْتَ وَبَعْ
وهو ي يريد: لا يفري .

وكذلك يغزو، فلو كانت قافية لجاز فيها الحذف عند الوقف، ولقيل: يَغْزُ . أما إذا كانت اللام ألفاً فلا تحذف نحو: يخشى، ويرضى .

وتحذف واو الجماعة إذا لم يُرِدَ الترنم، كقول تميم بن مقبل :

لَا يُبَعِّدُ اللَّهُ أَصْحَابًا تَرْكُتُهُمْ
لم أذر بعد غادة البيْنِ ما صنَعْ
يريد: صنعوا . وقوله :

طافت بِأَعْلَاقِهِ خَوْدٌ يَمَانِيَةُ
تدعُ العرانيَنَ من بَكْرٍ وَمَا جَمَعَ
يريد: جمعوا . وتحذف الياء أيضاً في غير الترنم، كقول عنترة العبسي :
وعمي صباحاً دارَ عَلَيْهِ وَاسْلَمَ
يا دار عبلة بالجواء تكلم
يريد: تكلمي .

وإذا كانت القافية ساكنة، واحتاجوا لتحريكها في الوصل؛ حرکوها بالكسر، كقول

أمرئ القيس :

أَغْرَكَ مِنِيْ أَنَّ حَبَّيْ قاتلي
وأنكَ مهْمَا تَأْمُرِي القلبَ يَفْعَلْ

وقول طرفة :

متى تأتنا نصْبَحَ كأساً رَوِيَّةً

وإن كُنْتَ عنها غانياً فاغْنَ وازْدَدْ
وتمدّ الحركة بإشباعها إذا لم يكن وقف. كقول بعض العرب قالا في: قال، إذا لم
يُرِدْ أن يقطع كلامه، ويقولون في: يقول، ومن العامي في: من العام .

وقد يوقف على القافية بإقال الكلمة وتضييفها، نحو: سبِسًا وكلَّلا في: السبِسَ
والكلَّل، وقال رؤبة: ضَخْمٌ يُحِبُّ الْخَلْقَ الأَضْخَمَ (٣٩) في : "الأضخم"
وقال منظور بن مرثد الفقعي الأستدي: بِبَارِزٍ وَجَنَاءٍ أَوْ عَيْنَهُ (٤٠) في: "عَيْنَهُ".

ثانية— ظاهرة الإملالة :

الإملالة مصدر للفعل أمال يُمِيل، والميل الانحراف عن القصد. وهي في اللغة
"...عدول بالآلف عن استواه، وجنوح به إلى الياء، فيصير مخرجه بين مخرج الآلف
المفخمة وبين مخرج الياء، وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإملالة،
وبحسب بعده تكون خفتها، والتخفيم هو الأصل، والإملالة طارئة ... (٤١).

وقد درس سيبويه هذه الظاهرة، وجعلها عماداً لدراساته الصوتية والصرفية، ولكن
دراسته لها كانت تفصيلاً في اختلاف اللهجات في الآلف الممالة، لا تعقيداً أو تبويهاً
لها. فهو يرى أن العرب مختلفون في الإملالة، فمنهم من أمال، وهم تميم وأسد وقيس
وعامة أهل نجد، ومنهم من لم يُمِيل إلا في مواضع قليلة، وهم أهل الحجاز، ومنهم من
يُمِيل في موضع، ولا يُمِيل في آخر. ويمكن تصنيف موقفه من الإملالة على النحو
التالي :

١— الإملالة المطردة : ويمكن أن ندعوها قياسية، وتحدث عنها سيبويه في بابين اثنين:
الأول "باب ما تمال فيه الألفات" (٤٢)، والثاني "باب من إملالة الآلف، يميلها فيه ناس من
العرب كثير" (٤٣). ففي الباب الأول يتحدث عن الإملالة حديثاً مطولاً ومتشعباً، يغلب

٣٩— انظر: الكتاب ١:٢٩.

٤٠— انظر: الكتاب ٤:١٧٠.

٤١— شرح الفصل ٩:٥٤. وسوف نرمز لصوت الإملالة بكسرة تحت الحرف الواقع قبل الحرف الممالي.

٤٢— الكتاب، ٤:١١٧.

٤٣— نفسه ٤: ١٢٣.

عليه الاستطراد وعدم التبوب، ويمكن إجمال قواعده في هذا الباب عن الإملالة على النحو التالي :

- تتمال الألف إذا كان بعدها حرف حُركَ بالكسرة، نحو: عَابِد، عَالَم، ومساجِد .
- وتتمال الألف إذا كان الحرف الأول من الكلمة مكسورة، ففصل بينه وبين الألف بحرف واحد فقط، نحو: عَيَاد.

— وتتمال الألف إذا كان بين أول حرف من الكلمة وبين الألف حرفان، الأول منها ساكن، نحو: سِرْبِال، وشِمْلَل، وكِيَال، وشَيْبَان، وعَيَالَن، وغَيَالَن، وعَجَلَنَك .

— وتنعل فيما انتهي بياء أو واو وكان مفتوح العين، نحو: مَعْدِي، ومسْنِي، والعُصَيِّ، ودُعَا (٤٤).

— وتتمال فيما لحقته ألف زائدة للتأنيث أو غيره، نحو: حُبْلِي، ومعزِّي، والضُّحْيِ .

— وتتمال فيما كانت عينه ياء أو واواً لدى بعض أهل الحجاز؛ إذ قرأ بعضهم: صَيَار، وخَاف .

— وتتمال في وزن فاعل، نحو: كَاتِب، وسِاجِد، ومِاشِ، ودِاع، وقد شُبِّه به لدى بعض العرب: مَرَت بِيَابِه، وأَخْذَت مِنْ مَالِه .

ويتحدد في الباب الثاني عن الإملالة لدى الكثير من العرب، فقد تقع في الضميرين (ها، نا) المتصلين بالمضارع، نحو: يُريِدُ أَنْ يضرِبُهَا، ويريدُ أَنْ ينزِعَهَا، أو المتصلين بغير الفعل من أسماء وحروف، نحو: مِنْ مُضَرِبِهَا، وَبِهَا، وَبِنَا . وهذه الإملالة مقصورة على ما اتصل بالمنصوب أو المجرور، أما الضمير المتصل بالمرفوع فلا إملالة فيه، نحو: مُضَرِبُهَا وَيَكِيلُهَا .

وقد تقع الإملالة في الكلمة الواحدة إذا كان فيها ياء وبعدها حرف واحد ثم الألف، نحو: يَدَا، أو كان فيها حرف مكسور، فَصَلَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَلْفِ حَرْفٌ آخِرٌ، نحو: عَدَا، وَذَهَا، مِنْ "ذَهَ". وهذه الإملالة كما سبق أن أشرنا لِيُسْتَ مطردة عند العرب، فبعضهم يميل وبعضهم يترك الإملالة. وقد عبر سيبويه عن ذلك بقوله: "واعلم أَنَّهُ ليس كُلُّ من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممَّن يُميل، ولكنه قد يخالف كُلُّ واحدٍ من الفريقين

٤٤— الأصل في الياء المشددة ألف وباء، أي: مَعْدِي، ومسْنِي، والعُصَيِّ. أَمْيلت الألف فقلبت ياءً وأدغمت في الياء الثانية انظر الكتاب ١١٨—٤٤: ١١٩ .

صاحبها، فينصب بعض ما يُمْيلُ صاحبها ، ويُمْيلُ بعض ما ينصلب صاحبها...”^(٤٥)
والمقصود بالاطراد الذي ذكرناه في العنوان هو الاطراد أو القياس عند من يميل فقط.

٢- الإملالة الشاذة: وعقد لها سيبويه باباً سمّاه ”باب ما أُمِيلَ على غير قياس وإنما هو شاذ“^(٤٦)، وذلك نحو: **الحجاج** إذا كان اسمًا للرجل، حيث أملته العرب لأنّ الإملالة كثيرة لديهم، وكذلك: **الناس** وهذا باب ومال

٣- امتناع الإملالة^(٤٧):

١- هناك أحرف سبعة تمنع الإملالة معها هي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء،
والغين، والقاف، والخاء. وسبب منع الإملالة معها أنها حروف مستعملة تميل إلى الحنك
الأعلى، وكل من يميل الألف معها لا يؤخذ بعربيته على حد تعبير سيبويه. ويمكن
إجمال قاعدة هذه الأحرف فيما يلي:

أ- **مجيئها بعد الألف**: إذا أتى حرف منها بعد الألف امتنعت الإملالة، نحو: عاصم،
وعاضد، وعاظس، وعاظل، وواغل، ونacd، وناخل . وإذا أتى حرف منها بعد الألف
مفصولاً عنه بحرف امتنعت إملالته أيضاً، نحو: نافخ، ونافغ، ونافق، وشاحط، وناهض،
وناشط؛ أو إذا كان مفصولاً عنه بحرفين نحو: مناشيط، ومنافيخ، ومعاليق، ومقاريض،
ومواعيظ، ومباليغ ...

ب- **مجيئها قبل الألف**: إذا أتى حرف من هذه الأحرف قبل الألف مباشرة؛
امتنعت الإملالة، نحو: قاعد، وغائب، وحامد، وصاعد وطائف، وضامن، وظالم .

أما إذا كان بين أحد هذه الأحرف وبين الألف حرف واحد فلا تمنع الإملالة، على
أن يكون الحرف (من هذه الأحرف) مكسوراً، نحو: الضّعاف، والصّعاب، والطّناب،
والقياب، والخياث، والغلاب .

وكذلك إذا كان أحدها ساكتاً مفصولاً عن الألف بحرف لا تمنع الإملالة، نحو:

٤٥- الكتاب . ٤: ١٢٥ .

٤٦- نفسه . ٤: ١٢٧ .

٤٧- انظر: نفسه . ٤: ١٢٨ ، وما بعدها .

مطعّان، ومقلّات، ومصباح^(٤٨).

٢— وما لا تُتمَّلِّفُه مع غير هذه الأحرف أَلْفٌ فاعِلٌ ومُفَاعِلٌ من المضْعَفِ؛ لأنَّ الحرف الذي قبل الألف مفتوح، نحو: جَادٌ، وقادٌ، ومُجَادٌ^(٤٩).

٣— لا تُتمَّلِّفُ الْأَلْفُ التي مع الحروف، نحو: حَتَّىٰ، وعَلَىٰ، وَإِلَىٰ، وَأَمَّا...، ولكنَّهم أَمَالُوا "يَا" في النداء فقالُوا: يَا زِيدٌ. وكذلِكَ أَمَالُوا أَنِّي، وَبِا، وَتِا. وهذا جائز إذا أُمِّنَ اللَّبَسُ كما يفهم من عبارة سيبويه^(٥٠).

٤— حرف الراء والإملاء: للراء عند سيبويه أحكام تحدث عنها في بابين، الأول: "بابُ الراء"^(٥١)، والثاني: "بابُ ما يُمَالُ من الحروف التي ليس بعدها أَلْفٌ، إذا كانت الراء بعدها مكسورة"^(٥٢). فالراء تشبه الحرف المضْعَفِ، وهي بمنزلة الحروف التي تمتَّنُ معها الإملاء، وأحياناً يُمَالُ معها غيرُ الأَلْفِ، ويمكن تصنيف الإملاء معها على النحو التالي^(٥٣):

١— إذا كانت الراء قبل الألف تمتَّنُ الإملاء، نحو: هَذَا رَاشٌ، وَهَذَا فَرَاشٌ. وبعض العرب يُمَيلُها فيقول: عَفْرَا، وعِيرَا.

٢— إذا أَنْتَ الراء قبل الألف وفُصلَتْ عنه بحرف امتنع الإملاء، نحو: بِرْقَانٍ.

٣— إذا كانت الراء بعد الألف لا تُتمَّلِّفُ في حالي: ضَمَّ الراء وفتحها (رُّر)، نحو: "هَذَا عَارٌ" و"رَأَيْتُ الْعَارَ"؛ أما في حالة كسر الراء (ر) فلا تمتَّنُ الإملاء، نحو: مِنْ عَوَارِهِ، وَهَذَا قَارِبٌ، وَمِنْ الْمَعَارِ.

٤— إذا كانت الراء بعد الألف مفصولة عنه بحرف جاز فيها الإملاء، نحو: الْكَافِرُ، وَالْمَنَابِرُ، وَعَدَمُهَا عند البعض، نحو: الْكَافِرُ. والذين يُمَيلُونَها عند اجتماعها مع الألف، نحو: (قارب)؛ لا يُمَيلُونَها إذا فُصلَتْ عنه، نحو: (قادر)؛ لأنَّها بَعْدَتْ، فلم تقوَ على الإملاء.

٤٨— الكتاب، ٤: ١٣١ - ١٣٠.

٤٩— نفسه، ٤: ١٣٢.

٥٠— الكتاب، ٤: ١٣٥.

٥١— الكتاب، ٤: ١٣٦.

٥٢— نفسه، ٤: ١٤٢.

٥٣— الكتاب، ٤: ١٣٦ - ١٤٤.

٥— إذا أنت الراء مُضفِّعه بعد ألف تُمال عند بعضهم، نحو: مررت بفارٌ، وهذه صغارٌ، وترك عند آخرين.

٦— تُمال بعض الحروف التي ليس بعدها ألف بسبب وجود الراء، وذلك إذا وقع الحرف قبل راء مكسورة في كلمة واحدة، نحو: من الكِير، ومن الصَّغْر؛ أو في كلمتين، نحو: رأيت خَبَطَ الريْف. وقد تُمال فاء الكلمة إذا كانت عينها ساكنةً ولامها حرف راء، نحو: من عَمْرٍ، وهذا الكُفر.

٧— تُمتنع الإملالة مع الراء إذا كان بعد الراء حرفٌ من حروف الاستعلاء (خ ص ض ط ظ غ ق)، نحو: من الشَّرْق.

ثالثاً — ظاهرتا الإعلال والإبدال :

وهما مصطلحان مستخدمان في كتب الصرف العربي، يرجعان في أساسهما إلى ظاهرة صوتية تحكمها قوانين دقيقة، الغاية منها التجانس بين أصوات الكلمة الواحدة. وهو وإن عبرا عن ظاهرة واحدة هي التجانس الصوتي فإن كلاً منهما يختلف عن الآخر اختلافاً واضحاً.

فالإعلال هو ما تتعرّض له أصوات العلة من تغيرات قد تؤدي إلى حلول بعضها مكان بعض، أو حذف بعضها أو نقل حركته إلى غيره. أما الإبدال فهو أعم من ذلك وأشمل، حيث يراد به جميع حالات التبادل بين الأصوات، سواءً أكانت صحيحة أم معتلة، ويعد المتكلم فيه لحذف صوت من الكلمة والمجيء بأخر مكانه.

وقد تناول سيبويه هاتين الظاهرتين في كتابه، ولكن حديثه عنهما لم يكن ليختلف عن الظاهرتين السابقتين، من حيث الترتيب والتصنيف والتبويب، كما لم يكن ليخرج عن إطار الخلط بين الدرس الصوتي والدرس الصرفي لدى القدماء جميعاً. ويمكن تلخيص حديثه عنهما بما يلي :

أ— الإعلال: الإعلال عند سيبويه كما هو عند الصرفيين جميعاً يكون بالحذف والنقل والقلب .

١— الإعلال بالحذف^(٤): حذف الواو من المضارع والأمر والمصدر في مثل: يَعْدُ،

عد، عدة، زنة ...، وحذف الواو والياء من **اللفيف المفروق** في مثل: يشي، ويقي، وقيقة، وشيه. وهناك حذف في بعض الأسماء وهو حذف سماعي كما يرى سيبويه، مثل: يد ودم وحرّ وست وند....

٢ - الإعلال بالتسكين والنقل^(٥٥): ويقصد به سيبويه حذف حركة المعتل أو نقلها إلى الصحيح قبله، والغاية من ذلك تخفيف النطق والبعد عن التناقر والتقل الصوتي، ويشترط في نقل الحركة أن يكون الصحيح الذي تنتقل إليه الحركة ساكناً، نحو: يبيع، ويقول، ومهيب، ومبيع ... فأصلها: يَبْيَعُ، وَيَقُولُ، وَمَهِيبٌ، وَمَبْيَعٌ.

٣ - الإعلال بالقلب :

أ - قلب الواو والياء ألفاً^(٥٦): فالياء والواو إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما فتحة أصلية اعتلتا وقلبتا ألفاً، نحو: تاه، وطاح، وغزا، ورمى

ب - قلب الواو ياء^(٥٧): وذلك إذا سكتت بعد كسرة، نحو: ميزان، وميعاد، أو إذا اجتمعت مع الياء، نحو: سيد وصيّب، أو إذا كانت رابعة وأكثر، نحو: أغزيت وغازيت، أو إذا كانت لاماً في اسم على وزن فعلى، نحو: الدنيا، والعليا ...

ت - قلب الياء واواً^(٥٨): وذلك إذا سكتت بعد ضمة، نحو: موقد وموسر، أو إذا كانت لاماً في اسم على وزن فعلى كالشروعي والتقوى، أو إذا كانت عيناً، نحو: الطوبى والكوسى من الطيب والكياسة .

ث - قلب الواو والياء همزة^(٥٩): وذلك إذا تطرفتا بعد ألف زائدة، نحو: قضاء وسقاء، أو إذا وقعت إحداهما عيناً لاسم الفاعل، نحو: بائع وخائف، أو إذا وقعت إحداهما بعد ألف فعائل، نحو: عجائز، وصحائف، أو إذا كان في الكلمة حرفاً لين بينهما ألف، نحو: قوائل، وأوائل .

والحديث عن الإعلال يطول في الكتاب، وهو متاثر هنا وهناك، وربما كان مفتقرًا إلى المنهج في كثيرٍ من موطنـه.

٥ - انظر: مواضع ذلك في الكتاب ٤: ٣٣٩.

٦ - انظر مواضع هذا القلب في الكتاب ٤: صفحات: ٣٩٠، ٣٨٣، ٣٥٤، ٣٤٩، ٣٤٤.

٧ - انظر مواضع هذا القلب في الكتاب ٤: صفحات: ٣٣٥، ٣١٤، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٩٣، ٣٨٩.

٨ - انظر مواضع هذا القلب في الكتاب ٤: صفحات: ٣٨٩، ٣٤٩، ٣٦٤، ٤٢١.

٩ - انظر مواضع هذا القلب في الكتاب ٤: صفحات: ٣٤٨، ٣٦١، ٣٧٠.

ب – الإبدال :

درس سيبويه الإبدال في "باب حروف البدل، من غير أن تدغم حرفاً في حرف، وترفع لسانك من موضع واحد، وهي ثمانية من الحروف الأولى، وثلاثة من غيرها"^(١٠). ولكنه عندما تحدث عما سماه حروف البدل لم يقف عند هذا العدد بل تعداد إلى حروف أخرى قد يكون سببها الوقف أو الإدغام أو اللهجات أو غير ذلك، ولم يفرق في حديثه عن الإبدال بين القلب الذي يكون سببه الإعلال وبين الإبدال^(١١). ويمكن أن نقف في هذا الباب على إبدال الحروف التالية:

فالهمزة عنده قد تكون بدلاً من الياء في الإعلال بالقلب، نحو: قضاء، وقد تكون بدلاً من ألف حمرى في حمراء، ومن ألف جبل في الوقف، وقد تكون بدلاً من الهاء بعد الألف في ماء، وبديلاً من الواو نحو: أئور، وأسوق عند من لا يتحققون الهمزة، وكذلك تبدل منها نحو: أجوه في وجوه، وإسادة في وسادة.

والألف تبدل من الواو نحو ياجل من يوجل، وتبدل من الهمزة عند تخفيفها، نحو: راس في رأس، وباس في بأس .

والهاء تبدل من الهمزة نحو: هرقت وهرمت من: أرقت وأمرت، ومن الياء في اسم الإشارة هذه ...

والجيم تبدل من الياء في الوقف عند بعض بنى سعد، نحو علّج في عليّ، وتميمج في تميميّ .

والياء تبدل من الهمزة في التخفيف عند من لا يتحققون الهمزة، نحو: ميرّ في المئّ، وتبدل من الواو، نحو: بهاليل جمع بھلول، ومن الحرف المدغم كقيراط، ودينار لأن الأصل

فيهما قرّاط ودينار .

واللام تبدل من النون بشكل قليل، نحو: أصيلالٌ في أصيلان تصغير أصلان .

والنون تبدل من الهمزة في فعلان فَلَى، نحو: عطشان وسکران ...

٦٠ – الكتاب ٤: ٢٣٧ .

٦١ – قارن مثلاً ص ٣٤٨ من ج ٤، حين يتحدث عن قلب الواو والياء هرة، وبين ص ٢٣٧ من الجزء نفسه حين يتحدث عن إبدال الهمزة .

والطاء تبدل من التاء في افتعل إذا كانت الفاء ضاداً أو صاداً أو ظاءً أو طاءً، نحو:
اضطهد واصطبر ...

والdal تُبدل من التاء في افتعل إذا كانت بعد الزاي، نحو: ازدجر، ومزدجر ...
والتاء تبدل من الواو إذا كانت بعد كسرة، نحو: التّعد، وتبدل في كلمات أخرى نحو:
تراث وتخمة وانكأت من توکّات ...

واليم تبدل من النون نحو عمير في عنبر، ومن الواو في كلمة فم ومن يا اللداء في
اللهَمَ .

والواو تبدل من الياء كما في الإعلال بالقلب وكما في فتوى جمع فتيان، وتبدل من
الهمزة المبدلة من الياء أو الواو، نحو: كساوان وغطاوان.

هذا ملخص وجيز لحديث سيبويه عن الإعلال والإبدال. ولا شك في أننا نحترم
آراء سيبويه ونجلها، ونقدر جهوده الجبارية، ولا سيما أنه كان رائداً في هذا المجال،
شقّ الطريق الوعرة وحاول أن يسهل للأجيال من بعده سبيل تناول اللغة. ولكن عمله
لا يخلو من خطأ كثير. فموقفه من حروف العلة قد ارتبط بشكل الكتابة، حيث كان لديه
ثلاثة أحرف ترسم برموزها، وهي (الألف، والواو، والياء)، وفي نظره أنَّ الواو والياء
يعبران عن أربعة أصوات هي (ياء المد، وياء العلة، وواو المد، وواو العلة). ولكن
الحقيقة التي يقرّها الدرس الحديث غير ذلك^(٦٢).

فاللواو والياء المعتنان لا تكونان إلا حين تترافق الحركات، فتنشأ الحركة
المزدوجة التي تؤدي إلى وجود الصوت الانتقالـي الواو أو الياء. أما أصوات المد نحو:
(قلم، يقوم، يقيم) فليست أصوات علة على الرغم من اتحاد رمزيِّ الواو والياء،
والتباسهما في الكتابة برزمي صوتي العلة، وإنما هي حركات طويلة يمكن تجزئتها
إلى حركات قصيرة. وقد لاحظ ذلك ابن جني حيث قال: "اعلم أنَّ الحركات أبعاض
حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أنَّ هذه الحروف ثلاثةً فكذلك
الحركات ثلاث... ألا ترى أنَّ الألف والياء والواو اللواتي هنَّ حروفٌ تواأمْ كوامل،

٦٢— راجع حول ذلك فصلاً بعنوان: السواكن والعلل من كتاب دراسة الصوت اللغوي د. أحمد محitar عمر، عالم الكتب، القاهرة ص ١٤١—١٣٢. وانظر أيضاً "مناهج البحث في اللغة"، مطبعة التجاـح الجديدة، الدار البيضاء، ص ١٤١ وما
بعدها.

قد تكون في بعض الأحوال أطول وأتمّ منهاً في بعض...^(١٣).

وقد جعل سيبويه الهمزة مع هذه الأحرف الثلاثة في باب واحد مع أنه كان يدرك الفرق بينها وبين الألف من الناحية النطقية؛ حين وصفها وصفاً دقيقاً بقوله: "نيرة في الصدر تخرج بجهد، وهي أبعد الحروف مخرجاً"^(١٤). ولكنه لم يستطع التخلص من ارتباط الهمزة بالألف، فهي حيناً حرف علة، وحياناً آخر شبيهة بالعلة مع أنها صوت صامت، وحياناً ثالثاً مخففة عند بعض القبائل، وحياناً رابعاً منقلبة عن صوت آخر ...

ولا بد للباحث هنا من معرفة طبيعة الهمزة من الناحية الصوتية ليدرك مدى دقة كلام سيبويه في ربطها بأحرف العلة. فهي صوت يخرج من الحنجرة نتيجة انلاق الورتدين الصوتين تماماً، ثم انفتاحهما في صورة صوتية بين الجهر والهمس، وهي من الصوات^(١٥) أمّا أصوات العلة فهي انطلاقية تخرج من الفم بعيداً عن الحنجرة والحلق واللهاة، وهي مجهرة^(١٦). أضف إلى ذلك أنَّ حرف العلة (الواو والياء) يختلفان عن الهمزة، لأنَّ الهمزة صوت صامت مستقل، وهما صوتان مركبان انتقاليان؛ وبالتالي فلا علاقة صوتية بين الهمزة وبين أصوات المد والعلة. وهناك تباعد واضح ينفي وقوع الإبدال أو القلب بينهما والقول بحدوث الإبدال بين الهمزة وأصوات العلة قول خاطئ لا تؤيده الحقيقة العلمية ولا الصوتية للبعد بينهما؛ لأنَّ الإبدال - بشكل عام - يحدث على أساس التقارب بين الأصوات المتبادلية، وهذا التقارب لا يقوم إلا على أساسين من أسس الدراسة الصوتية :

الأول: هو أنَّ كلا الصوتين المتبادلين من الصوات؛ التي تتميز بطبيعة مشتركة تقوم على اعتراض طريق الهواء المندفع من الرئتين إلى خارج الفم. في حين نرى أنَّ الحركات أو أصوات العلة تتكون دون هذا الاعتراض .

الثاني: أن الصوتين المتبادلين كليهما متهدان أو متقاربان في المخرج؛ الذي هو مكان اعتراض الهواء بعد خروجه من الرئتين. فإذا توفر للصوتين هذان الأساسان من

٦٣ - سر صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق لجنة من الأساتذة، مكتبة مصطفى اليابي الحلبي بمصر ١٩١٠-٢٠٠٢.

٦٤ - الكتاب، ٥٤٨: ٣.

٦٥ - انظر: علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، د. محمود السعراوي، دار الفكر العربي، ص ١٥٧ وما بعدها.

٦٦ - انظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد العواب، مكتبة الحاخامي بالقاهرة، ص ٩١ وما بعدها.

القرابة الصوتية احتمل أن يحل أحدهما مكان الآخر، وإلا فلا.

وبناءً على ما تقدم نستطيع أن نقرر :

- ١— الأصل الغالب في الوقف هو السكون، ولا يوقف على متحرك (مقطع مفتوح). ومع أن سيبويه قرر الوقف في الكلام لكنه لم يطبقه تطبيقاً صحيحاً؛ لأنَّه اعتَبر حروف المد والعلة صوامت لا حركات. ولئن جاز ذلك بالنسبة إلى حروف العلة التي هي أنصاف حركات (الفتحة والضمة والكسرة)، فإنه لا يجوز بالنسبة إلى حروف المد.
- ٢— إذا كان سيبويه قد نص على أنه لا يبدأ بصادت بل بمحرك فقد أغفل النص على أنه لا يبدأ بحركة في الكلمة أو المقطع؛ لأنَّه لم يمنح الحركة وجوداً مستقلاً عن الصامت بل تصورها دائمًا تابعة له، وأخرج حروف المد والعلة من جملة الحركات، وهي في طبيعتها تكبير للحركات، وتركيب لا يُتساugh في بدء المقطع إلا بشروط خاصة، ولذلك رفضت اللغة الضمة إثُر وَاو والكسرة إثُر وَاو او ياء.
- ٣— من المعروف أنَّ العربية تكره النطق بمقاطع مفتوحة متواالية، ولا تعرف ظاهرة توالي الصوامت (السكون) في المقطع كما في اللغات الأوروبية. وبالتالي فهي ترفض توالي الحركات الكثيرة؛ لأنَّ هذه الحركات تضعف النظام المقطعي كما يرى المحدثون^(١٧). أما سيبويه فيراها تجعل النطق ثقيلاً.
- ٤— إن التحليل الصوتي للكلمات المهموزة يقودنا إلى وظيفة الهمز في العربية، فهو وسيلة للهروب من تتبع الحركات عماده تكوين مقطع عربي سليم من جهة، وهو صورة من صور التبر من جهة أخرى، وسنرى بعد ذلك أن معظم الإبدال عند سيبويه هو من قبيل المماثلة الصوتية .

رابعاً— ظاهرة المماثلة والمُخالفة :

أ— المماثلة :

هي مجموعة التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى، فتحول

٦٧— انظر: النهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ١٧٤.

الفونيمات المختلفة إلى متماثلة جزئياً أو كلياً^(١٨). وأساس هذا التحول هو الاتفاق في المخرج أو الصفة أو فيما معًا، فتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها ليحدث نوع من التوافق، والانسجام بعد شد وجذب .

والمماثلة هي الرديف المقابل لما سماه سيبويه الإدغام، وهو عنده ظاهرة موقعة سياسية مرتبطة بموقع محددة، يلتقي في كل منها صوتان سابقان منها ساكن أو مُسْكَن وبالتالي متحرك، ولا بد لإدغامهما من تحقيق شرط أو صفات خاصة . وهذه الدراسة عنده بعيدة عن اعتبار الإدغام جزءاً من النظام الصوتي، مع أنه اهتم بهذه الظاهرة ومهّد لها بحديثه عن الأصوات المفردة .

وللمماثلة أنواع فقد تكون كليلة أو جزئية وقد تكون تقدمية أو رجعية . وسوف نحاول أن نجمع تحت هذه الأنواع ما جاء في كتاب سيبويه مع ملاحظة أنه استخدم لهذه الأنواع مسميات مختلفة ودرسها جميعاً تحت عنوان واحد هو الإدغام الذي قسمه إلى إدغام في المتماثلين، وفي المتقاربين، وفي حروف طرف اللسان والثانية، وإلى مضارعة وقلب وتحفيض .

١ - المماثلة الكلية التقدمية : وهي أعلى درجات المماثلة، وفيها يتحد الصوتان المتنابعان في صوت واحد مشدد، ويؤثر الصوت الأول في الثاني ويجعله مثيلاً له إن لم يكن كذلك، فيحدث الإدغام . وقد درس سيبويه هذه المماثلة في أماكن متفرقة من كتابه، منها "باب الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعًا لا يزول عنه"^(١٩)، ووضع لهذا النوع عللاً وأصولاً تعود إلى ظاهرة كراهية التقاء الأمثل؛ لأن العربي يكره توالى الحركات في كلامه ويرفضها في الكلمة الواحدة إذا زادت حركاتها على أربع حركات . ويرى أن هذا النوع يحدث في الكلمة الواحدة كما يحدث في الكلمتين المتواлиتين اللتين يكون المثلثان فيما آخر الكلمة الأولى وأول الكلمة الثانية، ويمكن تقسيم هذا الباب عنده إلى الأقسام التالية^(٢٠):

١ - إذا توالىت خمسة حروف متحركة وكان الثالث والرابع مثيلين سُكُّن الثالث

٦٨ - انظر: دراسة الصوت اللغوي، ص ٣٢٤.

٦٩ - الكتاب ٤: ٤٣٧

٧٠ - انظر هذه الأقسام في الكتاب ٤: ٤٣٧ وما بعدها

وأدغم في الرابع، وهذا النوع أحسن حالات الإدغام كما يرى سيبويه، وتحريكه وبيانه عربيًّا جيد وحجازيٌّ، نحو: **جَعَلَكَ فِي "جَعَلَ لَكَ" وَفَعَلَلَيْدَ فِي "فَعَلَ لَبَيْدَ".**

٢— إذا التقى المثلان وكان أولهما مسبوقاً بحرف متحرك واحد وتلي الثاني بساكن أصبح الإدغام حسناً، نحو: **يَدَ دَاوِدَ فِي "يَدُ دَاوِدَ".**

٣— إذا التقى المثلان المتحركان وكان قبل أولهما حرف مد كان الإدغام حسناً والبيان أحسن، نحو: **إِنَّ الْمَالَكَ فِي "إِنَّ الْمَالَ لَكَ" ، وَأَنْتَ تَظْلِمِينِي فِي "أَنْتَ تَظْلِمِينِي".** وذلك لأن حرف المد عند حدوث المماثلة (الإدغام) يكون بمنزلة المتحرك، ويرى سيبويه أن الواو والياء عند سكونهما تعاملان معاملة واو المد ويانه.

٤— إذا التقى المثلان المتحركان وبسبق أولهما بساكن امتنع الإدغام، نحو: **ابْنُ نُوحٍ، وَاسْمُ مُوسَى.**

٥— إذا كان أول المثيلين واواً بعد ضمة أو ياءً بعد كسرة (— وو، — ي ي) امتنع الإدغام وتترك المد على حاله في الانفصال، نحو: **ظَلَمُوا وَاقْدَأُوا**، واظلمي ياسراً.

٦— إذا كان أول المثيلين واواً ساكنة أو ياء ساكنة لا يمتنع الإدغام؛ لأن الياء والواو ليستا حرفي مد هنا، نحو: **اخْشِيَاسِرًا وَاخْشَوَاقْدَأً**، في **"اَخْشَيْ يَاسِرًا، وَاخْشَوَاقْدَأً".**

٧— ما يجري مجرى المنفصلين لا يجوز فيه الإدغام وإنما الإظهار، نحو: **اقْتُلُوا وَيُقْتَلُونَ**، وقد أدغم بعض العرب، فقال: **اقْتُلُوا وَيُقْتَلُونَ**.

ولا يقتصر هذا النوع من المماثلة على الصوتين المتماثلين بل قد يتتابع صوتان مختلفان لكن متقابلان في المخرج. ولكي يتم الإدغام أو المماثلة الكاملة لا بد من تحقيق المماثلة بين الصوتين المراد إدغامهما، وتسكن الصوت الأول إذا لم يكن ساكناً. ونرى ذلك عند سيبويه في باب إدغام المتقابلين^(٧١) نحو: **امْدَحْ عَرْفَةَ = امْدَحْ رَفَةَ**، **وَمُنْتَرِدٌ = مُنْتَرِدٌ**، **وَمُصْبَرٌ ← مُصْبَرٌ**، **وَمَزْتَانٌ ← مَزْتَانٌ** = **مَزَانٌ**، **وَاضْتَجَر ← اضْتَجَر** = **اضْتَجَر**، **وَمَظْلَم ← مَظْلَم** = **مُظْلَم**. و**خَبْطٌ** = **خَبْطٌ**، **وَانْتَكَر ← اذْكَر** = **اذْكَر**.

وهناك مماثلة كليلة تقدمية في حالة انفصال تتأثر فيها الحركات^(٧٢). فحركة الضمائر في ضمير النصب والجر الغائب المفرد المذكر (ـة) والجمع المذكر (ـهم) والجمع المؤنث (ـهن) والمثنى (ـهما) تتأثر بما قبلها من كسرة طويلة أو قصيرة أو ياء فتقابل الضمة كسرة أو ياء، وقد حافظت القائل الحجازية على هذا الأصل في نطقها، نحو: مررت بـهـو قبل، ولديـهـو مـاـل تـصـبـحـ بـهـ، ولـدـيـهـ، وـمـنـهـمـ ـمـنـهـمـ، وفيـهـ ـفـيـهـ. ويمكن أن نلاحظ هنا أيضاً تأثير الضمة على الواو وتولـد الواو من هذه الضمة بعد الإشباع، وتكسر الهاء لأن قبلها كسرة حينـاـ، نحو: بـهـيـ، وـبـدـارـهـيـ، ويـاءـ حينـاـ، نحو: لـدـيـهـيـ مـاـلـ^(٧٣).

وما تزال بقايا هذه الظواهر في القرآن الكريم رسمـاً وقراءـةـ. من ذلك قوله تعالى:
 «... ومن أوفـيـ بما عـاهـدـ عـلـيـهـ اللـهـ فـسـيـؤـتـيهـ أـجـراـ عـظـيمـاـ»^(٧٤).

٢- المماثلة الكلية الرجعية: وهذا النوع كسابقه يعتمد على الإدغام، ولكن الصوت الثاني هو الذي يؤثر في الأول ويحوله إلى جنسه فيتحد به. ونجد هذا النوع عند سيبويه في بابين اثنين هما: "باب الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد"^(٧٥) و"باب الإدغام في حروف طرف اللسان والثانيا"^(٧٦)، ولكن هذين البابين لا يخلوان من الخلط الكبير. إذ نرى فيهما مماثلة كليلة تقدمية ورجعية، ومماثلة جزئية تقدمية ورجعية، ومخالفة أيضاً. ونستطيع أن نلخص وجهة نظر سيبويه فيهما على النحو التالي:^(٧٧)

أـ في بـابـ المـتـقـارـبـينـ:

١ـ الميم والفاء والراء والشين تؤثر في مقارباتها التي قبلها فـتمـاثـلـهاـ وـتـدـغمـ فيـهاـ،

٧٢ـ انظر حول ذلك: التطور اللغوي ظاهره وعلمه وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ص ٢٥.

٧٣ـ نظر بـاـيـاـ في كتاب سـيـبـويـهـ بـعـنـوـانـ: بـابـ ثـبـاتـ الـيـاءـ وـالـوـاـوـ فـيـ الـمـاءـ الـيـيـ هـيـ عـلـمـةـ الـإـضـمـارـ، وـحـذـفـهـ، ٤:١٨٩ـ

١٩٨ـ

٧٤ـ الفتح ١٠

٧٥ـ الكتاب ٤: ٤٤٥ـ

٧٦ـ نفسه ٤: ٤٦٠ـ

٧٧ـ انظر لما سـيـأـتـ منـ قـشـيلـ: الكتاب ٤: ٤٤٥ـ ... ٤٧٦ـ

نحو: اصْحَمَطَرَاً في: "اصحب مطراً"، وادهفي في ذلك؛ في: "ادهب في ذلك"، ومرأيت في: "من رأيت"، وأخر شيئاً في: "أخرج شيئاً".

٢— مجموعة حروف تؤثر في مقارباتها تأثيراً رجعياً هي :

— الهاء والهاء (هـ + ح = حـ) نحو: اجْهَةَ حَمَلًا = اجْبَحَمَلًا .

— العين والهاء (ع + ح = حـ)، نحو: اقْطَعْ حَمَلًا = اقْطَحَمَلًا .

— الغين والهاء (غ + ح = خـ)، نحو: ادْمَغْ خَلْفًا = ادْمَخَفَلًا . و(خ + غ = غـ)، نحو: اسْلَخْ غَنْمَكَ = اسْلَغَنْمَكَ .

— القاف والكاف (ق + كـ = كـ)، نحو: الْحَقْ كَلَدَةَ = الْحَكَلَدَةَ . و(كـ + قـ = قـ)، نحو: انهك قطليناً = انهقُطليناً .

— النون قبل اللام والميم والسواء والياء (نـ + لـ = لـ، نـ + مـ = مـ، نـ + وـ = وـ، نـ + يـ = يـ)، نحو: منْ لَكَ = مَلِكَ، منْ مَعَكَ = مَمْعَكَ، منْ وَجَدَ = مَوْجَدَ، منْ يَكُونَ = مَيْكُونَ .

— لام التعريف تتأثر تأثيراً رجعياً بالباء والباء وال DAL والراء والراء والزاي والسين والشين والصاد والصاد والطاو والظاء واللام والنون، وتختفي معهن وتسمى لاماً شمسية، ولا تتأثر مع البوافي بل تظهر وتسمى قمرية. وقد أيدت الدراسات الصوتية ما جاء به سيبويه، ولا اعتراض على كلامه إلا فيما يتعلق بصوت اللام في بداية الكلمة يُراد تعريفها بكلمة (لوم) فسيبوويه ينطقه باللام الشمسية التي تختفي اختفاءً تاماً، ولكن اللام هنا تظهر بكل خصائصها كما تظهر لام التعريف في كلمتي الباب والحكاية وغيرهما. وبالتالي فهي قمرية لا شمسية. وربما يعود سبب هذا الخلط عند سيبويه إلى أن الإدغام عنده مجرد نطق مضعف للأصوات التي يتناولها لا أكثر ولا أقل^(٧٨).

ب— في باب حروف طرف اللسان والثنايا :

١— الطاء والباء والباء والظاء تتأثر بالضاد اللاحقة لها وتماثل فتصبح من جنسها ثم تدغم فيها، نحو: اضْبِطْ ضرْمَةَ = اضْبِضْرَمَةَ، اعْتَ ضرْمَةَ = انْعَضْرَمَةَ،

- ١- خُذ ضرمة = حضرّمة، ابعث ضرمة = ابعضّرة، احفظ ضرمة = احفضّرة^(٧٩).
- ٢- الشين تؤثر تأثيراً رجعياً في الطاء والثاء والدال والصاد والظاء والذال والثاء التي قبلها وتجعلها مدغمة فيها بعد التماثل، نحو: اضبّط شاكراً = اضبشاّكراً، انعت شاكراً = انعشاكراً، انقد شاعراً = انقشاعراً، عارض شاعراً = عارشاّعراً، احفظ شاعراً = احفشاّعراً، خذ شاكراً = خشاّكراً، ابعث شاكراً = ابعشاّكراً.
- ٣- الطاء تؤثر تأثيراً رجعياً في الدال والثاء والظاء التي قبلها وتجعلها مماثلة لها مدغمة فيها، نحو: انقد طالباً = انقطالباً، انعت طالباً = انعطالباً، احفظ طالباً = احفظالباً.
- ٤- الدال تؤثر تأثيراً رجعياً في الثاء والذاء والظاء التي قبلها، وتجعلها مماثلة لها ومدغمة فيها، نحو: انعت داود = انعدّاود، خذ داود = خُدّاود، اضبّط داود = اضبداّود.
- ٥- الثاء تؤثر تأثيراً رجعياً في الدال والذاء والظاء التي قبلها، فتتماثل معها وتُدغم فيها، نحو: انقد تلّك = انقتّلك، ابعث تلّك = ابعتّلك، انقط توأمًّا = انقوّاماً.
- ٦- الصاد تؤثر تأثيراً رجعياً في السين والثاء والذال والزاي التي قبلها فتتماثل معها وتُدغم فيها، نحو: احبس صابراً = احصّابراً، انعت صابراً = انعصابراً، خذ صابراً = خُصابراً، أوجز صابراً = او جصّابراً.
- ٧- الزاي تؤثر تأثيراً رجعياً في الصاد والسين والظاء والذاء والذال التي قبلها، فتتماثل معها وتُدغم فيها، نحو: افحص زردة = افحزّردة، احبس زردة = احبزّردة، اضبّط زردة = اضبزّردة، احفظ زردة = احفزّردة، منذ زمان = مزّمان.
- ٨- السين تؤثر تأثيراً رجعياً في الصاد والزاي والثاء والذال والظاء التي قبلها، فتتماثل التي قبلها، فتتماثل معها، وتُدغم فيها، نحو: افحص سالمًّا = افحسّالماً، رُزْ سلمة = رُسلمة، ذهبت سلمى = ذهبيّلى، قد سمعت = قَسّمعت، ابعث سلمة = ابعسّلماً، مُذ ساعه = مُسّاعه، احفظ سلمة = احفسّلماً.
- ٩- الظاء تؤثر تأثيراً رجعياً في الدال والذاء والظاء التي قبلها، فتتماثل معها، وتُدغم فيها، نحو: خذ ظالماً = خُظالماً، ابعث ظالماً = ابعظالماً، احبط ظالماً = احبظالماً.

- ١٠ - الذال تؤثر تأثيراً رجعياً في الطاء والثاء والذال التي قبلها، فتتماثل معها، وتدغم فيها، نحو: احفظ ذلك = احفلّك، ابْعَثْ ذَلِكَ = أبعَذْكَ.
- ١١ - الثاء تؤثر تأثيراً رجعياً في الطاء والذال والثاء التي قبلها، فتتماثل معها، وتدغم فيها، نحو: احفظ ثابتَا = احفثَثَتَا، خُذْ ثابتَا = خُثْثَثَتَا، انْهَتْ ثابتَا = انْعَثْثَثَتَا.

٣ - المماثلة الجزئية التقدمية^(٨٠) :

وهذا النوع من المماثلة يتناول الصفة لا المخرج، وفيه يتطابق الصوت مع الآخر تطابقاً نظيفاً لا مخرجاً. ونلاحظ هذا النوع عند سيبويه في باب البدل عندما تحدث عن إيدال الطاء من الثاء في صيغة افتعل، إذا كانت الفاء ضاداً أو صاداً أو ظاء أو طاء نحو: اضطهد، واصطبر، واطرد (و هنا المماثلة كلية وليس جزئية) واظظرل من اظللم التي تتحول إلى مماثلة كلية تقدمية وتصبح (اظلم). وكذلك نلاحظ هذا النوع في صيغة فلت، نحو: حصْنَتْ وفحصْطَ، من: حصْنَتْ عَنْهُ، وفحصْتَ بِرْجَلِي، ومثل إيدال الطاء من الثاء إيدال الذال من الثاء أيضاً في هذه الصيغة إذا كانت بعد الزاي، نحو: ازدحر، ومزدحر، وزادان، من: ازتجر، ومزتجر، وزتان. وفي كل هذه الأمثلة مماثلة جزئية أثر فيها الصوت الأول في الثاني ليتناسباً ويتجانساً في النطق.

٤ - المماثلة الجزئية الرجعية:

وهي التي يؤثر فيها الصوت الثاني في الأول، وقد تحثت سيبويه عن هذا النوع في بابين من كتابه، الأول "باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه، والحرف الذي يضارع بذلك الحرف وليس من موضعه"^(٨١)، والثاني: "باب ما تقلب فيه السين صاداً في بعض اللغات"^(٨٢). ومن الواضح أن المصطلحات الحديثة تختلف عن المصطلحات سيبويه الذي دعا هذا النوع مضارعة. فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها الذال يحدث فيها تماثل بتأثير الذال ويلحقها الجهر، نحو: مزْدَر في " مصدر"، والتزْدَير

٨٠ - انظر أمثلتها في الكتاب ٤: ٤٦٧ - ٤٧٧.

٨١ - الكتاب، ٤: ٤٧٧.

٨٢ - الكتاب، ٤: ٤٧٩.

في "التصدير" .. وقد شبّه بهذه الصاد الساكنة قبل الدال صادات متحركة لا تلحقها الدال نحو: مزادر في "مصادر"، وزراط في "صراط".

والسين إذا كانت قبل الدال تتأثر بها ويتغير صوتها للتماثل النطقي الرجعي، نحو: يزدُّل ثوبه في "يسدل ثوبه". وقد تقلب هذه السين صاداً في بعض اللغات، وذلك إذا جاء بعدها القاف أو الغين أو الخاء، نحو: صُقْتُ في "سُقْتُ"، وصالغ في "سالغ"، وصلخ في "سلخ"، وقد تقلب صاداً لقرب المخرجين والإطباق كصاطع في "ساطع".

والشين والجيم يتبدلان هذا التأثير عن طريق المماثلة إذا كانت الدال بعدهما، نحو: أحدق في "أشدق"، وأشدّر في "أجدّر"، واشتمعوا في "اجتمعوا".

ومثل ذلك صوت الباء الذي يؤثر في النون قبله فتصبح ميماً نحو: امبعث في "انبعث"، وعمير في "عنبر"، وشمباء في "شنباء". وقد تحدث سيبويه عن ذلك في باب البدل وفي أبواب أخرى تتصل بالإدغام^(٨٣).

بالمخالفة:

"هي تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين^(٨٤). وهي عكس المماثلة، ولكنها تحدث بصورة أقل منها. وقد تحدث سيبويه عن هذه المخالفة في باب يتصل بالإبدال عنه، سماه "باب ما شدَ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضييف"، وليس بمطرد^(٨٥)، وذلك نحو: تسرّيت من تسرّرت، وتنظّيت من تنظّنت، وتقصّيت من القصة... .

وقد تكون هذه المخالفة عند سيبويه في التخفيف غير المطرد، وتحدث عن ذلك في "باب ما كان شاداً مما خفّوا على ألسنتهم وليس بمطرد^(٨٦)، نحو: سِتٌ من سِدْسٍ، ووَدٌ عند تميم ووَتَّدٌ عند الحجازيين، وأحسّت من: أَحْسَنْتُ، وَمَسَنْتُ من: مَسَنْتُ، وَظَلَّتُ من: ظَلَّتُ، واستخدمن: أَتَّخذُ، وَطَّجَعُ من: أَضْطَجَعُ، وَيُسْتَعِيْعُ من: يُسْتَطِيعُ، وباعتبر من: بني العنبر، وبلحارث من: بني الحارث، وعلماء من: على الماء.

٨٣— انظر: الكتاب، ٤٤٠: ٤، ٤٥٣.

٨٤— دراسة الصوت اللغوي ص ٣٢٩، وانظر أيضاً البحث اللغوي عند العرب د أحمد محار عمر ص ١٣٤.

٨٥— الكتاب، ٤٤٤: ٤، وانظر أيضاً النظور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانيه، د. رمضان عبد العواب ص ٤٠.

٨٦— الكتاب، ٤٤١: ٤.

الخاتمة ونتائج البحث :

يتبيّن مما سبق أنَّ سيبويه كان أحياناً يصرّح بالظاهرَ اللغوِيَّة، وأحياناً أخرى يتركّها على إطلاقها، وهذا كثير جدّاً في كتابه^(٨٧). كما كان يُكثّرُ من الحديث عن اللهجات في أثناء تناوله الظاهرَة، مصريحاً أحياناً بأنَّ هذه الظاهرَة موجودة عند بعض العرب دون غيرهم^(٨٨). وهذا ما جعل ظواهره تحمل مادَّةً ثريَّةً جداً لدراسة اللهجات العربيَّة. وأظنَّ أنَّ غايته من ذلك هي حرصُه الشديد على تقديم اللغة في أدقّ وصفٍ وأكمل وجه. وممَّا يلاحظ عليه أنَّه لم يضع مصطلحات تميّز في وضوح قطاعات الأصوات، كما لم يميز بناء الكلمات عن بناء الجملة؛ لأنَّ كل ذلك يدخل عنده في مجال واحد هو النحو. ولكنَّ هذا لا يقلل من جهود سيبويه في دراسته الصوتية التي تأثر بها علماء اللغة على مدى قرون. فقد ظلَّ القدماء يدورون في فلكه، ويرددون عباراته ومصطلحاته، وتتأثر بكتابه كُلَّ من جاء بعده من النحاة واللغويين؛ لا في آرائه النحوية فحسب، بل في آرائه الصوتية كذلك، كالمبرد وابن جني والزمخشري، وشارح كتابه ابن يعيش، وغيرهم .

أما المحدثون فقد خالفوا سيبويه في بعض مواقفه، ولكن خلافهم يبقى خلافاً جزئياً، مجاله الواسع هو المصطلحات لا المادَّة، ومردَّه بعد الزمني بينهم وبين سيبويه، وتقدم العلم والاستعانة بالآلات إنتاج الأصوات والمخابر اللغوِيَّة وغير ذلك. فبقي الخلط أحياناً بين بعض هذه الأصوات .

ويبدو هذا جلياً واضحاً في أثناء حديثه عن الهمزة عندما جعلها مع أصوات المد والعلة في حقل واحد .

والحقيقة التي يستطيع الباحث أن يُخْطَّها هي أنَّ سيبويه تناول الأصوات اللغوِيَّة من مبدأ صحيح، وهو دراستها دراسة وصفية تقوم على الملاحظة الذاتية والبعد عن الافتراض والتأويل .

—٨٧— انظر مثلاً الكتاب ٤: ١٦٣، ١٦٨، ... ١٧٣.

—٨٨— انظر مثلاً الكتاب ٤: ١٢٥، ١٤٠، ... ٤٣٧.

المصادر والمراجع

- ١— ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، تحقيق لجنة من الأساتذة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الأولى، ١٩٥٤ م.
- ٢— ابن عييش، شرح المفصل، عالم الكتب بيروت، مكتبة المتنبي القاهرة.
- ٣— حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٧٩ م.
- ٤— السعريان، محمود، علم اللغة (مقدمة لقارئ العربي)، دار الفكر العربي، مصر، ط١، ١٩٩٢ م.
- ٥— سيبويه، الكتاب، تحقيق السيد عبد السلام محمد هارون، عالم، الكتب، بيروت.
- ٦— عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض.
- ٧— عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢، ١٩٨٥ م.
- ٨— عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتـي للبنية العربية (رؤية جديدة في الصرف العربي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠ م.
- ٩— عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى.
- ١٠— عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٦ م.

أنواع البديع في العصر المملوكي (عددها وتقسيم بعض أنواعها)

د. علي حيدر*

الملخص

ربما كان من أصعب الأمور على دارس علم البلاغة في العصر المملوكي، أن يستطيع حصر أنواع «البديع» الذي كان سمة مميزة للذوق الأدبي في هذا العصر.

ويبدو أن أصحاب البديع اختلفوا في عددها وفي أنواعها وفي تسمياتها، ولم يتتفقوا على أهميتها ودورها في العملية الإبداعية. لذلك يقوم هذا البحث بمحاولة فهم أسباب هذا الاضطراب من خلال مقارنة بين أهم الكتب التي تناولت هذا الموضوع، كذلك يعرض لأهم أنواع البيانية والبديعية التي تعرضت للتقسيم والتفرع مما جعل الإمام بها أمراً في غاية الصعوبة.

كلمات مفتاحية: بديع - أنواع - تقسيم - مملوك - اضطراب.

مقدمة:

بدأ القرن السابع الهجري بظهور كتابين في علم البلاغة كان لهما تأثير واضح في مؤلفات العصر المملوكي، الأول كتاب «مفتاح العلوم»^(١) لأبي يعقوب السكري^(٢) (ت ٦٢٦ هـ) والثاني «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر»^(٣) لابن الأثير الجزري^(٤) (ت ٦٣٧ هـ).

* أستاذ في قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة تشرين.

١ - نعتمد في هذا البحث بإصدار دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٢ - ترجمته في مقدمة كتاب «مفتاح العلوم».

٣ - نعتمد في هذا البحث بإصدار مطبعة هفظة مصر التي حققها وقدم لها أحمد الحوفي ويدوي طباه - الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٥٩ م.

٤ - ترجمته في وفيات الأعيان، ٥: ٣٨٩ - ٣٩٧، وفي مقدمة كتابه «المثل السائر».

اشتهر الكتاب الأول «ولاسيما القسم الثالث منه» بأنه أول كتاب قام بتبويب علم البلاغة وتنسيق أنواعه، إذ جعل البلاغة علمين : علم المعاني وعلم البيان، ثم الحق البديع بهما ،لأنه علم لا يؤثر في فصاحة الكلام وبلاوغته، بل هو يزريده حسناً .

بينما عرض ابن الأثير في كتابه، الذي جاء في مقدمة ومقالاتتين، لفنون الكتابة وأركانها، ثم تناول اللفظ المفرد^(١)، واللفظ في السياق^(٢)، ذاكراً من خلال ذلك أنواعاً بديعية تختص باللفظ المفرد، وأنواعاً أخرى تتناول تركيب الكلام وفصاحته وبلاوغته، من غير أن يشير إلى أنها تختص بعلم المعاني، أو علم البيان.

أهمية البحث وأهدافه :

تكمن أهمية هذا البحث في الوصول إلى بعض أسباب تعقيد علم البلاغة في العصر المملوكي .

منهجية البحث :

اعتمد البحث على المنهج التكاملـي .

عدد أنواع البديع :

حوالي منتصف هذا القرن «السابع الهجري» ظهر كتاب «بديع القرآن»^(٣) لابن أبي الإصبع المصري^(٤) (ت ٦٥٤ هـ). يوضح هذا الكتاب تطور ظهور كثير من الأنواع البديعية، لأن المؤلف يشير في مقدمته إلى أنه جمع كتابه اعتماداً على ستة وثمانين كتاباً نص عليها بالاسم، وأنه جمع في كتابه «تحرير التحبير»^(٥) مئة وستة وعشرين نوعاً بديعياً، ثم أفرد منها ما يختص بالقرآن الكريم في كتابه هذا، فكان لديه

٥ — المثل السائر، ١: ٢١٠ - ٤١٤ .

٦ — المصدر السابق، الجزءان الثاني والثالث.

٧ — قدم له وحققه حفيـ شرفـ، مكتبة فضة مصر - الطبعة الأولى، ١٣٧٧ـ - ١٩٥٧ م .

٨ — ترجمته: فوات الوفيات، ١/٣٧٤، وشذرات الذهب، ٥: ٤٣٩ . ومقدمة كتابه «بديع القرآن»، ٦٧-٩٦ .

٩ — لم يجد مطروعاً وقد أشار إليه محقق كتاب البديع وذكر أنه مخطوط رقم ٤٦٥ بلاغة دون الإشارة إلى مكانه .

مئة وثمانية أنواع بديعية، أخذ منها سبعة عشر نوعاً عن ابن المعتز^(١٠)، وأخذ ثلاثة عشر نوعاً عن قدامة بن جعفر^(١١) وأخذ تسعه وأربعين نوعاً عن جاؤوا بعد قدامة^(١٢). أما باقي الأنواع، وهي اثنان وثلاثون نوعاً، فقد أدعى أنها من اختراعه ولم يسبقها إليها أحد. لكن الحقيقة أن معظم هذه الأنواع موجودة عند أسلافه بأسماء مختلفة، أو مشابهة في دلالتها وغرضها البديعي، لكن هذا لا ينفي أهمية هذا الكتاب، فقد صار مصدراً يعتمد أهل البديع، حتى إن السيوطى^(١٣) (ت ٩١١ هـ) أخذ عنه هذه الأنواع، واعتمدها في كتاب «الإتقان في علوم القرآن»^(١٤).

في منتصف القرن الثامن الهجري، نجد أن أنواع البديع قد بلغت في بديعية صفي الدين الحلي مئة وخمسة وأربعين نوعاً^(١٥). وهذه البديعية كانت إحدى أربع بديعيات قارن بينها ابن حجة الحموي^(١٦) (ت ٨٣٧ هـ) في القرن التاسع، فكان من هذه المقارنة كتابه المشهور «خزانة الأدب وغاية الأربع»^(١٧).

هذا التفاوت الكبير بين عدد أنواع البديع التي جاءت عند السكاكي وابن الأثير، تلك التي جاءت عند ابن أبي الأصبع، وتكررت عند الحلي وابن حجة الحموي من بعده، يظهر بوضوح ميل النوق الأدبي والنفدي في العصر المملوكي إلى اختراع الأنواع البديعية، وإلى الإسراف في تقسيم هذه الأنواع وتفريعها، حتى أصبحت الإحاطة بها يفهمها أمراً صعب المنال، ويمكن رد ذلك إلى سببين أساسين هما:

١ - اختراع الأنواع البديعية وإدخال أنواع ليست من البديع:

جعل السكاكي علم البلاغة في علمين اثنين مما علم المعاني وعلم البيان، وألحق

١٠ - بديع القرآن، ١٧ - ٦٤، تبدأ بالاستعارة وتنتهي بـ «حسن الابتداءات».

١١ - المصدر السابق، ٦٥ - ٨٧، تبدأ بـ «صحة الأقسام» وتنتهي بـ «الإيقاع».

١٢ - المصدر السابق، ٩٣ - ٢٣١. أولاً «الاحتراس» وآخرها «التنوع».

١٣ - ترجمته: بخط يده في مقدمة كتابه «الإتقان»، ١: ٤ - ٥ و ٦ - ٧.

١٤ - تعتمد طبعة منشورات الرضي - زاهدي بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم في أربعة أجزاء.

١٥ - ديوان الحلي، ٦٧٦ - ٧٥٠ هـ. فيها سبعة أنواع من الجناس ثم في كل بيت نوع بديعي محدد.

١٦ - ترجمته، شذرات الذهب، ٢١٩/٧، وفي «الأدب العربي في العصر المملوكي والعثماني»، عمر موسى باشا، ١:

٤٩٤ - ٥٠٨.

١٧ - تعتمد طبعة دار القاموس الحديث للطباعة والنشر - بيروت - صدرت في مجلد واحد بأوراق من القطع الكبير.

بها فنون البديع بوصفها فنوناً تحسن الكلام لكن لا تؤثر في فصاحته وبلاغته. هذا التقسيم اتبعه جماعة ولasisma الفزويي (ت ٧٣٩هـ)، وشرح التلخيص^(١٨)، مما يفسر قلة أنواع البديع عندهم.

لكن بعض الأباء والنقاد في العصر المملوكي ومنهم ابن أبي الإصبع وابن حجة الحموي لم يتبعوا هذا التقسيم واستخدمو مصطلح «البديع» استخداماً مطابقاً لعلم البلاغة.

هذا يفسر كثرة الأنواع البديعية التي ذكروها، لذلك نجدهم قد أدرجوا التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية في أنواع البديع، وهي من أركان علم البيان، كذلك أدرجوا الحذف، والمبالغة والالتفات وغيرها، وهي أنواع تدخل في علم المعاني أي في الإيجاز والإطناب.

أي أن هؤلاء لم يعتنوا بتقسيم السكاكى، وظلوا على استخدام مصطلح البديع الذي كان سائداً قبل السكاكى، والذي كان يعني الإبداع الفنى، وليس بمفهوم العصر المملوكي الذى جعل البديع أنواعاً تحصى في النص من غير أن ينظر إلى تأثيرها الفنى فيه.

كذلك أدخل هؤلاء في البديع ما ليس منه، مثل «السهولة» و«الرقابة»، و«الانسجام»^(١٩).

وهي أحكام نقية لا تطلق عادة على فقرة نثرية أو بيت شعري، بل تطلق على نصوص كاملة أو إنتاج كامل لأحد الأباء. كذلك جعلوا من الأبيات الشعرية التي تحمل شيئاً من الحكمة وتسير بين الناس نوعاً بديعياً سماه ابن حجة «إرسال المثل»، وجاء باسم «التمثيل» عند ابن أبي الإصبع^(٢٠). وجعل ابن حجة «الأجاجي والأغار» نوعاً بديعياً، وكان ابن الأثير قد سبقه إلى ذلك^(٢١)، ولكن هذا النوع هو ظاهرة فنية تتعدى الغموض مما يجعلها لا تحسن الكلام، وهي مخالفة أصلاً لمفهوم الفصاحة والبلاغة.

١٨—«تلخيص المفتاح» للفرويني ومن أشهر شواحنه الفرويني نفسه، وسعد الدين الفغازى وعمر الدين السبكى.

١٩—خوازة الأدب، ص ١٨٩ - ١٩٠.

٢٠—المصدر السابق، ص ٣٤٠، ويدعى القرآن، ص ٨٤ - ٨٨.

٢١—المثل المسائر، ٣ : ص ٨٤ - ٩٥.

ولكثرة أنواع البديع وجد أهله حالات يتنازعها أكثر من نوع بديعي، فسمى ابن أبي الإصبع هذه الحالة «الإبداع»^(٢٢)، ونسب لنفسه فضل اكتشافها، بينما أطلق عليها ابن حجة اسم «المشوش»^(٢٣).

لذلك نجد عندهما حالات يعلقان فيها على فقرة أو بيت، فيستخرجان من أنواع البديع ما يزيد على عدد ألفاظه.

٢- التقسيم والتفریع في النوع الواحد:

وستتناول أشهر الأنواع التي خضعت لذلك، بادئين بـ «التورية»^(٤)، أو «الإيهام» أو «التوجيه» وهي من مابعد قدامة بن جعفر، فقد وردت في «العمدة» لابن رشيق وفي بديع ابن منذد، وقال عنها الزمخشري: إنها «باب في البيان ليس هناك ألطاف منه ولا أفعى ولا أعنون على تعاطي تأويل المتشابهات في كلام الله ورسوله».

وإذا كان الجميع يتتفقون على تعريفها بأنها لفظ مشترك يقصد الأديب منه المعنى بعيد، بينما يكون المعنى القريب الذي يتบรร إلى ذهن المتلقى غير مقصود، فإنهم اختلفوا في شواهدتها.

فابن الأثير الجزري ذكرها في كتابه «المثل السائر» فيما سماه «المغالطات المعنوية»^(٥) ورأى أنها أحلى ما استعمل في الكلام وألطفه لما فيه من التورية، ويرى أنها نوعان:

المغالطة المثلية: وهي التي تقع في اللفظ المشترك وشاهده قول المتنبي:
برغم شبّيب فارق السيف كففة
وكانا على العلات يلتقيان
رفيقك قيسٌ وأنت يمانى
كأنّ رقاب الناس قالّت لسيفي:

٢٢ — بديع القرآن، ص ٣٤٠ - ٣٤٣ ، و كرره «الإتقان في علوم القرآن» ، ٣ : ص ٣٣٠ - ٣٣١

٢٣ — خزانة الأدب، ص ٧١ .

٤ — وردت في العمدة ، و بديع ابن منذد ، و في «المثل السائر» ، ٣ : ٧٦ - ٨٣ ، و «مفتاح العلوم» ، ٤ ، و «التلخیص» ، ٣٥٩ - ٣٦٠ ، و «بديع القرآن» ، ١٠٢ - ١٠٣ ، و «الإتقان في علوم القرآن» ، ٣ : ٢٨٥ - ٢٨٧ .

٥ — المثل السائر ، ٣: ص ٧٦ - ٨٢ .

فقد وقعت التورية في لفظ «يماني» الذي يشير إلى الرجل المنسوب إلى اليمن، وإلى السيف المصنوع في اليمن. وقد أورد ابن حجة الحموي هذين البيتين شاهداً على التورية، ورأى أنهما أول شاهد وقع عليه أصحاب البديع في التورية^(٢٦).

أما المغالطة الضدية: فهي تقع في لفظ من الأضداد، أي يحمل معنين متضادين. ومن الشواهد التي يسوقها ابن الأثير قول أحدهم :

وَخَلَطْتُ بَعْضَ الْقُرْآنِ بِبَعْضِهِ فَجَعَلْتُمُ الشُّعْرَاءَ فِي الْأَنْعَامِ

ومن الواضح أن الشاهد لا يشير إلى تضاد في لفظ «الشعراء» أو لفظ «الأنعام» فهما يدخلان في المشترك اللغطي، الشعراء جمع شاعر، وسورة الشعراء، وكذلك الأنعام التي تربى لفائدة الإنسان، وسورة الأنعام.

والشاهد الثاني الذي يسوقه ابن الأثير قول أحدهم ، وهو وارد في لسان العرب في مادة «نفق» :

وَمَا أَشْيَاءُ تَشَرِّيْبًا بِمَا فَنِيْقَتْ فَأَكْسَدَ مَا تَكُونُ

ويذكر أن «نفق» بمعنى راج، ونفت الدابة ماتت. وهذا الشاهد أيضاً لا يحمل معنى التضاد، فنفوق الدابة ورواجها يعني ذهابها ونفادها، والسلعة حين تروج تنفق في الأسواق. وأعتقد أن هذا الشاهد يدخل في باب الأحاجي و الألغاز وليس في باب التورية.

أما الشواهد الأخرى فقد تداولها أصحاب البديع وكرورواها، ومن أشهرها الشاهد الذي نقله السيوطي عن الزمخشري، وهو قوله تعالى: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» وقد كرره السكاكي، ونقله القزويني عنه وذكره ابن أبي الإصبع و السيوطي في نهاية العصر المملوكي^(٢٧). وهو الشاهد على التورية «المجردة» أي ليس فيها ما يشير إلى المعنى القريب أو البعيد. أما التورية «المرشحة» التي فيها لفظ يلائم المعنى القريب فهو قوله تعالى: «وَالسَّمَاءُ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍِ» في الشاهد الأول وقعت التورية في «استوى» الذي له معنى قريب وهو الاستقرار بينما المعنى بعيد هو «الاستيلاء». والشاهد

٢٦ - خزانة الأدب ، ص ٢٣٩ ٢٣٩ وما بعدها .

٢٧ - بديع القرآن ، ص ١٠٢ - ١٠٣ . الإتقان في علوم القرآن ، ٣ : ص ٢١٧ - ٢٨٥ . والتلخيص في علوم البلاغة ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ . والآية طه ٥ .

الثاني وقوع التورية في «اليد» التي تعني الجارحة وهو المعنى القريب، ورسمه هذا المعنى قوله «بنيناها»، بينما المعنى البعيد هو «القدرة».

ومن الملاحظ أن هذين الشاهدين يندرجان في باب المجاز المرسل، لأنهما لا يحملان معنى الاشتراك اللفظي، فاستوى يتضمن معنى الاستقرار لكنه لا يتضمن بالضرورة معنى الاستيلاء. أما اليد فليس من معناها القدرة بل هي من لوازمه.

ولا يدرج هذان الشاهدان في باب التورية إلا إذا أخذنا بتعريفها الذي جاء به السيوطي في آخر العصر المملوكي، إذ عرفها بأنها لفظ له معنيان، إما بالاشتراك وإما بالتواطؤ أو بالحقيقة أو المجاز^(٢٨)، وهذا التعريف يوسع مفهوم التورية ويدخل فيها ما ليس منها، لأن التواطؤ هو عرف لغوي، وقد يكون فقيهاً، و الحقيقة و المجاز هما أوسع بكثير من مفهوم التورية .

كانت التورية في عصر ابن حجة تياراً أدبياً، ونوعاً بديعياً يتنافس فيه المتنافسون، وشغلت التورية ما يقرب من ربع كتاب ابن حجة «خزانة الأدب»^(٢٩).

وقد أسرف هذا الأديب الناقد في الاستشهاد بشواهد عن التورية من إنتاج معاصريه، ولم يكتف بذكر التورية المرشحة التي تتضمن ما يشير إلى المعنى القريب غير المقصود، بل زاد أيضاً التورية المبينة وهي التي تتضمن إشارة إلى المعنى بعيد. ثم زاد في تقسيماتها بحسب ورود اللفظ الذي يشير إلى أحد المعنين هل هو قبل التورية أو بعدها. وهكذا أصبحت التورية فناً بديعياً فيه كثير من التفصيل والتفرع فزادت غموضاً واتساعاً.

ولم تسلم الأنواع الأخرى ولا سيما المشهورة منها من اختلاف أهل البديع فيها. فمن ذلك الاستعارة التي كانت من أكثر الأنواع بحثاً وتصنيفاً واختلافاً في التقسيم، بدءاً من «البيان والتبيين» للجاحظ، و«قواعد الشعر» لثعلب وانتهاء بـ «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطى.

يرى ابن الأثير أن حد الاستعارة هو طي المستعار له وذكر المستعار مع وجود مشاركة بين طرفي الاستعارة «المستعار له والمستعار منه»، ووجود قرينة تشير إلى

٢٨ — الإتقان في علوم القرآن ، ٣ : ص ٢٨٥ . و الآية : الذاريات ٤٧ .

٢٩ — خزانة الأدب بـ ٢٣٩ - ٣٦٥ ، وهذه الصفحتان تعادل ربع الكتاب .

وقوع المجاز. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَأَنُوهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهْمِمُونَ» فاستعار الأودية للفنون، ويبدو أن ابن الأثير لا يعترض إلا بالاستعارة التصريحية. أما الاستعارة المكنية وغيرها من أنواع المجاز فيعداها من باب التوسيع في الكلام، لذلك فإن قول أمرئ القيس:

فَقَاتُ لَهُ لِمَا تَمَطَّ بِصَلْبِهِ
لِلِّسِنِ الْإِسْتِعَارَةِ لِأَنَّ اللَّيلَ مَذْكُورٌ سَابِقًا.
وَأَرَدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

وكذلك قوله (ص): «هذا جبلٌ نحبه وَيَحِبُّنَا» هو من التوسيع في الكلام لأنه لا مناسبة بين الجبل والمحبة^(٣٠).

أما معاصره السكاكي فقد جعل الاستعارة تصريحية و مكنية، ثم قسم التصريحية إلى تحقيقية لأن المشبه المحذوف متحقق حسًّا و عقلاً، و تخiliّة لأن المشبه المحذوف محض خيال ومن شواهدنا «المنية وأظفارها ، و نقطت الحال» وهو هنا يخلط بين التصريحية والمكنية. ثم جعل للتصريحيه قسماً ثالثاً، كما يقتضيه المنطق وهو النوع الذي يتحمل التحقيق والتخيل.

ثم يذكر الاستعارة المكنية ويكرر شاهديه الذين ذكرهما في نوع التصريحية التخiliّية^(٣١). ثم قسمها إلى أصلية وتبعية وفق جمود لفظها أو اشتغالها^(٣٢). ثم ذكر تقسيماً آخر وفق ما يراقب الاستعارة من ألفاظ تشير إلى أحد الطرفين، فهي مرشحة إذا كان هناك لفظ يشير إلى المشبه به، ومجربة إذا كان فيها لفظ يشير إلى المشبه.

ووفق المنطق هناك نوع ثالث خالٍ من الإشارة إلى أحد الطرفين، ويقصد الاستعارة المطلقة دون أن ينص على ذلك بالاسم.

ويختتم السكاكي الحديث عن الاستعارة بالحديث عن أنواعها وفق المحسوس

٣٠ - المثل السادس، ٢: ص ٧٠ - ١١٥، وهو النوع الأول في المقالة الثانية (في الصناعة المعنوية) يميز الاستعارة من التشبّه المضرّ للأداة ، بين الفرق بين الاستعارة و التشبّه وفي ص ٨٣ يتناول حد الاستعارة ، ثم يناقش أقوال الآخرين فيها ولايسماً أقوال ابن سنان الخفاجي في «سر الفصاحة » ، وهو يجعل الاستعارة درجات جيدة ، ووسط ، وردية . الشعراً الآية ٢٤٥ . أما الحديث فلم يقع عليه في الصحيحين (مع ملاحظة ٣١) .

٣١ - مفتاح العلوم، ص ٣٧٣ - ٣٧٤ .

٣٢ - المصدر السابق، ص ٣٨٠ - ٣٨١ .

والمعقول، ويعد منها خمسة أنواع^(٣٣)، وقد خصص الفزويني، بدوره، صفحات لدراسة الاستعارة، وذكر ما جاء عند السكاكي ولم يوافقه في بعض ما جاء به من تقسيمات للاستعارة^(٣٤). ونجد ما يشبه هذه التقسيمات عند ابن حجة الحموي^(٣٥)، وعندي السيوطي الذي تحدث عن أركان الاستعارة وعن الفرق بينها وبين التشبيه البليغ. وقال إن أقسامها كثيرة، فمن حيث أركانها الثلاثة (المستعار له والمستعار منه والجامع بينهما) قسمها إلى أقسام وفق المحسوس و العقلي. ثم أضاف: إنها وفق لفظها، فهي أصلية إذا كان اللفظ الذي وقعت فيه جامدةً، وتبعية إذا كان مشتقاً، وهي مكتبة إذا حذف المشبه به، وتصريحية إذا حذف المشبه.

في تقسيم آخر هي وفاقيه إذا كان وقوع الاستعارة ممكناً، وعندية إذا كان وجودها مستحيلاً. ثم هي مرشحة إذا افترضت بما يشير إلى المستعار منه، ومجردة إذا افترضت بما يلائم المستعار له، ومطلقة إذا خلت من الإشارة إلى أحد الطرفين^(٣٦). ويختتم الحديث عن الاستعارة بذكر الاستعارة التمثيلية باعتبار وجه التشبيه المنتزع من متعدد.

وكان للتشبيه أيضاً نصيبيه من التقسيم والتفرع. وهو من أقدم الأنواع البدوية تناولاًً فهو موجود في «الكتاب» لسيويه، ولم يغفله كتاب في البلاغة بعد ذلك^(٣٧). ذكره ابن الأثير، ورأى أن التشبيه والتمثيل شيء واحد. ثم قسم التشبيه المضمر الأداة إلى أقسام خمسة حسب وقوعه في الجملة وجعل المثل المضروب آخرها التشبيه التمثيلي أو الاستعارة التمثيلية.

ثم قسم التشبيه إلى أربعة أقسام: تشبيه معنى بمعنى، وتشبيه صورة بصورة، تشبيه معنى بصورة، وأخيراً تشبيه صورة بمعنى. ثم ذكر أن كل قسم من هذه الأقسام يقسم بدوره إلى أربعة أقسام وهي: تشبيه مفرد بمفرد، ومركب بمركب،

٣٣ — المصدر السابق، ص ٣٨١ - ٣٨٧ ، ٣٨٨ - ٣٩٨ .

٣٤ — الناتج في علوم البلاغة ، ص ٣٢٤ - ٣٣٥ .

٣٥ — حرارة الأدب ، ص ٢٣٩ - ٣٦٥ ، وهذه الصفحات تعادل ربع الكتاب .

٣٦ — الإتقان في علوم القرآن ، ٣: ص ١٤٨ - ١٥٨ .

٣٧ — بدیع القرآن ، ص ٥٨ - ٦٣ .

ومفرد بمركب، ومركب بمفرد. وأشار في الختام إلى أن هناك درجات للتشبيه من حيث بلاغته^(٣٨).

أما معاصره السكاكي فقد كان أكثر حرصاً على تقسيم التشبيه تقسيماً منطقياً، فقد قسمه من حيث طرفاه إلى طرفين حسبيين أو طرفين عقليين أو عقلي وحسي، أو حسي وعقلي.

وقسمه أيضاً من حيث وجه الشبه إلى واحد ومتعدد، والواحد إلى حسي وعقلي، والمتمدد إلى متعدد في حكم الواحد وهو حسي أو عقلي أو مختلط. ثم أغرق في التقسيم فقسمه وفق الغرض منه وهي أقسام كثيرة متعددة.

ثم ذكر أحوال التشبيه من حيث قربه أو بعده. وأخيراً ذكر مراتب التشبيه وفق أركانه الأربع (مشبه ومشبه به وكلمة التشبيه، ووجه الشبه) ورأى أن التشبيه التام الأرakan^(٣٩) لا قوة فيه، وأن التشبيه البلieg الذي تسقط فيه الأداة ووجه الشبه هو أقواها.

وقد كرر القزويني في «التلخيص» ما ذكره السكاكي على نحو مختصر، وذكر تقسيمه من حيث طرفاه وفق الحسي والعقلي، ثم ذكر تقسيمه من حيث وجود أركانه ولاسيما وجود الأداة ووجه الشبه، وتلا ذلك تعدد أحد طرفي التشبيه، وختم الحديث عن التشبيه بالقول: إن أعلى مراتب التشبيه في قوة المبالغة هو التشبيه الذي يحذف فيه الأداة ووجه الشبه ويقصد التشبيه البلieg. ثم يذكر حذف أحد طرفي التشبيه أي الاستئارة، ويرى أنه لا قوة لغيرهما^(٤٠).

وتكرر الحديث عن ذلك عند ابن حجة الحموي في «خزانة الأدب». وقدتناوله السيوطي أيضاً في «الإنقان في علوم القرآن» وذكر تقسيمات مشابهة لما ذكره سابقاً وقسمه باعتبار طرفيه إلى حسي وعقلي، وباعتبار وجه الشبه إلى مفرد ومركب. وما ينتج من ذلك من تقسيمات. وقد قسمه أيضاً باعتبار ما تقع عليه الحالة وما لا تقع عليه. أما بالنظر إلى أركانه فجعله مؤكداً بحذف الأداة، ومرسلاً بحذف وجه الشبه،

٣٨ — المثل المسائر ، ٢ : ص ١١٦ - ١٧٠ .

٣٩ — مفتاح العلوم ، ص ٣٢٩ - ٣٤٩ .

٤٠ — التلخيص في علوم البلاغة ، ص ٢٣٨ - ٢٩١ .

وبليغاً بحذف الأداة ووجه الشبه، ومقلوباً عند عكس التشبيه أي بتشبيه الأقوى بالضعف^(٤١).

ولعل «الجناس» أو «التجنيس» من أهم الأنواع البديعية التي تشهد على كلف أصحاب البديع بالتقسيم والتفرع والغموض أيضاً ولاسيما في العصر المملوكي. هو نوع بديعي قديم أله فيه الأصممي، وذكره ابن المعتز، ولم يخل ذكره من كتب البلاغة وإعجاز القرآن^(٤٢) وعلى الرغم من أن هذا النوع البديعي يختص بالناحية الصوتية والموسيقية للنص، ولا علاقة له بالناحية المعنوية، فإنه كان من أكثر الأنواع تعقيداً نظراً لكثره تفرعياته واختلاف تسمياته يذكر ابن الأثير أن أهل البلاغة اختلفوا في التجنيس، في تسمياته وفي ترتيبه.ويرى أن التجنيس الحقيقي هو اللفظ المشترك لأن شرطه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى. ويذكر أن بعضهم يجعل ذلك فادحاً في التجنيس ما ليس منه، ثم يذكر أنواعاً تشبه التجنيس^(٤٣).

أما السكاكي فرأى أن الجنس هو تشابه الكلمتين في اللفظ ولم يشترط اختلاف المعنى، مما يوحى بأنه يمكن أن يدخل فيه التكرار اللفظي ورد العجز على الصدر. وأخذ السكاكي في ذكر أنواع الجنس الذي اختلف فيه اللقطان بحرف واحد، وعرض شواهد لموقع هذين الحرفين في أول اللقطتين أو في وسطهما أو في آخرهما وغير ذلك، ثم ذكر ما يلحق بالجنس^(٤٤)، وقد أخذ عنه الفزويني تعريف الجنس لكنه كان مختلفاً عنه في التقسيم والتفرع والتسميات، وأهم ما فعله الفزويني أنه جعل الجنس التام ثلاثة أنواع هي: التام، والتام المماثل، والتام المستوفى.

ثم صنف بقية أنواع الجنس، وأخذ الملحق بالجنس عند السكاكي. لكن الاختلاف في التسميات جعل الأمر غامضاً على الرغم من أن نوع الجنس واحد^(٤٥).

وفي «بديع القرآن»^(٤٦) يرى ابن أبي الإصبع أن الجنس أصلان. جناس مزاوجة،

٤١ - خزانة الأدب ، ص ١٨٣ - ١٨٩ ، الإنقاد في علوم القرآن ، ٣: ص ١٤٢ - ١٤٨ .

٤٢ - بديع القرآن ، ص ٢٧

٤٣ - الملسان ، ١: ص ٣٤٢ - ٣٦٠ .

٤٤ - مفتاح العلوم ، ص ٤٢٩ .

٤٥ - التلخيص في علوم البلاغة ، ص ٣٨٨ - ٣٩٢ .

٤٦ - بديع القرآن ، ص ٢٧ - ٣٠ .

وجناس مناسبة، يتفرع عن إلى عشرة فروع، منها ما هو لفظي ومنها ما هو معنوي. وعنه تخلط أسماء الجناس ودلائلها فمن ذلك ما يسميه جناس المزاوجة وهو من المعنوي، ويمثل لذلك بقوله تعالى: «وَجَرَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا»^(٤٧) ويرى أن لفظ «سيئة» الثانية سميت سيئة للمزاوجة. كما يذكر جناس المناسبة وهو من اللفظي ومن أمثلته «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِدِينِ الْقِيمِ»^(٤٨) وهذا الشاهد جعله السكاكي من الملحق بالجناس نظراً لاختلاف أصل الاشتغال فيه. أما بقية الأنواع فيها أسماء متماثلة لما ذكره الآخرون لكن بدلاليات مختلفة.

وعلى الرغم من أن السيوطي قد أخذ كثيراً عن ابن أبي الإصبع فإنه في نوع «الجناس»^(٤٩) يخالفه في التسميات والتعريف، فقد اشترط أن يكون الجناس تماثلاً في اللفظ واختلافاً في المعنى، ولا يجوز أن يكون أحد اللفظين حقيقة و الثاني مجازاً، فلابد أن يكون الجناس، إذاً، لفظاً مشتركاً. وهويكرر كثيراً من أنواع الجناس ويختتمها بنوع يسميه تجنيس الإطلاق وهو أن يجتمع اللفظان في المشابهة ومن أمثلته: «وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ»^(٥٠) «وَلَيْرِيَةُ كَيْفَ يُوارِي»^(٥١). وهذا النوع كما هو واضح، هو الملحق بالجناس عند السكاكي و الفزوياني. وقد ذكر ابن حجة الحموي في «خزانة الأدب» أنواعاً مشابهة لما ذكره هؤلاء في موضوع الجناس، واختلفت عنده بعض التسميات لبعض أنواع الجناس، لكن ابن حجة الحموي انفرد في إدخال الجناس الذي هو تمثال صوتي يخدم موسيقا النص في غير مجاله، عندما أضاف أنواعاً من الجناس تتعلق بمعنى النص وليس بموسيقاه من ذلك ما أطلق عليه اسم «الجناس المعنوي»^(٥٢) الذي يعرفه بأنه إضمار ركني التجنيس، و المجيء بما يرادف المضرور للدلالة عليه.

وشاهده على هذا النوع قول ابن عبدون، وقد أصبح بخمر ترك بعضها إلى الليل

فارت خلا:

٤٧ — الشوري ، ٤٠

٤٨ — الروم ، ٤٣

٤٩ — الإنقان في علوم القرآن ، ٣: ص ٣١٠ - ٣١٤ .

٥٠ — الرحمن ، ٥٤

٥١ — المائدة ، ٣١

٥٢ — خزانة الأدب ، ص ٤١ - ٤٢ .

أَتَّنَا بَطْعَمِ عَهْدَهُ غَيْرُ ثَابِتٍ
وَأَسْتَأْتَ كَجْسُمَ الشَّنْفَرِيَّ بَعْدَ ثَابِتٍ
حَكَتْ بِنْتُ سَطَامٍ بْنِ قَيْسٍ صَبِيْحَةً
وَكَانَ اسْمُ بَنْتِ سَطَامِ الصَّهْبَاءِ، وَالشَّنْفَرِيَّ قَالَ:

فَاسْقِنِيهَا أَيْا سَوَادَ بْنَ عَمْرَوِ
إِنَّ جِسْمِي مِنْ بَعْدِ خَالِي لَخَلُّ

وَيَرِى ابْنُ حَجَةَ الْحَمْوَى أَنْ هُنَاكَ جَنَّاسِينَ مُضْمِرِينَ الْأَوَّلَ بَيْنَ الصَّهْبَاءِ بِمَعْنَى
الْخَمْرِ، وَالصَّهْبَاءِ بَنْتِ سَطَامٍ، وَالثَّانِي وَقَعَ فِي «لَخَلٌ» بَيْنَ الْخَلَّ بِمَعْنَى الْمَادَةِ
الْحَامِضَةِ، وَالْخَلُّ بِمَعْنَى الرَّقِيقِ الْمَهْزُولِ.

وَقَدْ ذَكَرَ الصَّفْدِيُّ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ فِي مَعْرَضِ حَدِيثِهِ عَنْ أَبِيَاتِ الْمَعَانِيِّ. وَلِيَسْ عَنِ
الْجَنَّاسِ. لَكِنَّهُ يُضِيفُ أَنْ بَنْتَ سَطَامَ هِيَ الصَّهْبَاءُ. وَذَكَرَ أَيْضًا بَيْتَ الشَّنْفَرِيَّ الْمَذْكُورَ
آنَفًا^(٣)، وَلَا يَخْفَى أَنَّ هَذَا النَّوْعُ مِنَ الْجَنَّاسِ يَتَجَاهِزُ إِلَيْهِ الْأَلْغَازُ وَالْأَحَاجِيُّ فِي
غَمْوِشَاهِ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهُ مِنْ صَنْعِ أَدْبَاءِ قَدْ تَفَرَّغُوا لِمَثْلِ هَذِهِ الْأَمْوَارِ الَّتِي تَدْخُلُ النَّصَّ الْأَدْبَيِّ فِي
غَمْوِشَاهِ يَصْعُبُ إِيَاضَاهِ.

وَلَمْ يَكْتُفِ ابْنُ حَجَةَ بِذَلِكَ، بَلْ ذَكَرَ نَوْعًا آخَرَ مِنَ الْجَنَّاسِ وَهُوَ مَا يُسَمِّيهِ «جَنَّاسُ
الْإِشَارَةِ»^(٤) وَيَعْرُفُهُ بِأَنَّهُ مُحاوَلَةُ النَّاظِمِ أَنْ يَجَانِسَ بَيْنَ لَفْظَيْنِ، فَلَا يَوْافِقُهُ الْوَزْنُ فَيَلْجُأُ
إِلَى مَرَادِفِ الْفَظِّ الْأَوَّلِ. وَشَاهِدُ هَذَا النَّوْعُ هُوَ قَوْلُ امْرَأَةِ مِنْ عَقِيلِ أَرَادَ قَوْمَهَا الرَّحِيلَ:

فَمَا مَكَثْنَا، دَامَ الْجَمَالُ عَلَيْكُمَا
بِشَهَلَانَ إِلَّا أَنْ تُشَدَّ الْأَبَاعِرُ

أَرَادَتْ أَنْ تَجَانِسَ بَيْنَ الْجَمَالِ وَالْجَمَالِ، فَأَرْغَمَهَا الْوَزْنُ وَالرُّوْيُّ عَلَى ذِكْرِ الْأَبَاعِرِ
بِدِلِ الْجَمَالِ.

وَيُضِيفُ ابْنُ حَجَةَ نَوْعًا ثَالِثًا وَهُوَ «جَنَّاسُ الْكَنَّاْيَةِ»^(٥) وَيَمْثُلُ لِذَلِكَ بِقَوْلِ أَحَدِهِمْ:

وَتَحَتَّ الْبَرَاقِعَ مَقْلُوبُهَا
تَبَئُّ عَلَى وَرَدٍ تِلْكَ الدَّحْوُدُ

فَكَنِي عَنِ الْعَقَارِبِ بِمَقْلُوبِهَا الَّتِي هِيَ الْبَرَاقِعُ .

٣٥ — الْعَيْتُ الْمَسْجُمُ فِي شَرْحِ لَامِيَّةِ الْعِجْمِ ، ٢: ص ٣٧٢ .

٣٤ — خَرَائِنُ الْأَدْبَرِ ، ص ٤١ - ٤٢ .

٣٥ — الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ، ص ٤١ - ٤٢ .

الخاتمة والاستنتاجات:

وهكذا نجد أن كلف أصحاب البديع بالتفريع والتفسيم وإطلاق الأسماء وابتكار الأنواع البديعية قد أخرج علم البلاغة، ولاسيما علم البديع، عن مساره، وأضحت ميدانًا معقداً غامضاً. ولو اكتفى هؤلاء بجعل الجناس تمثلاً صوتياً، أو لو اكتفوا بنوع الجناس التام في اللفظ المشترك وكل ما خالف ذلك سمي جناساً ناقصاً، ولو اكتفوا بدراسة التورية من حيث المغالطة المعنوية أو الإيهام، ولو اقتصر أمر الاستعارة على ما جاء به الجرجاني من حيث تأثيرها في النص، وكذلك بالنسبة للتشبيه، لوفر ذلك على الباحثين كثيراً من العناء والجهد.

المصادر والمراجع :

- ١— ابن أبي الإصبع، بديع القرآن، الطبعة الأولى، مكتبة نهضة مصر، مصر، ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٧ م.
- ٢— ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، الطبعة الأولى، مطبعة نهضة مصر، مصر، ١٣٧٩ هـ — ١٩٥٩ م.
- ٣— ابن حجة الحموي، تقى الدين، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، بيروت، من غير رقم طبعة ولا تاريخ .
- ٤— ابن خلkan، شمس الدين، وفيات الأعيان، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ .
- ٥— ابن العماد، عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، بلا تاريخ.
- ٦— الحلي، صفي الدين، الديوان، دار صادر، بيروت.
- ٧— السكاكي، يوسف، مفتاح العلوم، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م.
- ٨— السيوطي، جلال الدين، الإنقان في علوم القرآن، منشورات الرضى، زاهدي، من غير تاريخ ولا طبعة.
- ٩— الصفدي، صلاح الدين، الغيث المسجم في شرح لامية العجم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م.

"المنهج السيميائي: آلية مقاربة الخطاب الشعري الحديث وإشكالياته"

د. محمد خاقاني * ود. رضا عامر **

المُلْخَص:

عرف المنهج السيميائي في العقود الأخيرة من القرن العشرين تحولات عدة في التعاطي مع الخطاب الشعري الحديث على وجه الخصوص، هذا ما أثار العديد من الإشكالات في كيفية مقاربة النص الأدبي مقاربة واعية على مستوى الأدوات الإجرائية، أو على مستوى التأويل واستطاق النص بشكل لا يفسد دلالة المعانى الحقيقة للبنى العميقية، ومن هنا يعده نقد "الخطاب الشعري الحديث والمعاصر" من القضايا النقية المهمة التي تناولها تناولها تناولنا المحدثون، في ظل المنهج السيميائي الممارس في تحليل علامات هذه النصوص دون المساس ببويتها العربية بلا إفراط أو تفريط.

والتحليل المقترن، لا يتوقف عند الإحالات إلى المعارف والعلوم المختلفة، وكذا لا ينتهي عند دلالة معينة، بل يفتح النص على سيل من المعارف المتنوعة، لأنه بالغ التنوع والتعدد، ويحيل إلى معارف وآيديولوجيات مختلفة، ولهذا فإن التحليل السيميائي يستوعب كل هذا ويوضعه ضمن استراتيجية. لقد أصبحت المقاربات النصانية منهج بحث نقدي، ونظرية علمية تطرح العديد من التصورات والرؤى المنهجية والإجرائية في تناول النص العربي الحديث على مستوى التظير أو الممارسة التطبيقية، والتي لا يمكن الاستغناء عنها، خاصة أثناء التحليل.

وعليه تكشف هذه المداخلة عن أهمية المنهج "السيميائي" في مقاربة النص العربي الحديث، وأهم المشاكل التي يشكو منها الخطاب الشعري الحديث خاصة من خلط بين النقاد في تناول الظاهرة الأدبية، وطرق وأساليب التحليل التي تبقى محشمة على مستوى الأدوات الإجرائية، أو على مستوى التأويل الصحيح في استطاق النص.

الكلمات المفتاحية: السيميائية، النقد الأدبي، الأدب العربي الحديث

* أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وأدابها بجامعة اصفهان

** أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وأدابها، المركز الجامعي - ميلة، الجزائر

مدخل

تهدف هذه الورقة البحثية إلى مناقشة موضوع إشكالية البحث عن المنهج المناسب في الممارسة النقدية السليمة التي تعالج النص الأدبي بحذر شديد. ولما كان عدد كبير من الدراسات النقدية والمشاريع العلمية تدعى المنهجية في التعامل مع الإشكالية مجال الدراسة، دون وعي أصحابها بدور النصوص في تطور أفكار المنهج ، حيث تتبنى معظم هذه الدراسات سقفاً شكلياً معيناً تظن معه بممارساتها أنها بلغت حد المنهجية ؛ فإن النتيجة هي وجود حالة من الضبابية الفكرية — إذا جاز التعبير— يتم فيها تسطيح الأفكار والانحراف بالإشكاليات — بقصد أو بدون قصد — إلى عالم من سوء الفهم الذي يؤدي إلى صعوبة فهم الموضوع.

ولأنَّ الباحثين يعتقدان أنَّ التفكير بالمنهج للوصول إلى الفكر المنهجي في الدراسات النقدية العربية، يتطلب جهوداً بحثية جماعية مركبة يتم فيها الاهتمام بالفكر وزيادة الوعي بإشكالياته، كما يتم فيها الاهتمام بالممارسة الأكademie التي يفترض أنها تترجم، بشكل أو آخر، الفكر المنهجي السادس؛ فإنَّ محاولتنا الراهنة تطمح إلى معالجة الإشكالية في إطارها المعرفي العام، وفي سياقها الأدبي الخاص، لمساعدة التطور المعرفي الذي طرأ على المناهج النقدية العربية من خلال تتبع المنهج السيميائي أثناء مساعدة النصوص الشعرية الحديثة من أجل فهم معانيها ودلائلها، وعليه نتظر على العديد من السيميانيين الذين لا يمكنهم الاستغناء عن علم العلامات لما أظهره من نجاعة في التحليل وكفاءة عالية في التшиريح للبنى العميقية في شتى التخصصات النقدية الحديثة، ومختلف المعارف الإنسانية. إذا ما هي السيميوЛОГИЯ؟ وما هي مشاربها التاريخية، واتجاهاتها المختلفة؟

تكشف هذه المداخلة عن أهمية المناهج النقدية النصية، خاصة السيميائية منها؛ في مساعدة الخطاب الشعري الحديث وتعداد المشاكل المنهجية والفلسفية والمعرفية التي تصادف المحلول السيميائي أثناء تعامله مع الظاهرة الأدبية التي تبقى عصية أثناء المسح العلامي للبنى العميقية للنص المستنطق خاصة على مستوى آليات التحليل أو على مستوى التأويل الصحيح في استنطاق الدلالات العميقية للبنية النصية على اعتبار أنَّ النص الشعري الحديث صعب المراس لما فيه من بنيات مفتوحة تحتاج إلى ناقد صاحب تجربة وممارسة نقدية واعية في تفكير شفرات النص وعلماته الغامضة.

المحور الأول: الجذور التاريخية للمنهج السيميائي

يكاد يجمع الدارسون على أن الإرهاصات الأولى لعلم السيمياء تعود إلى الحضارة الإغريقية القديمة، إذ يمكن العثور على إشارات داخل الموروث الفكري الذي خلفه اليونان منذ القدم، تلك الإشارات التي يلتقي بعضها مع الكثير من الأفكار التي قالت بها السيمياء الحديثة. وأهم ما يمكن إيراده في هذا المجال هو تلك الجهود التي قام بها الرواقيون الذين عدوا بحق السباقين في اعتبار العالمة تحتوي دالاً ومدلولاً، كما يذهب إلى ذلك "أنبرتو إيكو"^(١)، ولعل هذا التقسيم الذي حفظ عن الرواقيين كان هو الأرضية الفكرية التي اطلقت منها السيمياء الحديثة ممثلة في فارديناند دي سوسير^(٢) الذي أعاد الاعتبار لهذا التصور من خلال تفريقه بين مصطلحي الدال والمدلول، كما سنرى في أثناء الحديث عن إسهامه في التأسيس لعلم السيمياء الحديث، فنلمس - حينها - مدى المشابهة الواقعية بين جهود سوسير، وما قال به الرواقيون القدماء، مع اختلاف بينهم في الشيوع والتأثير في من جاء بعدهم.

أما المرحلة الثانية في تاريخ السيميائيات القيمة كما يقرره عز الدين المناصرة، فهي تلك المحاولة التي قام بها القديس أوغسطين^(٣) حول تشكيل نظرية تأويلية يتم تطبيقها على النصوص المقدسة، ثم يختفي مصطلح السيميائية مدة طويلة ولا يظهر إلا في دراسة الفيلسوف الإنجليزي جون لوك^(٤) (١٦٣٢-١٦٠٤) باسم «Sémiotiké»، وبدلالة جد مشابهة لتلك التي قدمتها الفلسفة اليونانية الأفلاطونية^(٥). أما المرحلة الثالثة التي يتوقف عندها عز الدين مناصرة بعد هذا فهي مرحلة العصور الوسطى التي لا نعثر فيها على الشيء الكثير، ثم تجيء بعدها المرحلة الرابعة والتي بدأت تتشكل فيها نظرية العلامات والإشارات خلال القرن التاسع عشر؛ فنأتي على ذكر جهود الفيلسوف الألماني جون لوك^(٦) الذي استخدم مصطلح سيميوطيقا "Semiotics" ، وهو - عنده - علم يهتم بطبيعة الدلائل التي يستعملها

1- Anberto Iko

2 -Ferdinand De Saussure

3- Agusteen

4 -John Loke

6- Jhonn-Loukh

العقل البشري في أثناء العملية الإدراكية. ونجد من بين الدارسين الآخرين الذين أكدوا بدورهم — أصلة التفكير العلمي وتتجزّره عند مختلف الشعوب القديمة الباحث جان ماري شايفر^(٧) الذي يرى أنّ ما وصلنا من تصوّرات وتأمّلات حول الظاهرة اللسانية تضمّنت العديد من المفاهيم الدلالية.

ويمكن أن نوجز هذه المحطّات السيميائية التي توقف عندها شايفر في أثناء حديثه عن تاريخ هذا العلم في النقاط الآتية:

١— جهود كلّ من أفلاطون وأرسطو في هذا المجال.
٢— جهود السفسطائيين.

٣— جهود القديس سانت أوغسطين، خاصة في مجال تفريقه بين العلامات الطبيعية والعلامات التواضعية، وتميّزه بين وظيفة العلامات عند الحيوانات والبشر.

٤— الجهود التي قام بها المونيون ، بخاصة فيما يتعلق بأفكارهم اللسانية التي كان لها حمولة عالمية.

٥— جهود الفيلسوف الإسباني جوناسي بوانسويت^(٨)، وخاصة ما جاء في كتابه "فن المنطق" الذي ميز فيه بين التمثيل والمعنى.

٦— إسهام جان لوك الذي يقترح مصطلح العلاماتية أو السيميائية بوصفه معرفة بالعلامات.

٧— جهود بيرس^(٩) كمحطة أخيرة تشكّلت معها معالم هذا العلم بوضوح أكبر. ولا تختلف هذه المحطّات التي توقف عندها شايفر عن سابقتها التي قدّمتها الدارس عز الدين المناصرة مع زيادة ضئيلة عند الثاني على أنّ كليهما أجلّ حقيقة أصلّة هذا العلم وقدّمه في الفكر العربي.

أهم الاتجاهات السيميائية الغربية الحديثة:

سيمويولوجيا سوسير:

كان فرديناند دوسوسير^(١٠) ومازال واحداً من أبرز أعلام البحث اللغوي واللسانى في تاريخ البشرية جماء لكونه صاحب أهم ثورة لغوية شهدتها العصر الحديث، ثورة

7- J.M. Shypher

8- Jonnais

9- Pierce

10- Ferdinand De Saussure

انطلقت بعدها دراسات لغوية لسانية جادة لا تزال قائمة إلى يومنا، تدين في أغلبها لفکر وأبحاث هذا الرجل، وكل ذلك لم يجعل منه مؤسساً لمدرسة مهمة هي ما يسمى بمدرسة جونيف^(١١) بل مؤسساً لعصر بأكمله من الدرس اللساني.

ومع ظهور كتابه "دروس في الألسنية العامة"، تلقت علوم اللغة واللسان دفقة جديدة نحو الترّسخ والشمول. فأمام سيطرة الدراسات التاريخية والمعيارية للظاهرة اللغوية في الماضي أراد سوسيير توجيه الأنظار إلى نوع آخر من الدراسة هي الدراسة الآتية الوصفية للظاهرة اللغوية ومن أهم المقولات التي جاء بها سوسيير في اللغة هو اعتبارها نظاماً من الإشارات يعبر بها بني البشر عمّا يدور في أذهانهم من أفكار وأحاسيس ومشاعر، مثلها في ذلك مثل باقي الأشكال الإشارية الأخرى.

بيد أنَّ سوسيير، يكفيه من خلال ما قدمه، أن يتبنّى بعلم السيمياء دون أن يعمد إلى تحديد الأطر العامة التي يقوم عليها هذا العلم، ولعلَّ مرد ذلك أنه في هذه المرحلة من البحث كان حريصاً بصنفة خاصة على تحديد اللسانيات العامة، وبالآخر موضوع اللسانيات، ومن هنا جعل "دي سوسيير" اللغة «نظاماً من العلامات»، تعبّر عن الأفكار، مثلها مثل أنظمة أخرى تشبهها، كأبجدية الصم، والإشارات العسكرية، وغيرها، ولكن اللغة هي أهم هذه الأنظمة العلامانية»^(١٢)، ويمكن وصفها نسقاً من العلامات.

لقد رفض "دي سوسيير" الفكرة التي ترى أن اللغة هي كومة من الكلمات المتراكمة تدريجياً عبر الزمن، تؤدي وظيفة الإشارة إلى الأشياء في العلم، فالعلامة عنده مركبة من طرفين متصلين يمثلان «كيانا ثانوي المبني»، يتكون من وجہين يشيران وجھي العملة النقدية، لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر»^(١٣)، فالطرف الأول هو إشارة مكتوبة أو منطقية، وهي "الadal، signifiant" أي الصورة الصوتية للمسمي، والطرف الثاني هو "المدلول، signifié" أو المفهوم الذي نعقله من الإشارة لها. ويمكن «تمثيل الفكره»^(١٤) كالتالي:

$$\text{الadal} \over \text{المدلول} = \text{العلامة} = \text{الadal / المدلول}$$

11- Jeneve

هكذا نصل إلى تحديد مفهوم العلامة «Signe» بأنها ذلك الكل المركب من الدال والمدلول ويمكن توضيح ذلك بيانياً:

إشارة مكتوبة أو منطقية (مسموعة) : Image

مفهوم التصور الذهني: Concept

العلامة (Signe)

ومن ثم فإن العلامة أو الدليل عند سوسيير «وحدة نفسية ذات وجهين مرتبطين ارتباطاً وثيقاً ويطلب أحدهما الآخر»^(١٥)، وعند عملية الجمع بين – الدال والمدلول – يتكون المعنى اللغوي، هذا وإن «العلامة لدى سوسيير، قائمة على الدال والمدلول، مع إقصاء المرجع وال العلاقة الموجودة بينهما اعتباطية»^(١٦)، وهذا نجده بشكل واضح في بعض العلامات المحاكية للطبيعة (conomtopées) «كمواه القط، وخمير المياه»^(١٧). وتعد فكرة إهمال المرجع أو المشار إليه فكرة يكتنفها الغموض في علاقة الدال بالمدلول، إلى أن جاء «أوجдан وريتشارد»^(١٨)، وأكدا على فكرة المشار إليه في كتابهما «معنى المعنى»، فالرمز يقابل الدال عند دي سوسيير، و الفكرة تقابل المدلول، أما المشار إليه فلا وجود له عند سوسيير، وعليه تتنوع العلامات تتبعاً لتنوع المعارف الإنسانية، من ألفاظ وإشارات، ورموز، وآثار وإيماءات جعلت العلامة تنقسم إلى علامة لسانية، وأخرى غير لسانية، مما دفع بالنقد إلى خوض غمار هذا العلم ، ومن خلال البحث في أغواره، فإننا سنكون على أبواب مؤسس آخر للسيمياء، اختار لها اسم السيميوطيقا.

سيميويقا بيرس:

إذا كان بعض الدارسين يذهب إلى أنّ دي سوسيير أول من بشر بعلم السيمياء الحديث حين قال أنه من الممكن أن نتصور علمًا يدرس حياة الدلائل في صلب الحياة الإجتماعية فإنَّ الكثير منهم يرى أنَّ المنشئ الأول والأب الشرعي لهذا العلم هو

١٥ – خلف، ٢٠٠٣، ص ٢٤

١٦ – حداوي، ١٩٩٧، ص ٨٨

١٧ – ابراهيم، ٢٠٠٤، ص ٧٦

المنطق الأمريكي شارل ساندرس بيرس^(١٩)، وإن كان سوسيير ينطلق في تصوّره لعلم السيمياء من خاصية لسانية لغوية، فإنّ تصوّر بيرس لهذا العلم يقوم — أساساً — على المنطق والذي يراه مراداً للسيمياء، ومنطق بيرس هو منطق العلاقات، ولا يسمح المنطق الشكلي كما تصوّره هذا العالم إلا بدراسة البنيات المحمولة من نوع "الموضوع محمول" ويحتوي هذا الشكل في جوهره على موضوع يمكن دوره في تعين الشيء أو الأشياء المتحدث عنها، ويحتوي على محمول يعبر عن خاصية الشيء أو الأشياء، ويحتوي هذا الفعل الذي ليس له أي دور سوى ربط الموضوع بالمحمول، وهو يعد كرابطة "copule".

ومن هنا يصبح البحث في مجال السيميوطيقا بحثاً هاماً تحتاج إليه كلّ مناحي المعرفة. يقول بيرس: «ليس باستطاعتي أن أدرس كلّ شيء في هذا الكون كالرياضيات والأخلاق والميتافيزياء والجاذبية الأرضية والديناميكية الحرارية والبصريات والكيمياء وعلم التشريح المقارن وعلم النفس وعلم الأصوات وعلم الاقتصاد وتاريخ العلم والكلام والسكوت والرجال والنساء وعلم القياس والموازين إلا على أساس أنه نظام سيمولوجي»^(٢٠)، ومنه اتّصف الدرس السيميائي عند بيرس بالشمول والتّنوع لتنوع المعارف والمواضيع المدرّسة.

ومن أهمّ ما جاء به بيرس في نظريته السيميائية هو تلك التّقسيمات النّظرية حول المنظومة الدلالية، ومنها ما عمد إليه حسب تصوّره الخاص إلى تقسيم العالمة أو الدليل إلى ثلاثة أقسام، يعرض إليها الدرس حنون مبارك على النحو الآتي:

١- الممثل: الدليل باعتباره دليلاً

٢- الموضوع: وهو ما يعنيه الدليل أو هو المعنى

٣- المؤول: وهو ما يجعل الدليل يحيل على موضوعه

ويعرض الدرس عادل فاخوري للتقسيم نفسه الذي قدمه حنون مبارك على اختلاف طفيف في البنية الاصطلاحية بينهما؛ وذلك حين يؤكد على أنَّ العالمة التي هي نموذج للمقوله الثالثية تشكّل — إذن — من حيث الكنه علاقة ثلاثة بين ثلاثة أركان يطلق عليها بيرس أسماء العالمة بحسب ذاتها، الموضوع، التّعبير.

ومنه نجد أن مصطلح الممثل أو الذي يسميه بيرس العلامة بحد ذاتها يقابل مصطلح "الدال" عند سوسيير، بينما يقابل مصطلح الموضوع عنده مصطلح "المدلول" عند سوسيير ويتجاوز بيرس المقوله السوسييرية من خلال مصطلح التعبير أو المؤول، فلا وجود لهما في الطرح السوسييري، وتأسيا على ما سبق نستطيع القول: إنَّ بيرس في أثناء دراسة العلامة — كما يرى الدارس عدنان بن ذريل — راعى عاملين هامين هما:

أ. عامل الطابع الطبيعي أو الاصطلاحي لها.

ب. عامل التفسير لها؛ أي فهمها من قبل المتعامل معها.

ونستطيع أن نذكر إلى جانب هذا التقسيم الهام تقسيماً ثالثياً آخر جاء به بيرس حول طبيعة العلامة لا يقل أهمية عن سابق، ويقوم هذا التقسيم على وصف العلاقة القائمة بين الدال والمدلول، ومن المتاح لنا عرض هذا التقسيم على النحو الآتي:

١. الإشارة: تكون العلاقة فيها بين الدال والمدلول علاقة تجذيرية في المكان، وهي ذات طابع بصري في مجلها، ومثل ذلك السهم الذي يشير إلى مكان معين أو حركة الأصبع وغيرها.

٢. الأيقونة: تكون العلاقة الرابطة بين الدال والمدلول — في هذا القسم — علاقة تشابه، فتكون الأيقونة بهذا: شيء يؤدي عمله ووظيفته كعلامة انتلاقاً من سمات ذاتية تشبه المرجع أو المشار إليه، وهي بهذا صورة تحيل إلى متصور تكون العلاقة فيما علاقة مشابهة، ومنه فالعلامة الأيقونية تفهم من خلال فهم نظيرها المشابه لها، وتلك علامات المرور والصور الفوتوغرافية والخرائط وغيرها.

٣. الرمز: ومثاله الأول هو العلامة اللغوية كما تصورها سوسيير من قبل، وإن كانت العلاقة بين الدال والمدلول تقوم على التجاوز المكاني في الإشارة، وعلى التشابه في الأيقونة، فإنَّ العلاقة التي تربط بين طرفي العلامة في الرمز هي علاقة محض عرفية وغير معللة، فلا يوجد بينهما تشابه، أو صلة فيزيقية، أو علاقة تجاوز.

ولقد كان هذا التقسيم الثلاثي للعلامة أهمَّ فارق تجاوز به بيرس مفهوم العلامة عند سوسيير؛ ذلك أنه لم يقتصر — في أثناء تصنيفاته — على العلامة اللغوية كما فعل سوسيير، بل وسع مجال العلامة ليشمل كلَّ ما هو لغوي وغير لغوي كما لمسناه سالفاً. ومن كل ما سبق ذكره بعد طرح سيميوЛОجيا "دي سوسيير" وسيميوطيقاً" بيرس نجد أن

اتجاهات السيميوطيقا تتسع؛ فـ "محمد مفتاح" يفرغ النظريات اللسانية على التيار التداولي والتيار السيميائي والتيار الشعري، أما ببير جبرو فيحدد ثلاث وظائف أساسية للسيميولوجيا هي «وظيفية منطقية واجتماعية وجمالية»^(٢١)، كما أن الناقد "بارك حنون" قد صنفها إلى عدة اتجاهات منها «سيميولوجيا التواصل وسيميولوجيا الدلالة وتصور سوسير لسيميولوجيا، سيميوطيقا بيرس»^(٢٢)، ورمزية كاسيرار وسيميوطيقا الثقافة»^(٢٣)، بينما نجد "محمد السرغيني" يحدد ثلاث اتجاهات أساسية هي: «الاتجاه الأمريكي، الاتجاه الفرنسي والاتجاه الروسي»^(٢٤) بالإضافة إلى هؤلاء جميعاً نجد "عواد علي" الذي يحصرها في ثلاثة اتجاهات أيضاً هي: سيمياه التواصل، سيمياه الدلالة، سيمياه الثقافة.

وهذا ما يجعل من «السيميائية سيميائيات لها فروع ولها انشقاقات، ولهذه الاتجاهات مؤسسو وأنصار»^(٢٥) كما سلف ذكره، حيث نجد أشهرها اتجاهات ثلاثة هي: أ - سيمياه التواصل ب - سيمياه الدلالة ج - سيمياه الثقافة، وكما سبق فقد أسهمت جميع هذه الاتجاهات في تيسير السبل لقراءات متعددة وأصلية للنصوص الأدبية طلياً للغائب من مفاهيمها واستجلاء للغمض من علاماتها.

تكلم باختصار لمحة عن المنهج السيميائي الذي تبلور في البيئة الثقافية الغربية، واستطاع - نتيجة لاعتبارات عده - أن يقتحم عدداً من الثقافات، ومنها الثقافة العربية التي استوردت في فترة من الفترات هذا المنهج ووظفته في معالجة الظاهرة الأدبية.

إن عملية افتتاح النص على القراءات المتعددة، وقدرته على البوح بأسرار جديدة تخص بناء الإبداعي، تعتمد على أنَّ النص «لا يحمل في ذاته دلالة جاهزة ونهائية، بل هو فضاء دلالي وإمكاني تأويلي، ولذا فهو لا ينفصل عن قارئه ولا يتحقق من دون مساهمة القارئ، فكل قراءة تحقق إمكاناً دلالياً لم يتحقق من قبل، كل قراءة هي

اكتشاف جديد»^(٢٧).

المحور الثاني: إشكالية مقاربة الخطاب الشعري الحديث سيميائيا

يرى النقد النصي أنَّ أهمِّ إشكال في عملية مقاربة النص الأدبي الحديث هو انعدام المشاركة الفعلة بين النص الذي أله المبدع والقارئ المتلقِّي، أي إنَّ الفهم الحقيقي للأدب ينطلق من تموُّق القارئ في مكانه الحقيقي وإعادة الاعتبار له باعتباره هو المرسل إليه والمستقبل للنص ومستهلكه وهو كذلك القارئ الحقيقي له: تلذذاً ونقداً وتفاعلاً وحواراً، ويعني هذا أنَّ العمل الأدبي لا تكتمل حياته وحركته الإبداعية إلا عن طريق القراءة وإعادة الإنتاج من جديد؛ لأنَّ المؤلف ما هو إلا قارئ للأعمال السابقة وهذا ما يجعل التناص يلغى أبوة النصوص ومالكيتها الأصليين.

وعليه نجد الناقد «أيزر»^(٢٨) يؤكّد على أنَّ العمل الأدبي له قطبان: قطب فني وقطب جمالي، فالقطب الفني يكمن في النص الذي يخلقه المؤلف من خلال البناء اللغوي وتسويجه بالدلائل والتيمات المضمونية قصد تبليغ القارئ بمحولات النص المعرفية والإيديولوجية، أي إنَّ القطب الفني يحمل معنى ودلالة وبناء شكلياً، أما القطب الجمالي، فيكمن في عملية القراءة التي تخرج النص من حالته المجردة إلى حالته الملمسة، أي يتحقق بصرياً وذهنياً عبر استيعاب النص وفهمه وتأويله، ويقوم التأويل بدور مهم في استخلاص صورة المعنى المتخيل عبر سبر أغوار النص واستكناه دلالاته والبحث عن المعاني الخفية الواضحة عبر ملء البياضات والفراغات للحصول على مقصود النص وتأويله انطلاقاً من تجربة القارئ الخيالية والواقعية، ويجعل التأويل من القراءة فعلاً حدثياً نسبياً لا يدعى امتلاك الحقيقة المطلقة أو الوحيدة المتعالية عن الزمان والمكان.

ولا يكون العمل الإبداعي إلا من خلال المشاركة التواصلية الفعلة بين المؤلف والنص والجمهور القارئ، ويدلُّ هذا على أنَّ العمل الإبداعي يتكون من عنصرين أساسين: النص الذي قوامه المعنى وهو يشكل أيضاً تجربة الكاتب الواقعية والخيالية، والقارئ الذي يتقبل آثار النص سواءً أكانت إيجابية أم سلبية في شكل استجابات

شعورية ونفسية، حيث يقول "ياوس" (٢٩) في هذا الصدد: «إذا أردنا كتابة تاريخ أدبي جديد، من خلال رسم يعيد تكوينه انطلاقاً من بقايا الأعمال والفترعات التاريخية، والتآويلات، ودعاوي التواصل الأدبي المتخفة تحته، علينا أن نسارع إلى تاريخ التجربة الجمالية ونظريتها، وتظهر لي ضرورة كل هذا لأنه يمنحك (الجسر الهرمنوتيكي) للبلوغ حقب بعيدة في الزمان وفي الثقافات الأجنبية ذات التقليد الأوروبي» (٣٠).

ويشير "أيزر" أيضاً إلى مدى أهمية إعادة تاريخ الأدب الأوروبي اعتماداً على شهادات القراء ورصد ردود قراءاتهم وأذواقهم الجمالية أثناء تفاعل ما هو شعوري مع ما هو لفظي (النص): «كيف يتم استقبال النص الأدبي من طرف جمهور معين؟ عن الأحكام الصادرة عن الآثار الأدبية تعكس بعض وجهات النظر وبعض الضوابط السائرة بين الجمهور المعاصر مما يجعل الدليل التفافي المرتبط بهذه الأحكام، يمارس تأمله داخل الأدب، وهذا أيضاً صحيح حين يعمد تاريخ التلقي إلى شهادات القراء الذين يطقون، عبر فترات مختلفة من الزمن، أحكاماً على أثر معين» وفي هذه الحالة، يكشف تاريخ التلقي الضوابط التي توجه هذه الأحكام مما يشكل نقطة انطلاق لتاريخ النونق» (٣١).

وعليه، فإنّ عملية نقد العمل الأدبي قد يراعي فيها أفق توقع القارئ عندما يستجيب لمعاييره الفنية والجمالية والأجنبية عبر عمليات المشابهة النصية والمعرفة الخلفية وقواعد الأجناس والأنواع الأدبية التي تعرفها في نظرية الأدب، ولكن قد يخيب توقعه ويفاجأ إذا واجه نصاً حديثاً جديداً لم ينسجم مع القواعد التي يتسلح بها في مقاربة النص الأدبي.

فعندها نقرأ الروايات الكلاسيكية فإنها تراعي أفق انتظار القارئ الذي تعود على قراءتها من خلال معايير وآليات تجنيسية وتحليلية معروفة، بيد أنه إذا أعطيت لهذا القارئ الكلاسيكي رواية حديثة فإنها ستتصدمه، وتتشلّ تفكيره، ومن هنا كان لزاماً على متلقي النص الشعري الحديث في ضوء المناهج النصية كالبنيوية والأسلوبية

والتـفـكـيكـيـة والـسـيمـيـائـيـة والتـداـولـيـة أـن يـرـاعـي انـحرـافـاتـ النـصـ الـحـدـيثـ وـفقـ الأـطـرـ وـالـآـلـيـاتـ الـتـي تـحلـ النـصـ تـحلـلاـ لـاـيـتـعـارـضـ معـ مـضـمـونـهـ ويـحـاـولـ مـقـارـبـتـهـ حـدـاثـيـاـ وـفقـ الـمنـهـجـ الـذـي يـرـاهـ منـاسـبـاـ لـعـمـلـيـةـ التـأـوـيلـ وـالـتـفـكـيكـ لـمـخـتـافـ شـفـراتـهـ الـلغـويـةـ.

آلـية مـقارـبةـ النـصـ الشـعـريـ الـحـدـيثـ سـيمـيـائـيـاـ:

لـقدـ نـشـأـتـ فـيـ ذـهـنـ المـتـلـقـيـ للـعـلـمـ الإـبـادـعـيـ الشـعـريـ الـحـدـيثـ، إـيـحـاءـاتـ النـصـوصـ وـعـنـاوـينـهاـ، وـأـبعـادـهاـ الـفـكـرـيـةـ الـمـؤـسـسـةـ «ـاـنـفعـالـيـاـ، أوـ أـسـلـوبـيـاـ، أوـ حـتـىـ إـيـديـولـوـجيـاـ بـحـيـثـ لـاـ يـبـدـأـ المـتـلـقـيـ تـلـقـيـ النـصـ أـوـ فـيـ قـرـاءـةـ الـعـلـمـ الـمـبـدـعـ مـنـ نـقـطـةـ الصـفـرـ، وـإـنـماـ يـبـدـأـ مـاـ يـؤـسـسـالـعـنـوانـ مـنـ مـعـرـفـةـ أـوـ إـيـحـاءـ»^(٣٢)، وـهـكـذـاـ بـدـأـتـ نـصـوصـ الـمـؤـلـفـينـ الـمـعاـصـرـينـ فـيـ ظـلـ الـمـنـاهـجـ الـنـصـيـةـ يـلـوـهـاـ طـابـ الـغـمـوضـ وـالـرـمـزـيـةـ، وـالـنـزـوـعـ إـلـىـ الـصـيـاغـةـ الـأـسـطـورـيـةـ، وـهـذـاـ مـاـ يـؤـكـدـهـ القـوـلـ التـالـيـ الـذـيـ يـرـىـ «ـأـنـ الشـعـرـ لـمـ يـكـنـ فـيـ يـوـمـ مـنـ الـأـيـامـ أـقـرـبـ إـلـىـ رـوـحـ الـأـسـطـورـةـ مـنـهـ فـيـ الـوقـتـ الـحـاضـرـ»^(٣٣) وـهـذـاـ إـمـاـ تـموـيـلـاـ أـوـ تـضـلـيلـاـ لـلـمـتـلـقـيـ حـتـىـ لـاـ يـصـادـرـ إـلـاتـاجـ أـوـ يـعـرـضـ صـاحـبـهـ إـلـىـ الـمـلـاـحـقـاتـ الـسـيـاسـيـةـ أـوـ الـمـتـابـعـاتـ الـقـضـائـيـةـ، كـلـ هـذـاـ جـلـ الـمـبـدـعـ يـتـحـرـىـ الـحـذـرـ فـيـ إـصـدـارـاتـهـ الـفـكـرـيـةـ خـاصـةـ الـشـعـرـيـةـ مـنـهـ؛ فـلـغـةـ الشـعـرـ تـخـتـافـ عـنـ لـغـةـ الـاستـعـمـالـ الـعـادـيـ وـهـذـاـ مـاـ أـشـارـ إـلـيـهـ "ـمـيشـالـ رـيفـاتـيرـ"ـ^(٣٤)ـ فـيـ قـوـلـهـ: «ـإـنـ الشـعـرـ يـعـرـضـ عـنـ مـفـاهـيمـ وـأـشـيـاءـ تـعـبـيرـاـ غـيرـ مـباـشـرـ وـبـاختـصارـ، إـنـ الـقـصـيـدةـ تـقـولـ شـيـئـاـ وـتـعـنـيـ شـيـئـاـ آـخـرـ»ـ^(٣٥)ـ لـذـاـ فـانـ قـرـاءـةـ النـصـ الشـعـرـيـ الـحـدـيثـ تـتـطـلـبـ مـنـاـ اـسـتـتـاجـاـ صـحـيـحاـ لـمـعـنـىـ الـقـصـيـدةـ، وـهـذـاـ لـاـ يـتـأـتـيـ إـلـاـ بـالـفـحـصـ الـدـقـيقـ لـلـكـلـمـاتـ الـتـيـ تـتـكـونـ مـنـهـ.

وـمـمـاـ لـاـ شـكـ فـيـهـ أـنـ شـعـرـناـ الـعـربـيـ قدـ تـطـوـرـ مـنـدـ بـدـايـةـ عـصـرـ النـهـضةـ فـيـ شـكـلـهـ وـمـضـمـونـهـ إـلـىـ نـهـايـةـ عـصـرـناـ الـمـعاـصـرـ شـكـلاـ وـمـضـمـونـاـ، «ـفـلـيـسـ مـنـ مـقارـنةـ مـمـكـنةـ بـيـنـ مـاـ نـقـرـأـهـ لـقـرـائـنـاـ الـمـعاـصـرـينـ وـمـاـ نـقـرـأـهـ فـيـ شـعـرـناـ الـقـدـيمـ، فـالـقـضـائـاـ غـيرـ الـقـضـائـاـ، وـالـدـوـافـعـ لـقـولـ الشـعـرـ مـخـتـافـ وـالـأـهـدـافـ مـتـبـاـيـنـةـ»ـ^(٣٦)ـ؛ هـذـاـ مـاـ يـجـعـلـ مـنـ الشـعـرـ الـعـربـيـ

٣٢ـ قـطـوـنـ، ٢٠٠١ـ، صـ٦٠ـ.

٣٣ـ فـانـونـ، ١٩٩١ـ، صـ٥٧ـ.

٣٤ـ رـيفـاتـيرـ، ١٩٩٧ـ، صـ٧ـ.

٣٥ـ مـصـافـيـ، ١٩٨١ـ، صـ٧١ـ.

الحديث يرتفق في شكله ومضمونه من جانب الغموض والتصوير الفني والجمالي للصور والمشاهد التعبيرية للنص الذي «يتشكل ويتكيف حسب أهمية الإبداع ومتطلبات المبدع التي ترسم دروب مساره تدريجياً كما أن الطبيعة الإبداعية للفنان تتأثر بالاتجاهات الأخلاقية والدينية والسياسية والعلمية، والتعاليم الاجتماعية السائدة في المجتمع»^(٣٧).

وهكذا تتتنوع العناوين الشعرية ومضامينها من مبدع لأخر، ومن عمل لأخر لتعكس ثنائية التفاعل بين النص والناس». فالقصيدة هي نتيجة تفاعل بين الشاعر وواقعه، والشاعر إذ يعيش تجربته الجمالية مستغرقاً، فإنه يكون محلاً بكل ما في عصره، وواقعيه، وكل ما يتصل به من مؤثرات تتفاعل معه لتنتج قصيدة ذات صياغة فنية محكمة وتولد لحظة جمالية فائقة التركيز^(٣٨)، وهذا ما نجده ينطبق شكلاً ومضموناً على النصوص الشعرية الاستفزازية التي تسمى قضايا الأدب المعاصر، وإخفاقات الشاعر أو اتجاهاته عبر صيغة إبداعه الفني. وقد تقطن المبدع العربي المعاصر إلى أهمية العنوان التأويلية وجودته، فجعله ذلك يدقق وينفتح عناوين دواؤينه ونصوصه الشعرية ويخرجها من دائرة التقليد إلى دائرة الحرية والتساؤل؛ لذلك قيل إن «العنوان الجميل هو بمثابة الوسيط الحقيقي للكتاب ويجعله سريع الرواج»^(٣٩).

ولعل النص الشعري الحديث يتمحور في ثلاثة، هي: «بورة العنوان/ الفاتحة النصية/ الخاتمة النصية» والتي تحيط بعتبة النص، وتعطيه صورته الحديثة التي عكست التجارب العديدة في إخراج النصوص في أتم نضجها الفكري. لهذا فـ«القصيدة مجموعة متتابعة من التجارب فيها الأصوات، والصور، والأفكار والعواطف نمر خلالها حين نقرؤها شعرياً – على قدر الإمكان – وب بهذه القراءة تختلف القصيدة من قارئ لآخر، أي أنها ذات وجوه متعددة لا يأتي عليها الحصر»^(٤٠)، فكل قراءة جديدة هي إبداع جديد، فالنص الشعري نص هلامي يتغير حسب نفسية كل قارئ، ويتشكل حسب طبيعته، ويعكس انطباعاته الشعرية، والنقد العربي النصي لم يصل إلى

٣٧ - حجازي، ٢٠٠١، ص. ٣٦.

٣٨ - الصاغ، ١٩٩٨، ص. ١٢٧.

٤٠ - عباس، ١٩٩٦، ص. ١٥٣.

استطاق البنى العميقية للنصوص الشعرية إلاّ بعد بروز النقد النصي في ظلّ المناهج النقدية الغربية، وخاصة المنهج العلاماتي.

ومن أهم الدراسات العربية التي انصبت على مقاربة النص الشعري الحديث دراسة وتحليلاً وتصنيفاً نذكر بعض المقالات المنشورة في مختلف المجالات والدراسات النقدية العربية الحديثة إلى غير ذلك من البحوث التي كان أصحابها سباقين إلى تعریف القارئ العربي بكيفية الاشتغال على مقاربة النصوص الشعرية الحديثة نصياً تنظيراً وتطبيقاً، كما نوه إلى الدراسات النقدية التي أنجزها بعض الباحثين في الملتقيات السيميانية في قسم الأدب العربي بجامعة "محمد خضراء/الجزائر" وأيضاً أعمال بعض السيميانيين المنشورة رقمياً، وهذه الدراسات موضحة في الجدول الآتي:

عنوان المقال	صاحب المقال	الفعاليات النقدية للدراسة
سيميانة العنوان في ديوان مقام البوح لـ"عبد الله العشري".	شادية شقروش	الملتقى الوطني الأول: السيميانة والنص الأدبي ١٥-١٦ أبريل ٢٠٠٢ م جامعة محمد خضراء/ سكرة
طلسم إيليا أبو ماضي - دراسة سيميانية	عمار شلواي	الملتقى الوطني الثاني: السيميانة والنص الأدبي ١٥-١٦ أبريل ٢٠٠٣ م جامعة محمد خضراء/ سكرة
سيميانة العالمة في قصيدة (المهرولون) لزار قباني	بشير تاوريريت	الملتقى الوطني الثالث: السيميانة والنص الأدبي ١٩-٢٠ أبريل ٢٠٠٤ م جامعة محمد خضراء/ سكرة
	عبد الغني بارة	شعرية المحموم/المفجوع/ الموجع - مقاربة سيميونولوجية تأولية في ديوان قصائد محمومة
مقاربة سيميانية لنص شعري قصيدة خائفة لنازك الملائكة	منقور عبد الجنيل	مجلة الموقف الأدبي - اتحاد الكتاب العرب عدد ٣٨٢ السنة الثانية و الثالثون - شباط - ٢٠٠٣ م - ذو الحجة - ١٤٢٣ هـ
أغنية المقاومة ونشيد الحرية مقاربة سيميانية لديوان الدرر الأخضر	نبيل سعيد مطبق	http://www.almolltaqa.com?tid=45873.vb/showthread.php

ويلاحظ اليوم أن الكتابات النقدية الإبداعية النصانية سواء في الثقافة الغربية أم الثقافة العربية بدأت في خلالة الجنس الأدبي، وتحطيم معاييره النوعية ومقوماته النمطية باسم الحداثة والتجريب، فأصبحنا نتحدث عن القصيدة التثوية التي يتقطاع فيها الشعر والنثر، والقصيدة الدرامية التي ينصلح فيها الشعر وال الحوار المسرحي معاً، كما أصبحت الرواية فضاء تخيلياً لتلاقي النصوص وتدخل الخطابات والأجناس تناصاً وتهجين، دون أن ننسى المسرح الذي أصبح أباً للفنون والأجناس الأدبية بامتياز.

وهذا كلّه لم يفقد النص الشعري الحديث هويته وأصالته العربية، حيث لقد تم مقاربة الجنس الأدبي انطلاقاً من زوايا منهجية متعددة، فهناك دراسات تركز على الشكل، وأخرى على المضمون، والبعض الآخر على الوظيفة، ويمكن تحديد بعض المناهج المعتمدة في تلك الدراسات، نذكر منها على سبيل المثال ما يأتي:

أولاً — المقاربة الاجتماعية: (لوكاش — باختين — غولدمان...);
 ثانياً — المقاربة الفلسفية: (هيجل....);

ثالثاً — المقاربة البنوية: (تودوروف — جنيت — فلايمير بروب — توماشفسكي...);
 رابعاً — المقاربة التطورية التاريخية: (برونوتيير^(٤)، ألين غتون...);
 خامساً — المقاربة الشكلية: (فراي — شولز — ويليك — أوستين وارين...);
 سادساً — المقاربة السيميائية: (كريزنسكي^(٥)...).

وغيرها من المقاربات كما أنّ هناك من يصنف الأجناس الأدبية اعتماداً على الزمن (الماضي والحاضر والمستقبل)، أو الضمائر، أو الأساليب (السرد — الحوار)، أو الأفعال، أو الصيغ اللغوية أو حسب المواضيع (الرواية التاريخية والرواية السياسية والرواية الاجتماعية...)، وهكذا فموضوع الجنس يثير أسئلة مركزية في تاريخ الأدب والنقد الأدبي، وفي العلاقات الداخلية المتبادلة بينهما، وهو يطرح في سياق أدبي نوعي المسائل الفلسفية المتعلقة بالصلة بين الطبقة والأفراد الذين يلوفونها، وبين الواحد والمتعدد، وطبيعة الكليات.

إنَّ تطبيق المستويات الإجرائية للمنهج السيميائي في مقاربة النصوص الإبداعية

الشعرية خاصة تبقى عملية معرفية معقدة تختلف في تقنياتها من باحث لآخر، ومن المعلوم أن النصوص الأدبية كلها تقبل عملية التحليل اللساني الذي يصب في دائرة النقد النصي، ومع ذلك نجد جلّ النقاد مازالوا يخوضون في مسألة أدوات الممارسة النقدية لأنّها لم تتأسس عند البعض منهم لاختلاف الرؤى والمشارب المعرفية عند كل ناقد.

طبعاً لا يمكن فهم النص الأدبي خاصة الشعري منه وتفسيره، أو تفكيره وتركيبه إلا من خلال التسلح بنظرية الأدب والانطلاق من مكونات النص ومدى استفزازه للمتلقى والناقد على السواء؛ لأنّها العملية الأساس التي تكئ عليها في تحليل النصوص وتقويمها ومعرفة طبيعتها ومدى انزياحها عن المعايير الثابتة للنص الأصلي ومدى مساحتها في تطوير الأدب وخلق حداة أجنباسية أو نوعية، ومن هنا كانت رؤيتنا لهذه الآليات النقدية في مقاربة النص الشعري الحديث سيميائياً من خلال عملية الجمع بين ما هو لساني، وما هو جمالي وهي مصنفة كالتالي:

"Structure du titre":

يُعد النص الشعري آلة لقراءة العنوان إذ تربطهما علاقة تكاملية، فالنص الشعري يتكون من نصين يشيران إلى دلالة واحدة في تماثلها مختلفة في قراءاتهما هما: (النص وعنوانه)، أحدهما مقيد موجز مكثف، والأخر طويل. ولعل صفحة كل غلاف تعطينا انتظاماً يجعل من أغوار أي عمل إبداعي يعد نظاماً سيميائياً ذا أبعاد دلالية، وأخرى رمزية، تغري الباحث بتتبع دلالاته، ومحاولته فك شفراته الرازمة.

لهذا يرى السيمiolوجيون أنّ العنوان والنص والإخراج الطباعي والإشارات والصور أجزاء لا تنجزاً من الخطاب الأدبي. وهذه الرموز اللغوية المميزة لكل عمل إبداعي هي دلالات واضحة في سلم العمل اللغوي لهذا نجد أنّ "الطباعة واللون والغلاف والعنوان كلها عتبات" لفك شفرات العمل الأدبي، وتبقى عتبة العنوان النصي أهم منافذ النص المدروس وذلك بتنقيمه إلى ثلاثة مفاتيح علامات هي كالتالي:

١- **بؤرة العنوان:** وذلك من خلال استنطاق عنوان النص الشعري، وفك شفراته العلامات، وربطها بمعنى النص، وعموماً كلّ عنوانين النصوص الشعرية القديمة هي فواتح النصوص الأدبية.

٢- **الفاتحة النصية:** تتناول البيت الأول أو الوحدة الأولى من القصيدة، حيث

يطرح فيها الشاعر العديد من الأسئلة التي تبحث عن جواب، أو ذكريات لم تندمل بعد أو حنين وشوق محمل بالوصول والعتاب النفسي المشفر بكل الدلالات، والرموز المغلقة التي تبحث عن مفاتيح لتفجير هذه المعاني النصية وسط متاهات ذات الشاعر، ورؤيته للعالم بعيون المستفهم الحاضر/ الغائب.

٣ـ الخاتمة النصية: هذه الأخيرة تبحث في خاتمة النص الشعري لتقديم إجابات شافية لما طرحته الشاعر من حيرة وأسئلة تبحث عن مخرج من هذا المأزق النفسي الذي يتجرع مرارته الشاعر في كل ذكرى من مخيله الشعري المتازم بمرارة الشوق والحنين والجفاء الذي يعيشه في وسط تترمز فيه كل المشاعر الإنسانية لتصبح كل معانيه عللاً وزحافات يتعثر فيها وسط الإخفاقات العاطفية التي تبحث عنها السيميان، وتعطيها تفسيراتها وقراءتها وفق منهجية علمية ممنهجة على آليات متافق عليها سلفاً بين المتألق والنادق.

ثانياً- البنية الصوتية "Structure Phonétique" :

تقتضي طبيعة التحليل اللغوي الصوتي للنص الشعري البدء بالعنوان كنص صغير وذلك من أصغر وحدة صوتية في النظام اللغوي إلى أعلى مراتب التركيب، وهو الدافع للباحث عند تتبعه لمعنى الألفاظ إلى الانطلاق من الصوت اللغوي الذي يعد أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني، إضافة إلى كونه أساس اللغة، وعمود بنائها، ومبث الأصوات هو المستوى الأول من مستويات التحليل إذ يعد الخطوة الأولى للمحلل السيميائي لما للصوت من قيمة تعبيرية تطلق منه ثم تطغى على اللفظة التي تحويه وقد يتعداها ليعم التركيب، فالأخوات تناسب معاني ألفاظها والعلاقة بينهما متبادلة وجدلية.

ثالثاً- البنية التركيبية "structure syntaxique" :

يعد الحديث عن البنية التركيبية حديثاً عن النحو – وخصوصاً الجملة النحوية وسياقاتها – الذي يعرّفه الشريف الجرجاني بأنه: علم بقوانين يعرف بها أحوال التركيب العربية من الإعراب والبناء، والبحث في البنية التركيبية لأي نص يحيلنا إلى دراسة الجملة بوصفها الوحدة اللغوية الأساسية في عملية التواصل، فقيمتها في المستوى التركيبي كقيمة الصوت في المستوى الصوتي، وقيمة الكلمة في المستوى

الصرفـيـ، وـعـلـى هـذـا التـحلـيل التـركـيـيـ للـعنـاوـين يـعـتمـد عـلـى تـصـنـيفـ الجـمـلـ اـسـمـيـةـ، فـطـلـيـةـ، شـرـطـيـةـ وـظـرـفـيـةـ.

رابعاً - البنية الصرفـيـةـ "Structure Morphologique"

يتـناـولـ فـيهـاـ الـبـاحـثـ درـاسـةـ صـيـغـ الأـفـعـالـ وـماـ تـتـعرـضـ لـهـاـ منـ تـغـيـرـاتـ عـنـ إـسـنـادـهـاـ للـضمـائرـ وـتـحـدـيدـ أـقـسـامـ الـفـعـلـ مـنـ حـيـثـ الـزـيـادـةـ، وـالـتـجـرـيدـ، وـدـرـاسـةـ خـصـائـصـ الـأـسـمـاءـ مـنـ تـكـيرـ وـتـعـرـيفـ، وـمـنـ تـذـكـيرـ وـتـأـيـثـ، وـبـيـانـ الـلـوـاـحـقـ الدـالـلـةـ عـلـىـ التـأـيـثـ، وـبـيـانـ أـقـسـامـ الـأـسـمـ مـنـ حـيـثـ الـعـدـ، فـيـبـيـنـ طـرـقـ التـثـيـةـ، وـالـجـمـوـعـ الـتـيـ مـنـهـاـ مـاـ يـكـونـ بـإـلـاحـاقـ لـاحـقـةـ، وـهـوـ جـمـعـ السـلـامـةـ، وـمـنـهـاـ مـاـ يـكـونـ بـتـغـيـرـ دـاخـلـيـ فـيـ لـفـظـ الـمـفـرـدـ، وـهـوـ جـمـعـ التـكـسـيرـ.

وتـنـاـولـ الـظـواـهـرـ الـصـرـفـيـةـ مـثـلـ: ظـاهـرـةـ التـصـغـيرـ، فـيـبـيـنـ التـغـيـرـاتـ الـتـيـ تـطـرـأـ عـلـىـ الـأـسـمـ عـنـ تـصـغـيرـهـ، وـدـرـاسـةـ ظـاهـرـةـ النـسـبـ، وـتـبـيـيـنـ التـغـيـرـاتـ الـتـيـ تـجـرـيـ عـلـىـ الـأـسـمـ بـسـبـبـ إـلـاصـاقـ لـاحـقـةـ النـسـبـ، وـالـتـرـكـيـزـ عـلـىـ الـمـشـتـقـاتـ مـنـ "اـسـمـ الـفـاعـلـ، اـسـمـ الـمـفـعـولـ، الـصـفـةـ الـمـشـبـهـةـ، اـسـمـيـ الزـمـانـ وـالـمـكـانـ، صـيـغـ الـمـبـالـغـةـ، الـمـصـدـرـ الـمـيمـيـ وـالـصـنـاعـيـ، اـسـمـ الـمـرـةـ وـالـهـيـةـ، اـسـمـ الـآـلـةـ".

خامساً - البنية الدلـالـيـةـ "structure sémantique"

الـحـقـلـ الدـلـالـيـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـوـحدـاتـ الـمـعـجمـيـةـ الـتـيـ تـشـمـلـ مـفـاهـيمـ تـنـدـرـجـ تـحـتـ مـفـهـومـ عـامـ يـحـدـدـ الـحـقـلـ، أـيـ أـنـهـ مـجـمـوعـ الـكـلـمـاتـ الـتـيـ تـتـرـابـطـ فـيـمـاـ بـيـنـهـاـ مـنـ حـيـثـ الـتـقـارـبـ الدـلـالـيـ وـيـجـمـعـهـاـ مـفـهـومـ عـامـ تـنـظـلـ مـتـصـلـةـ بـهـ وـلـاـ تـفـهـمـ إـلـاـ فـيـ ضـوـئـهـ. فالـدـارـسـ السـيـمـيـائـيـ عـلـيـهـ أـنـ يـصـنـفـ مـجـمـوعـ الـكـلـمـاتـ فـيـ الـمـتنـ أوـ الـمـتـوـنـ الـشـعـرـيـ الـتـيـ يـصـنـفـهـاـ إـلـىـ حـقـوـلـ دـلـالـيـ خـاصـةـ بـالـمـعـنـىـ الـذـيـ يـجـمـعـ كـلـ مـجـمـوعـةـ لـتـسـهـيلـ الـمـقـارـبـةـ الـنـقـدـيـةـ، وـالـتـقـرـيـبـ مـنـ مـفـاتـيـحـ التـأـوـيلـ.

سـادـساً - البنـيـةـ الـموـسيـقـيـةـ "Structure Harmony"

وـعـلـىـ هـذـاـ اـسـاسـ بـدـاـ تـحـدـيدـ الـبـنـيـةـ الـموـسيـقـيـةـ فـيـ الـخـطـابـ الشـعـريـ الـحـدـيثـ ضـرـورـةـ تـتـحدـدـ مـعـهـاـ مـعـالـمـ أـخـرىـ تـتـعـدـىـ إـلـىـ الـدـلـالـةـ، فـتـجـدـ بـذـلـكـ الـعـلـامـاتـ السـيـمـيـائـيـةـ الـشـكـلـيـةـ دـلـالـاتـهاـ دـاخـلـ الـبـنـيـةـ الـلـغـوـيـةـ، كـحـالـ الـفـاـصـلـةـ وـالـحـنـفـ الـكـاـسـرـيـنـ لـلـتـفـعـيلـةـ، وـمـاـ يـلـيـهـمـاـ مـنـ دـلـالـةـ إـيـحـائـيـةـ، وـمـاـ خـفـيـ مـنـ عـلـلـ الـزـيـادـةـ وـالـنـقـصـانـ وـمـاـ تـحـمـلـهـ مـنـ مـدـلـولاتـ

لا تتنافي مع محمول حاملها، وارتباط نوع القافية بصفتها، وما تبديه من توثر خفي يضاف إلى كتلة التوترات داخل الخطاب، وما يوحي به شكلها من إيحاءات.

سابعاً- جماليات النص الشعري:

أولاً - التناص: يشكل التناص بعده جماليات العنوان إذ يصبح في عدة مرجعيات ويشير إلى الفاعلية المتبادلة بين النصوص ليؤكد عدم انغلاق النص على نفسه وافتتاحه على غيره من النصوص. وفكرة التناص - كما يرى النقاد المحدثون - تعتبر توسيعاً لمعنى التأثير والتأثير، لا كما ذهب القدماء إلى قضية الالتحال والسرقات فهناك من القصائد ما تضرب صلتها بأبعاد ومرجعيات (دينية - فكرية - أدبية - أسطورية) فيصعب على القارئ الدخول إلى النص إلا إذا كان متسلحاً بقدر من الثقافة.

ثانياً - الانزياح: يعد الانزياح ظاهرة أسلوبية جمالية ، وهو يعني الخروج عن الاستعمال العادي المألوف للغة النثرية، والرقي بها إلى مستوى قريب من اللغة الشعرية، يعتمد على قوة الخيال في تحويل الصور والمفاهيم بغية التأثير التجميلي للمتون الشعرية خاصة، وهو يقدم على المفاجأة والتغيير وعدم الثبوت فيكسر أفق توقع القارئ.

إشكاليات مقاربة النص الشعري الحديث سيميائياً:

الملاحظ عموماً على المقاربات السيميائية الموقعة في الملتقىات الدولية والوطنية والندوات والمجلات الورقية المحكمة والرقمية كلّها تشير صراحة وتؤكّد على أنها تميّزت بوجود جملة من الإشكالات يمكن للنّاقد السيميائي عدّها وحصرها على مستوى المنهج أو على مستوى التحليل الإجرائي، وهي كالتالي:

إشكالية المقاربة على مستوى المنهج:

- أ -** يجب على الناقد السيميائي مراجعة طرق وأساليب استخدامه للمنهج، وهذه الممارسة تفترض عليه وعيًا مركباً، وعيًا بالخلفيات الإبستمولوجية والإيديولوجية للمنهج أولاً، ثم وعيًا بالنصوص في مجال الدراسة، وهذا ما يقع فيه أغلب نقادنا.
- ب -** إن التحليل السيميائي المقترن أثناء تحليله للخطاب الأدبي الشعري منه خاصة يجب أن يسعى إلى مساعدة الوعي الفكري العربي بالحداثة، لمعرفة مدى

وعـيه بالـروـابـط الـحـضـارـية الـعـمـيقـة بـيـن الـظـواـهـر الـمـعـرـفـيـة الـعـالـمـيـة، وـوضـعـه الـفـكـرـي الـثـقـافـي وـالـنسـقـي الـخـاصـ، وـكـذـا التـعـرـف عـلـى دورـ المـفـكـرـ العـرـبـي أوـ النـاقـدـ العـرـبـي فيـ إـيـرـازـ أـسـسـ الـحـدـاثـةـ، وـطـرـيـقـةـ تـعـالـمـهـ معـ الـمـسـتـجـدـاتـ الـفـكـرـيـةـ الـمـعاـصـرـةـ، وـتـشـخـيـصـهـ لـدـاءـ التـرـاجـعـ الدـائـمـ فـيـ مـقـابـلـ تـقـمـ الـآـخـرـ.

إـشكـالـةـ المـقارـبةـ عـلـىـ مـسـتـوـىـ الـأـدـوـاتـ الإـجـرـائـيـةـ:

- أـ - يـسـعـيـ المـهـجـ السـيمـيـائـيـ إـلـىـ دـمـجـ الـأـفـكـارـ وـمـرـاجـعـتـهاـ أوـ تـفـكـيـكـهاـ عـلـىـ النـوـعـ الذيـ يـوـلـدـ مـنـهـ أـفـكـارـاـ تـقـبـلـ الـمـراـجـعـةـ وـالـمـسـاعـلـةـ هـيـ الـأـخـرـىـ، لـكـنـ قـصـرـ نـظـرـ الـخـطـابـ الـقـدـيـ الـعـرـبـيـ حـولـ حـدـاثـةـ الـشـعـرـ العـرـبـيـ هوـ الـذـيـ أـدـىـ إـلـىـ نـوـعـ مـنـ سـوـءـ الـفـهـمـ لـهـذـهـ الـنـصـوصـ؛ لـأـنـ عـقـيـدـةـ الـتـقـلـيدـ لـدـىـ نـقـادـنـاـ اـفـتـرـسـتـ أـفـكـارـنـاـ الـنـقـيـةـ وـحـصـرـتـ الـفـكـرـ الـنـقـيـ فـيـ أـفـقـ مـعـرـفـيـ ضـيقـ يـزـكـيـ الـأـوـضـاعـ الـنـقـيـةـ السـائـدـةـ، وـيـوـهـمـ أـصـحـابـ بـامـتـلـاكـ الـحـقـيـقـةـ، دونـ الـوعـيـ بـأـنـ هـذـاـ الـفـكـرـ يـعـودـهـمـ عـلـىـ الـتـقـيـ وـقـبـولـ الـأـشـيـاءـ كـمـاـ هـيـ دـوـنـ مـسـاعـلـةـ.
- بـ - هـدـفـ الـبـاحـثـ السـيمـيـائـيـ هوـ إـجـرـاءـ مـقـارـبةـ مـعـرـفـيـةـ تـرـمـيـ إـلـىـ بـنـاءـ نـمـطـ ثـقـافـيـ لـقـرـاءـةـ الـنـصـوصـ فـيـ ضـوـءـ الـنـقـاـفـةـ الـتـيـ أـنـتـجـتـهـاـ تـلـكـ الـمـعـرـفـةـ، وـمـنـ ثـمـ مـسـاعـلـةـ الـبـنـيـةـ الـعـمـيقـةـ لـلـنـصـ الـأـدـبـيـ الـمـرـادـ اـسـتـطـعـاـتـهـ سـيمـيـائـيـاـ منـ خـلـالـ طـرـحـ أـسـئـلـةـ تـعـلـقـ بـسـيـاقـاتـهـ لـكـشـفـ مـعـانـيـهـ وـأـبـعـادـهـ دـاـخـلـ الـخـطـابـ الـأـدـبـيـ وـالـتـحـلـيلـ، لـاـ يـهـدـفـ بـهـذـاـ الـمـنـحـىـ إـلـىـ فـحـصـ الـمـعـارـفـ وـالـأـفـكـارـ، بـقـدرـ ماـ هـوـ بـحـثـ فـيـ اـسـتـرـاتـيـجـيـاتـ الـمـعـرـفـةـ، وـفـهـمـ آـلـيـاتـ الـتـحـلـيلـ وـالـأـبـعـادـ الـجـمـالـيـةـ لـلـنـصـ الـأـدـبـيـ، وـمـعـايـرـهـ الـأـدـبـيـةـ؛ وـمـنـ ثـمـ بـنـاءـ مـارـسـةـ نـقـيـةـ سـيمـيـائـيـةـ نـاضـجـةـ تـتـبـعـ لـمـخـلـفـ الـخـطـابـاتـ الـأـدـبـيـةـ أـنـ تـتـشـكـّلـ وـتـتـنـتـشـرـ، وـفـقـ رـؤـيـةـ نـقـيـةـ وـاعـيـةـ بـإـشـكـالـةـ الـذـاتـ وـالـمـوـضـوعـ مـعـاـ.

خـاتـمةـ الـدـرـاسـةـ

وـفـيـ الـأـخـيرـ نـدـعـوـ الـبـاحـثـينـ السـيمـيـائـيـنـ إـلـىـ تـطـيـقـ وـتـمـثـلـ هـذـهـ الـمـقـارـبةـ السـيمـيـائـيـةـ نـظـرـياـ وـتـطـبـيقـاـ وـالـتوـسـعـ فـيـهـاـ؛ لـأـنـ الـدـرـسـ الـأـدـبـيـ الـأـكـادـيـمـيـ لـاـ يـهـمـ سـوـىـ بـالـنـصـ الـأـسـاسـيـ وـالـمـرـجـعـيـ وـلـاـ يـبـالـيـ دـيـاـكـتـيـكـاـ وـلـاـ يـبـدـأـعـوـجـيـاـ بـالـنـصـ الـمـواـزـيـ وـمـلـحـقـاتـهـ الـدـاخـلـيـةـ وـعـتـبـاتـهـ الـخـارـجـيـةـ، أـوـ يـمـرـ عـلـيـهـ مـرـورـ الـكـرـامـ وـلـاـ يـتـعـمـقـ فـيـهـاـ مـنـهـجـيـاـ أوـ نـظـرـيـاـ.

كـمـاـ لـاحـظـنـاـ السـمـةـ الـتـجـزـيـئـيـةـ الـتـيـ يـتـسـمـ بـهـاـ الـدـرـسـ السـيمـيـائـيـ، إـذـ وـجـدـنـاـ مـنـ الـبـاحـثـينـ

والأساتذة من يركز على المنهج وحده أو النص أو القارئ أو الذوق أو التاريخ أو النفس أو المجتمع دون غيرها من العناصر والمكونات الأدبية والنقدية الأخرى، أي يدرسون المنهج السيميائي بالتركيز على عنصر معين في معزل عن العناصر الأخرى المكونة للعملية الإبداعية والأدبية، لذلك أصبح الدرس النقدي فاقداً وجزئياً وعجزاً عن الإحاطة بالنص الأدبي من جميع جوانبه مهما كانت قيمة هذه العناصر على مستوى الدلالة والتبلیغ والتواصل، لذلك يجب الجمع بين الجانبين النظري والتطبيقي معاً.

قائمة المصادر

- ١— آريفيه، ميشال وآخرون، *السيميائية أصولها وقواعدها*، (٢٠٠٢)، ترجمة رشيد بن مالك، الجزائر: منشورات الاختلاف.
- ٢— إبراهيم، عبد الله وآخرون، *معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة*، (٢٠٠٤).
- ٣— إيزر، فولفغانغ، *فعل القراءة، نظرية الواقع الجمالي*، (١٩٨٧)، ترجمة أحمد المديني؛ آفاق المغاربية، العدد .
- ٤— توسان، برنار، *ما هي السيميولوجيا*، (١٩٩٤)، ترجمة محمد نظيف، ط١، دار النشر إفريقيا الشرق.
- ٥— جورو، بيير، *علم السيميولوجيا*، (١٩٨٨)، ترجمة منذر عياشي، ط١، دمشق: دار طلاس.
- ٦— حجازي، محمد عبد الواحد، *ظاهرة الغموض في الشعر الحديث*، (٢٠٠١)، القاهرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
- ٧— حمداوي، جميل، *السيميوطيقا والعنونة*، (١٩٩٧)، الكويت، مجلة عالم الفكر، ج٥، ع٣، ينایر/مارس، ١٩٩٧.
- ٨— خلف، عصام كامل، *الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر*، (٢٠٠٣)، ط١، القاهرة، دار فرحة للنشر والتوزيع.
- ٩— ريفاتير، مايكل، *دلائل الشعر*، (١٩٩٧)، ترجمة ودراسة محمد معتصم، ط١، المغرب، الدار البيضاء، مطبعة النجاح.
- ١٠— الجديدة الصياغ، رمضان، في *نقد الشعر العربي المعاصر*، (١٩٩٨)، دراسة

- جمالية، الإسكندرية، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر.
- ١١— عباس، إحسان، فن الشعر، (١٩٩٦)، بيروت، دار صادر.
- ١٢— فانون، وجيه، دراسات في حركة الفكر الأدبي، (١٩٩١)، ط١، بيروت، دار الفكر.
- ١٣— قطوش، بسام، سيمياط العنوان، (٢٠٠١)، ط١، الأردن، عمان، وزارة الثقافة.
- ١٤— مصايف، محمد، دراسات في الندوة الأدب، (١٩٨١)، الجزائر، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع.
- ١٥— الواقع، مازن، مقدمة الإشارة — السيميولوجيا — لبير جورو، (١٩٨٨)، ترجمة منذر.
- ١٦— عياشي، ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.
- ١٧— يوس، هائز روبير، جمالية التلقى والتواصل الأدبي، (د.ت.)، لبنان، الفكر العربي المعاصر، العدد ٣٨.
- 18- Ferdinand De Saussure (1973). cours de linguistique générale, Paris, Payot
- 19- Léo. Hock (1984). La marque de titre

نفسية المتنبي وسَعْدي وأثرها في حكمتها الشعرية

د. صادق عسكري *

الملخص

إن نفسية المتنبي وسَعْدي من أهم المؤثرات على حكمة الشاعرين. لأنها تؤثر على حكمتها من جهتين، الأولى بتأثيرها على إقبالهما على الحكمة، والثانية بتأثيرها على المضامين والموضوعات الحكمية الملائمة لنفسيتها.

وأوضح لنا أخيراً أن الشاعرين مختلفان في هذا الجانب كل الاختلاف، إذ لا نلاحظ أي تشابه بينهما، فكل ما ذكرنا في هذه المقالة هو تفاوت وتباعد، بل تناقض وتعارض أحياً. لأن تواضع سَعْدي ينافق غرور المتنبي، وتفاؤله عكس تشاوُم المتنبي، وتدينِه ينافق ضعف عقيدة المتنبي.

خلاصة الكلام في هذا المجال أن معالجة نفسية الشاعرين تُظهر لنا التفاوت بين المتنبي كشاعر المدح وسَعْدي كشاعر الموعظة والنصيحة، أي: التفاوت بين المذاх والواقع. وإن اشتراك الشاعرين فيما يرونه عليهما، هو بسبب بعض التناقضات بين حكمتها الشعرية وبين حياتهما العملية، من قبيل التكتسب والإباحية.

أما تأثير هذا الاختلاف في المضامين الحكمية، فيظهر في الإكثار من بعض المضامين دون غيرها. فكان حُث المتنبي على الشجاعة والجرأة أكثر بكثير من حُث سَعْدي عليهما، وبالعكس لا يقتصر إقبال المتنبي على التواضع مع إقبال سَعْدي عليه. وكذلك أن المتنبي ما حُث على القناعة والعدالة ولم يمنع عن الأنانية والغرور، بينما حُث سَعْدي على القناعة والعدالة والإخلاص ومُنع عن الغرور والأنانية كثيراً.

كلمات مفتاحية: الحكمة، المتنبي، سَعْدي، النفسية والأخلاق، الدراسة المقارنة

المقدمة:

من القضايا المؤثرة في أدب المتنبي وسَعْدي عموماً وفي إقبالهما على الحكمة والموعظة خصوصاً، هي المؤثرات المستمدّة من عصري الشاعرين وحياتهما الشخصية.

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة سمنان، إيران.

فكانت هذه المؤثرات راجعة إلى الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والأدبية. فالاضطرابات السياسية وما فيها من الفتن والحروب، بالإضافة إلى الأزمات الاجتماعية والاقتصادية وما يترتب عليها من فساد وفقر وانهيار حُلقي واختلاف طبقي بين الحكم والوزراء والأمراء ومن في حاشياتهم من جهة، وبين الرعية وعوم الناس من جهة أخرى، هذه الأمور كلّها انتهت إلى تأملاتٍ وخواطرٍ وأدت إلى إكثارهما من الآيات الحكيمية. كما كان للتيارات الفكرية والأدبية كال الفكر اليوناني والثقافة الفارسية، وازدهار الفلسفة والتصوف تأثير بارز في حكمة الشاعرين ومضمونهما أيضاً. وإلى جانب هذه القضايا المرتبطة بعصرى الشاعرين وببيئتهما، ثمة أيضاً مؤثرات أخرى مرتبطة بحياتهم الشخصية، منها أسفار الشاعرين، وأسفارهما، ونفسيهما وأخلاقهما.

ونظراً لأهمية أخلاق المتنبي وسعدى ونفسيهما، وتأثير ذلك في إقبالهما على الحكمة والإكثار منها من جهة، وفي اختيار الموضوعات والمضمونين الحكيمية المتلازمة مع نفسية كلّ منهما من جهة ثانية، اخترنا دراسة نفسية المتنبي وسعدى وأثرها في حكمتهما الشعرية موضوعاً لهذه المقالة. فقد حاولنا في الصفحات التالية أن نلقي الضوء على أبرز الخصائص النفسية والخلقية عند المتنبي وسعدى معرفة لأهم وجوه الشبه والاختلاف بين الشاعرين الذين عُرف كلّ منهما في الأدبين العربي والفارسي بشاعر الحكمة والموعظة.

هذا وقد درس الباحثون سابقاً أدب المتنبي وسعدى في دراسات مقارنة، كالأستاذ حسين علي محفوظ والدكتور أمير محمود أنوار والدكتورة أمل إبراهيم وغيرهم. إلا أنّهم لم تطرقوا إلى قضية الحكمة التي كانت من أهمّ أسباب اشتهر الشاعرين، كما أنّ دراساتهم لم تتمتّع بمنهج مقبول في المقارنة، فضلاً عن خروجهم عن الموضوعية أحياناً.

أ- ثانية المتنبي وتواضع سعدى

لعلّ أول ما يتراهى لنا في معالجة أخلاق المتنبي ونفسيه هو الغرور والكبرياء. فقد عانى الرجل من إحساسه بالتفوق على كلّ من حوله، فجاعت أغلب مدائنه وكأنّها صيفت لفخره. قال ابن رشيق القمي واني: «واما أبو الطيب فكان في طبعه غلظة وفي

عتابه شدة وكان كثير التحامل، ظاهر الكبر والألفة».^(١) ومن الأبيات التي يمكننا الاستشهاد بها في هذا المجال قوله:

إذا قلتُ شِيرًا أَصْبَحَ الْدَّهْرُ مُشِيدًا يُشْعِرِي أَتَكَ الْمَاحُونَ مُرْكَدًا أَنَا الصَّائِحُ الْمَحْكُىُّ وَالآخَرُ الصَّدَى ^(٢)	وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةِ قَصَانِدِي أَجِزَّنِي إِذَا أَشْبَدَ شِيرًا فَإِنَّمَا وَدَعَ كُلًّا صَوْتَ غَيْرِ صَوْتِي فَإِنَّنِي وَقُولِهِ:
---	---

وَتَبَنَّ الْجِبَالَ وَخُضْنَ الْبِحَارَا وَمَا لَمْ يَسِرْ قَمَرَ حَيْثُ سَارَا ^(٣) وهكذا خالف المتنبي رأي القائد عندما قالوا: «لا يجوز أن يكون الشاعر معجبًا بنفسه، مثيًّا على شعره وإن كان جيدًا في ذاته» ^(٤) . ورأى عبد الوهاب عزام أن هذه الكبرياء والتعاظم من أسباب الفراق بين الشاعر وسيف الدولة، فقال: «كان حول سيف الدولة شعراء كَسَفْت شمسُ أَبِي الطَّيْبِ نَجَومَهُمْ وَأَخْمَدْتَ نِبَاهَتُهُ ذَكَرَهُمْ، فَكَانُوا يَحْسُدُونَهُ... . كَانَتْ كَبْرِيَاءُ أَبِي الطَّيْبِ وَفَخْرُهُ بِشِعْرِهِ وَتَعَالِيهِ عَلَيْهِمْ وَإِيَّاهُ الْأَمِيرِ إِيَّاهُ تَرِيدُ حَسَدَهُمْ وَغَيْظَهُمْ. وَكَانَ غَيْرُ الشُّعُرِاءِ يَحْسُدُونَ الشَّاعِرَ الْأَبِيَّ عَلَى مَكَانِتِهِ وَيَنْقُمُونَ عَلَيْهِ تَعَالِيهِ وَتَعَاظِمِهِ... فَلَا جَرَمَ جَهَدُوا أَنْ يَوْقِعُوا بَيْنِهِ وَبَيْنِ الْأَمِيرِ» ^(٥) . ولعل هذه الخصال النفسية أيضًا هي التي حرَّضته على أن يشترط على سيف الدولة أن لا ينشد أمامه إلا قاعدة ^(٦) وأن يدعى لمنتعمه عن مدح غير الملوك ^(٧) . ويبدو أن هذه الأنانية متوجلة في نفسية الشاعر، والدليل على ذلك ظهورها عنده في عمر الصبا. فلو كان هناك ما يبرر للشاعر أن يُفخر بنفسه بعدما وصل إليه من المكانة والشهرة في بلاط سيف الدولة الحمداني وينظم الأبيات السابقة، فما الذي يبرر له أن
--

١- ابن رشيق القميرواني، المعدة، ج ٢، ص ١١٢.

٢- المشتبه، الديوان، ص ٣٦١

٣- المصادر لنفسه، ص ٣٦١

٤- ابن رشيق القميرواني، المعدة، ج ١، ص ٢٠٥.

٥- عبد الوهاب عزام، ذكرى أبي الطيب، ص ٩٥.

٦- عبد القادر البهادري، خزانة الأدب، ج ١، ص ٣٨٣.

٧- العالجي، بحثة الدهر، ج ١، ص ١٣٦.

يُدِي غروره وتعاليه في بدايات حياته الشعرية، إذ يقول:

لَا يَقُومِي شَرْفُتُ بِلْ شَرَفُوا بِي
وَبِنَفْسِي فَخَرَتُ لَا بِجُدُودِي
لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدٍ
إِنْ أَكُنْ مُعْجَباً فَعَجَبَ عَجِيبٌ
أَنَا تَرَبَّ النَّدَى وَرَبَّ الْقَوَافِي
وَسَيِّمَ الْعِدَا وَغَيَطَ الْحَسُودِ^(٤)

وهذه الأبيات من قصيدة هي الرابعة في الديوان على حسب الترتيب التاريخي إذا ما تركنا بعض المقطوعات الصغيرة وإلا فالثالثة عشرة. وإذا أخذنا بعين الاعتبار ما قيل عن أسفار المتنبي وأهدافها، وأن غالبيها كان لطلب الثروة والشهرة^(٩)، فكيف ييرر الشاعر أن يطلبهما متكتساً بـ«شعره»، وينادي في الوقت نفسه بغروره وتعاليه إلى حد سبب له فيما بعد كثيراً من النقد اللاذع والعداوة من قبل النقاد. لعل الجواب الوحيد هو أن الاضطراب السياسي والاجتماعي والفنون والحرروب وخاصة التعاليم القرمية، فضلاً عن الحرمان الذي عاناه الشاعر في بداية حياته، كل هذه الأمور هي التي ولدت الأنانية والغرور في نفسه، كما ولدت فيها الشفاعة وذم الدهر والناس.

ويبدو أن كل ما ذكره النقاد من غلو المتنبي أو شجاعته، سواء أكان في المدح أم في الفخر، يرجع إلى هذه الخاصية النفسية أي إلى التعالي والتعاظم، فلهذا قال ابن رشيق القمياني في باب الغلو من كتاب العدة ما نصه: «زعم بعض المتعقبين أن الذي كثُرَ هذا الباب أبو تمام، وتبعه الناس بعد. وأين أبو تمام مما نحن فيه؟ فإذا صرَتَ إلى أبي الطيب، صرَتَ إلى أكثر الناس غلواً وأبعدهم فيه همة، حتى لو قدر ما أخلَ منه بيتأ»^(١٠).

ولا شك في أن هذه الأمور أثرت تأثيراً بالغاً في شعر المتنبي، إذ نلاحظ معالم هذه الحالات النفسية بوضوح في شعره. ونذكر على سبيل المثال بعض الشواهد الشعرية في هذا المجال، تلك الشواهد التي تدل على الإباء والتعالي والكبراء وإلى أن وصل حد الغرور والأنانية والاستهانة الآخرين، يقول:

٨- المتنبي، الديوان، ص ١٥.

٩- الواحدي، شرح ديوان المتنبي، ص ٩٣، ٢٠٦؛ ياقوت الحموي، معجم الأباء، ج ٥، ص ٢٠٣؛ البديبي، الصبح المتنبي، ج ١، ص ٧٨-٨١؛ المازجي، المرف الطيب، ص ٥١، ١٣١؛ بلاشير، أبو الطيب المتنبي، ص ١٤٢.

١٠- ابن رشيق القمياني، العدة، ج ٢، ص ١٤.

واقفاً تحتَ أَخْمَصَيِّ قَدْرِ نَفْسِي
ولعلَّ ما قيلَ عن شجاعة المتنبي هو أيضاً بدوره متأثر بكلِّ ما أشرنا إليه من غروره وكبرياته وهكذا نفتر ما نقله ابن رشيق القمي وآني عن بعضهم: «أبو الطيب كالملك الجبار، يأخذ ما حوله قهراً وعنوة، أو كالشجاع الجريء يهجم على ما يريد ولا يبالي ما لقي ولا حيث وقع»^(١١). وبإمكاننا أن نفهم هذا الأمر من شعر المتنبي أيضاً، إذ صرَّح بذلك في أكثر من موضع في ديوانه. قال مثلاً بعد ما عذله أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي على ما كان قد شاهده من تهوره واستعداده للثورة:

أبا عبد الإله معاذ إبني
خفَّيْ عَنكَ فِي الْهَيْجَا مَقَامِي
وَيَجْزُغُ مِنْ مُلَاقَاتِ الْحَمَامِ
لَخَضَبَ شَعَرَ مَقْرِيقَهُ حُسَامِي^(١٢)

ولكننا نلاحظ زوال هذه الكبراء والتعاظم في أخلاق المتنبي في الحقبة الأخيرة من حياته عند ما كان في فارس عند ابن العميد وع ضد الدولة إذ «أنشدَه قائماً حين دخل عليه، على غير عادته وأمره ع ضد الدولة بالجلوس، فأبى وقال: هيبيتك تمنع من ذلك»^(١٤)، كما لا يظهر في الشعر الذي قاله في ع ضد الدولة أي اعتداد بالنفس أو تفضيل نفسه على أحد. فنلاحظ في قصائد المتنبي في هذه الحقبة زوال تضخم ذاتية الشاعر أو أنايته وتعاظم الآنا الأخرى المتجلية في شخصية المدوح^(١٥).

ولعلَّ يمكننا من هذا المنطلق، فهم تخلي المتنبي في حضرة ابن العميد عن فكرة كونه الأقدر شعرياً والأفضل لغة ونطقاً. بل على العكس نراه يعترف بالقصص، معتبراً:

قُبُولَ سَوَادِ عَيْنِي مَدَاهُ
هُلْ لِعَذْرِي إِلَى الْهَمَامِ أَبِي الْفَضْلِ
وَاضْحِيَّاً أَنْ يَقْوِتَهُ تَعْدَاهُ
إِنَّ فِي الْمَوْجِ لِلْفَرِيقِ لَعَذْرَاً^(١٦)

١١- المتنبي، الديوان، من ١٤٩.

١٢- ابن رشيق القمي، العمدة، ج ١، من ١٢٣.

١٣- المتنبي، الديوان، من ٤٩.

١٤- محمود هاكر، المتنبي رسالة في الطريق، ج ٢، ص ٣٥٢. ولم يشر محمود هاكر إلى المصدر الذي أخذ منه هذه المعلومة. ونقل عنه مصطفى شحادة في كتابه أبو الطيب المتنبي في مصر والعربيين، ص ٥٤٦. ولكنه أضاف بعد الإحالة إلى محمود هاكر أنَّ هذه المعلومة «عن ترجمة المقربزي، الفقرة ١٩». إلا أنَّ هذه الإضافة لم تساعدنا في البحث عن مصدر هذه المعلومة. فلا نستطيع الاعتماد عليها كثيراً.

١٥- الأزرقاني، ملامح الأدب العربي في قصور الوريثتين، ص ١٢٧.

لِلنَّدِي الْغَلْبُ أَنَّهُ فَاضَ وَالشَّعْرُ
رُّعَمَادِي وَإِنَّ الْعَمَدِ عَمَادِهُ^(١٦)

ونحن نرى أنَّ هذا التحوُّل في نفسية المتنبي — لو صَحَّ التعبير — يعود إلى الأجواء التي عاشها الشاعر في البيئة الفارسية، حيث لم يواجه خصوصاً، فلم يجد دواعي للفخر والهجاء كثيراً.

أما سَعْدِي فكان، عكس المتنبي تماماً. إذ اتفق النقاد والباحثون في أدب سَعْدِي وشخصيته على أنَّ التواضع والاعتدال من أهم ميزاته الخلقية. وفيما يلي نماذج من أقوالهم في هذا الشأن. يقول إدوارد براون: «وفي الحق أنَّ فوز سَعْدِي بالشهرة العريضة التي نالها يرجع إلى ما اتصف به من مرونة شاملة»^(١٧). وقال الآخر: «إنَّ اتصاف سَعْدِي بالفضائل الإنسانية، أدى إلى ابتعاده عن الكبراء والتعاظم والغرور»^(١٨). ويقول عطاء الله مهاجراني: «يتجلب سَعْدِي في كلِّ ما كتب، الإفراط والتقرير ويتخذ موقفاً وسطاً معتدلاً»^(١٩).

ولعلَّ خير ما نشهد به في هذا المجال هو أبيات سَعْدِي نفسه؛ فقد خصَّص سَعْدِي أربعة أبواب من بوستان لهذه القضايا، وهي: باب التواضع، باب الرضا، باب القناعة، باب الشكر. كما خصَّص الباب الثالث من گلستان للقناعة أيضاً. وفضلاً عن كلِّ ذلك يقول في قصيدة عربية:

وَلَوْ كَانَ عَنِّي مَا بِبَأْلِي مِنْ سُحْرٍ
وَمِنْ تَخْبُو الْقَوْلُ الْجَمِيلُ مِنْ الْمَهْرِ
وَمَا حَسِنَتْ مِنِي مَجَاوِزَةُ الْقَدْرِ
وَإِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ يُكَفَّرُ بِالْعَنْزَرِ^(٢٠)

وَمَا الشَّعْرُ أَلِيمٌ اللَّهُ لَسْتُ بِمَدْعِ
هَنَالَكَ نَقَادُونَ عَلَمًا وَخَبِيرَةَ
وَلَوْ سَبَقْتِي سَادَةُ جَلَّ قَدْرُهُمْ
فِي السُّمْطِ يَاقُوتَ وَلَعَلَّ وَجَاجَةَ

وأين هذه الأبيات من قول المتنبي إذ يقول:

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَيْنِي
وَأَسْمَعَتْ كَلْمَاتِي مِنْ بِهِ صَمْمٌ^(٢١)

١٦- المتنبي، الديوان، ص ٥٤٣.

١٧- Edward Browne, *A Literary History of Persia*, vol. II, p. 530.

١٨- محمد دامادي، «سَعْدِي شاعر جامع»، ذكر جهل سَعْدِي، ج ١، ص ٣٥٥.

١٩- عطاء الله مهاجراني، «صالح سَعْدِي لأبناء القرن العشرين»، المدراس الأدبية، العدد ٣ و ٤، ص ١٨.

٢٠- سَعْدِي، كَلْمَاتٍ، ص ٧٦٩.

٢١- المتنبي، الديوان، ص ١١٥.

وَمَا الْدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةِ قَصَائِدِي
 إِذَا قُلْتُ شِيرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُتَشَدِّدًا^(٢٢)
 قَوْافِ إِذَا سِرْنَ عَنْ مِقْوَلِي
 وَثَبَنَ الْجِبَالَ وَخَضَنَ الْبِحَارَ^(٢٣)
 وَالْأَمْثَلَةُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ سَعْدِي كَثِيرَةٌ جَدًّا لَا تُعْدُ وَلَا تُحْصَى^(٤).

بـ- تشاوم المتنبي وتفاؤل سعدى

والقضية الثانية التي تستدعي الانتباه إليها في دراسة أخلاق المتنبي، والمرتبطة بحكمته إلى حد كبير هي سوء الظن بالناس والتشاؤم وشكوى الدهر. ولا يستبعد أن يكون ذلك ناتجاً عن خصلته السابقة أي عن كبرياته وتعاظمه، لأنَّ التعالي وحبَّ الرئاسة والطموح من جهة، وعدم الوصول إلى ما أراد الشاعر من الإمارة والسلطان من جهة ثانية، أدياً إلى هذه النظرة التشاومية وشكوى الدهر وذم الناس والحدُّ عليهم. وإلى هذا أشار عبد الوهاب عزّام عندما قال: «كان المتنبي في اعتزازه بنفسه وطموحه إلى السُّودَّ وقصور عصبه وثرؤته عن بلوغ ما أمل، حاذداً على الناس يحرّرُهم وينهم ويضطغُنُ عليهم ويتحدث بقتلهم»^(٥). يقول المتنبي:

أَذْمُ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ أَهْيَلَةً
 فَأَعْلَمُهُمْ فَدْمٌ وَأَحْزَمُهُمْ وَغَدْ
 وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ وَأَشْجَعُهُمْ فَرْدٌ^(٦)

ويقول:

إِذَا مَا النَّاسُ جَرَبُوكُمْ لَبِيبَةً
 فَلَمْ أَرَ وَدْهُمْ إِلَّا خَدَاعًا
 فَإِنَّمَا قَدْ أَكَلْتُهُمْ وَذَاقُوا
 وَلَمْ أَرَ دِينَهُمْ إِلَّا نِفَاقًا^(٧)

أما عن سبب كلَّ هذا الحقد على الناس والغفور منهم فيمكننا الإشارة إلى السبب الذي ذكره بلاشير فضلاً عما أوردهنا آنفاً من الحالة النفسية الناتجة عن الأنانية والغرور. يقول بلاشير: «اختلاف المتنبي إلى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة، ولا ريب في أنه تحمل تلك المضائقات التي يلقاها فقير ضائع بين رفقاء الأغنياء. ولعلَّ في هذا اللقاء

-٢٢- المتنبي، الديوان، ص ٣٦١.

-٢٣- المتنبي، الديوان، ص ٣٦١.

-٢٤- أنظر إلى بعض الماذج في: بوسنان، ص ١١٥، ١١٦، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٣٩.

-٢٥- عبد الوهاب عزّام، ذكرى أبي الطيب، ص ٢١٨.

-٢٦- المتنبي، الديوان، ص ١٨٣، ١٨٤. الفدم: العي، والوغد: الأحق الخسيس.

-٢٧- المتنبي، الديوان، ص ٢٨٢.

الأول مع الناس، وإن كنا لا نبغى المبالغة في أهميته، منشأ نفور أبي الطيب من البشر»^(٢٨). وهذه النظرة التشاومية تتخلّ نفس الشاعر حتى في أثناء المدح والغزل. قال في مدح سيف الدولة متغّزاً:

مَ فَحْسُنَ الْوُجُوهِ حَالَ تَحَوُّلُ
زَوْدِنَا مِنْ حُسْنٍ وَجْهَكَ مَا دَأْ
يَا فِينَ الْمَقَامَ فِيهَا قَلِيلٌ
وَصَلَبِنَا نَصِيلَكَ فِي هَذِهِ الدُّنْـ

كما نرى أثر هذا التشاوم في أول بيت من القصيدة الأولى التي مدح بها كافور الإخشيدى، إذ قال:

كَفَى بِكَ دَاءَ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا
وَحَسْبُ الْمَنَابِيَا أَنْ يَكُنْ أَمَانِيَا^(٣٠)
نلاحظ أن نفسية المتنبي انتوت على التشاوم والشكوى، والحدق والحزن في كثير من قصائده، مدحأً كانت أم هجاءً أم رثاءً. وهذا ما اعترف به الشاعر نفسه إذ يقول:
فَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أَتَعَبُ^(٣١)

فالحزن والتأمل في عاقبة الإنسان وفاته في هذه الدنيا، الناجان عن التشاوم والشكوى قد أثرا بدورهما تأثيراً بالغاً في إدخال كثيرٍ من الحكم والأمثال، ليس في رثاء المتنبي فقط، بل وحتى في مدحه وغزله أيضاً.

أما سعدي فقد كان متفائلاً ومحباً للإنسانية جماء. وقد اتصفت شخصيته بنظرية إنسانية شاملة، من دون التقيد بالحدود الضيقية التي فرضتها المذاهب والجغرافيا. فقد ورد في دائرة المعارف الإسلامية: «صيغت معرفة سعدي بالدنيا وأفكاره وآراؤه بالتزعة العالمية التي لم يدركها شاعر فارسي آخر غيره»^(٣٢).

ويقول كورش كمالى سروستاني: «كان الشيخ سعدي يحب الإنسان دائماً، وكان يرى أبناء آدم كلهم أعضاء لجسد واحد لوحدة جوهرهم الإنساني»^(٣٣). وقد سبق أن أشرنا إلى فريدة سعدي المشهورة عالمياً في هذا المجال أي في الأخوة الإنسانية، عند ما يقول:

-٢٨- بلاشير، أبو الطيب المتنبي، ص ٤٤.

-٢٩- المتنبي، الديوان، ص ٣٤.

-٣٠- المتنبي، الديوان، ص ٣٥٢.

-٣١- المتنبي، الديوان، ص ٤٦٥.

که در آفرینش زیک گوهرند
بنی آدم اعضایِ یک پیکرند
دگر عضوی بدرد آورد روزگار
چو عضوی بدرد آورد روزگار
نشاید که نامت نهند آدمی^(٣٤)
تو کز محنت دیگران بی غمی

أي: إن أبناءَ آمَّ أعضاءَ جسدٍ واحدٍ، لأنَّهم قد خلقوا من جوهرٍ واحدٍ.
— عندما يُولُم الدهر عضواً من هذا الجسد، لا يبقى لسائرِ الأعضاءِ هدوءٌ واستقرارٌ.
— إذا كنتَ ممن لا تهمك محنَّة الآخرين، فلا يجوزُ أن يُطلق عليكِ اسمُ الإنسان.
ولعلَّ هذه الروية الإنسانية الشاملة هي السرُّ في خلود هذه الأبيات في صدور الأجيال اللاحقة، وقد بلغت ذورة الاشتهر إذ اختارتُها منظمة الأمم المتحدة وزينت بها إحدى لوحاتها، لأنَّها تدعو إلى الإحسان والمحبة والتعاطف والمواساة بين جميع أبناء البشر، ما يناسب شعار الأمم المتحدة قبل حوالي سبعة قرون من تشكيل هذه المنظمة العالمية. ولعلَّ ذلك ما جعل المستشرق النمساوي فان هومر بورغشتال (vanhammer porgstall) يوصي بحثَّ هذه الأبيات على رخام قبره لما فيها من نزعة إنسانية شاملة، ولما لسعدي من نبوغ فطري مجبول على حبِّ الخير والفلاح للبشرية جموعه^(٣٥).

ج- ضعف عقيدة المتنبي وتدين سعدى

آخر ما نتعرض له في دراسة أخلاق المتنبي هو ضعف عقيدته. إذ يقع ذلك في المرتبة الثالثة في التأثير على حكمة المتنبي وذلك بتأثيره على مدى إقبال الشاعر على الحكم الدينية، إذا صلح التعبير.

وقد اختلف النقاد وتضاربت آراؤهم في عقيدة المتنبي كما كان الأمر في كثير من الأمور المرتبطة بحياته. فالكثيرون يتهمونه بالزنقة والإلحاد استناداً إلى بعض أبياته، كما كان هناك من يدافع عنه ويفسر تلك الأبيات بطريقة تخرجه بأمان من دائرة الكفر والإلحاد.

قال الخطيب البغدادي صاحب خزانة الأدب متهمًا المتنبي في عقيدته: «وهو في الجملة خبيث الاعتقاد، وكان في صغره وقع إلى واحد يكتنى أبا الفضل بالكوفة من

٣٤- سعدى، گلستان، ص ٦٦

المتقى، فهو سه وأصله كما ضل»^(٣٦). ويقول الشاعري في معرض الحديث عن مثاب المتنبي وعيوبه: «منها الإيضاح عن ضعف العقيدة ورقة الدين». ثم يستشهد ببعض أبيات يرى أنه قد جاوز حد الإساءة فيها، منها قوله:

يَرْشَفُنَّ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ
هُنَّ فِيهِ أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ^(٣٧)

و يقول:

فِي النَّاسِ مَا بَعَثْتَ إِلَهَ رَسُولاً	لَوْ كَانَ عِلْمُكَ بِالْإِلَهِ مُقْسَماً
لِقْرَآنَ وَالْتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلِ ^(٣٨)	لَوْ كَانَ لَفْظُكَ فِيهِمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

وكذلك قوله:

لَهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقْ	وَكُلُّ مَا قَدْ خَلَقَ الَّذِي
كَشَعْرَةً فِي مَفْرَقِي ^(٣٩)	مُحْتَقَرٌ فِي هِمَتِي

ويتابع الشاعري كلامه قائلاً: «وَقَبِيحٌ مِنْ أُولَئِنَّ نَطْفَةَ مَنْزِرَةٍ وَآخِرُهُ جِيفَةَ قَذِيرَةٍ، وَهُوَ فِيمَا بَيْنَهُمَا حَامِلٌ بُولٌ وَعَذْرَةٌ أَنْ يَقُولَ مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي لَا تَسْعَهُ مَعْذِرَةً»^(٤٠). ونقل البرقوقي عن علي بن حمزة الأصفهاني قوله: «بِلُوتُ مِنَ الْمُتَنَبِّي ثَلَاثُ خَصَالٍ مَمْحُودَةٍ وَذَلِكَ أَنَّهُ مَا كَنْبَ وَلَا زَنِي وَلَا لَاطَّ، وَبِلُوتُ مِنَهُ ثَلَاثُ خَصَالٍ مَذْمُومَةٍ وَذَلِكَ أَنَّهُ مَا صَامَ وَلَا صَلَّى وَلَا قَرَا الْقُرْآنَ»^(٤١). وكذلك استشهد صاحب الروض المعطار في خبر الأقطار ببيت من المتنبي وهو:

أَبُوكَ وَأَجْدِي مَا لَكُمْ مِنْ مَنَاقِبِ ^(٤٢)	وَأَبْهَرَ آيَاتَ التَّهَامِيَّ لِهُ
وَقَالَ مَهاجِمَا الْمُتَنَبِّي: «فَعَنِي بِالْتَّهَامِيِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ تَقْتَضِي جَهَلَهُ أَوْ قَلَّةِ أَدْبَهِ، فَضَلَّ اللَّهُ تَعَالَى فَاهُ» ^(٤٣) .	

-٣٦- عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، ج ١، ص ٣٨٢.

-٣٧- المتنبي، الديوان، ص ١٣.

-٣٨- نفسه، ص ١٣٣.

-٣٩- نفسه، ص ٣٥.

-٤٠- الشاعري، بحث المهر، ج ١، ص ١٨٦. وقد أنسب هذا الكلام إلى الإمام علي بن أبي طالب أيضاً. انظر: الكليفي، أصول الكليفي، ج ٢، ص ٣٢٩.

-٤١- عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، ج ١، ص ٤.

-٤٢- المتنبي، الديوان، ص ٢١١.

-٤٣- عبد الحليم الحميدي، الروض المعطار، ص ١٤٢.

ولكن في المقابل دافع ابن جنّي عن المتنبي أمام هذه الاتهامات عندما قال في شرحه لهذا البيت: «ليست الاعتقاداتُ والآراءُ في الدين مما يقدحُ في جودة الشعر ورداعته، لأنَّ كلاً منفردٌ عن صاحبه»^(٤٤). وبمثل هذه العبارات دافع القاضي الجرجاني عن المتنبي، عندما قال مشيراً إلى بعض هذه الأبيات المنكورة: «والعجب من ينقص أبا الطيب، ويغضّ من شعره»، لأبيات وجدتها تدلّ على ضعف العقيدة وفساد المذهب في الديانة ...، فلو كانت الديانة عاراً على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر، لوجب أنْ يمحى اسمُ أبي نواس من الدواوين، ... ولكن الأمرين متباهيان، والدين بمعزل عن الشعر»^(٤٥).

كما أجاب أبو العلاء المعري في رسالة الغفران عن رسالة أرسلها إليه علي بن منصور المعروف بابن القارح الذي اتهم المتنبي فيها بالزندقة والإلحاد، قائلاً: «وقد دلت أشياء في ديوانه على أنه كان مثالياً... وإذا رجع إلى الحقائق فنطق اللسان لا ينبع عن اعتقاد الإنسان»^(٤٦).

ومن الذين دافعوا عن المتنبي في مجال العقيدة أيضاً عبد الوهاب عزّام إذ يقول: «مثل هذه الأبيات تدلّ على الغلوّ في المدح وقلة المبالاة، وتفسيرها بالغلوّ والجرأة كالعبارات التي خاطب بها المدحوبين وأخذه عليهما النقد، أولى من تفسيرها بالزندقة والإلحاد»^(٤٧).

ونحن هنا لسنا بصدد تفصيل هذه الآراء المتضاربة، إلا أنّنا متيقّدون أن في ديوان الرجل أبياتاً تدلّ على استخفافه بالدين. مع ذلك كله لا نستطيع أن نرميه بالإلحاد والكفر أبداً. فهناك أبيات في ديوان الشاعر تدلّ على إيمانه بالله واحترامه للنبيّ محمد وأهل بيته، نحو:

أنتَ لَنَا وَكُلُّنَا لِخَالِقٍ وأنتَ لِوَاءُ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدًا ^(٤٨)	أَيَ كَنْتَ كُلُّ حَاسِدٍ مُنَاقِفٍ فَإِنْتَ حُسَامُ الْمُلْكِ وَاللَّهُ ضَارِبٌ ^(٤٩)
--	---

٤٤ - ابن جنّي، الفسر، ج ٢، ص ٥١٨ - ٥١٩.

٤٥ - الجرجاني، الوساطة، ص ١٠٧ - ١١١.

٤٦ - المعري، رسالة الغفران، ص ١٣٤.

٤٧ - عبد الوهاب عزّام، ذكرى أبي الطيب، ص ٢٥٧.

٤٨ - المتنبي، الديوان، ص ٢١٦. والكتب: الإذلال والقهر.

٤٩ - المصدر نفسه، ص ٢١٤.

شَهِيد بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَالْعَدْلِ^(٥٠)
 أَنْزَلَتْ أَمْلَى بِغَرِّ الْخَالقِ^(٥١)
 كَانَ نَدَاءً مُنْتَهَى نَبِيِّهِ^(٥٢)
 وَشَبِيهُمَا شَبَهَتْ بَعْدَ التَّجَارِبِ^(٥٣)

فَقَمَلِيكَ دَلِيلٍ وَتَعْظِيمُ قَدْرِهِ
 لَسْتَ الْمَلُومَ أَنَا الْمَلُومُ لِأَنِّي
 أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِشَخْصٍ مَضَى
 هُوَ إِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ وَصِيَّهِ

وفضلاً عن ذلك يرى بلاشير أن المتنبي فرأ القرآن في الكتاب كغيره من المسلمين، وقد أثر هذا الكتاب على تكوينه الفكري والخلقـي^(٥٤). هذا وقد وجدنا في ديوان المتنبي نماذج من تأثيره بعض المضامين الحكمـية الموجودة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة لعلي بن أبي طالب.

ومهما يكن من أمر فإنـه هذا الاستخفاف بالدين قد أثر في مضامـينه الحكمـية وموضوعاتـها ومن أبرزـها قلة المضامـين الدينـية في ديوانـه عمومـاً وفي حـكمـته خصوصـاً.

أما المعتقدـات الدينـية عند سعـدي، فإـنـها من أـبرـز سـمات شخصـيته، ومن أهمـ المحاورـ التي يدورـ عليها أدـبـه نـظمـاً وـنـثـراً، وهـي بـدورـها أحدـ أهمـ المؤـثرـاتـ في حـكمـته أيضاً. يقولـ علىـ دشـتي وهوـ منـ الـباحثـينـ فيـ أدـبـ سـعـديـ: «إنـ المـعتقدـاتـ الـدينـيةـ هيـ أـسـاسـ حـرـكـةـ سـعـديـ الـفكـرـيـ وـمـجـالـ أـبـحـاثـ الـاخـلـاقـيـ، فـأـورـدـ الـمـبـادـيـ الـدينـيـ الـتـيـ التـرـمـ

بـهاـ الشـاعـرـ نـفـسـهـ عـمـلـيـاـ، وـلـمـ يـتـكـلـمـ فـيـ هـذـاـ الـأـمـرـ عـلـىـ وـتـيرـةـ الـمرـائـينـ، وـلـاـ بـلـغـةـ

محـترـفـيـ الزـهـدـ الـجـاهـةـ الـمـلـمـةـ، بلـ لـقـدـ مـزـجـ الـدـيـانـةـ وـالـاخـلـاقـ بـعـضـهاـ بـعـضـ بـلـسانـ

فصـيحـ وـتـعـابـيرـ جـديـرـ وـجـذـابـةـ»^(٥٥).

ويـشيرـ شـبـليـ النـعـمـانـيـ فـيـ كـتـابـهـ شـعـرـ العـجمـ إـلـيـ إـحدـىـ حـكـاـيـاتـ گـلـسـتـانـ الـتـيـ تـدـلـ

٥٠ـ (المصدر نفسه، ص ٥٢٤). وَدَلِيلُ اسْمِ الْمَدْرُوحِ وَهُوَ أَبُو الْفَوَارِسِ دَلِيلُ بْنُ لَشْكُورُوزْ قَالَدْ جِيشُ أَرْسَلَهُ عَضْدُ الدُّولَةِ
 قِتَالُ بْنِي كَلَابَ الَّذِينَ خَرَجُوا بِغَيْرِ السِّيَطَرَةِ عَلَىِ الْكُوفَةِ عَامَ ٩٦٢/٣٥٢. عَدُ الْوَهَابَ عَزَّامَ، «مَقْنَعَاتُ الْقَصَالِدِ»، فـيـ:
 المـتنـيـ، الـديـوانـ، صـ ٥١٩.

٥١ـ (لمـ يـجـدـ هـذـاـ الـبـيـتـ فـيـ دـيـوـانـ الـمـتـنـيـ، وـلـكـنـ الـمـصـادـرـ تـسـبـهـ إـلـيـ الـمـتـنـيـ بـرواـيـةـ تـاجـ الـدـينـ الـكـنـدـيـ. أـنـظـرـ: إـبـنـ حـلـكـانـ،
 وـلـيـاتـ الـأـعـيـانـ، جـ ١ـ، صـ ١٢١ـ؛ صـلاحـ الـدـينـ الصـفـديـ، نـصـرـةـ الـفـالـلـ عـلـىـ الـمـلـلـ السـالـرـ، صـ ١٨٠ـ؛ إـبـنـ شـاـكـرـ الـكـبـيـ،
 فـوـاتـ الـوـفـيـاتـ، جـ ١ـ، صـ ٣٥٤ـ؛ الـعـبـاسـيـ، مـعـاهـدـ التـصـيـصـ، صـ ١١ـ).

٥٢ـ (الـمـتـنـيـ، الـدـيـوانـ، صـ ٥٧٤ـ).

٥٣ـ (المـصـدرـ نفسهـ، صـ ٢١٢ـ).

٥٤ـ (بـلاـشـيرـ، أـبـوـ الطـيـبـ الـمـتـنـيـ، صـ ٤٥ـ).

٥٥ـ (عـلـيـ دـهـنـيـ، قـلـمـرـوـ سـعـديـ، صـ ٣٥٠ـ).

على أن سعدي قد سهر ذات ليلة مع أبيه لأداء صلاة النافلة وتلاوة القرآن، ويستنتج منها أن سعدي كان يشترى إلى العبادة متأثراً بتعاليم أبيه في الصغر^(٥٦). يرتجف سعدي خوفاً من الموت وارتكاب المعاصي والنار، وكل ذلك يقربه إلى الله تعالى، فلهذا نرى مناجاته ممزوجة بالخوف والرجاء^(٥٧). نراه يدعوا الله، ويطلب منه التوفيق والقيام بالعمل الصالح حتى لهولاكو المغولي الملحد، يقول في أثناء مدحه: يارب تو هر چه رای صوابست و فعل خیر اندر دل وی افکن ویر بست وی بران^(٥٨) أي: - يارب، ألهمنه كلَّ رأي صائب وأنجز بيده كلَّ فعل خير.

ونتهى كلامنا على المعتقدات الدينية لسعدي بأنه يبدأ كلَّ آثاره بذكر الله ومناجاته ونعت النبيَّ محمد (ص) والخلفاء الراشدين وينتهي أيضاً بمناجاة الله، فعلى سبيل المثال يقول في البيت الأول من بوستان:

سخن گفتن اندر زبان آفرید	بنام خدایی که جان آفرید
کریم خطاط پوش پوزش پذیر	خداوند بخشندۀ ی دستگیر
به هر در که شد هیچ عزت نیافت	عزیزی که هر کز درش سر بتافت
به درگاه او بزرگین نیاز ^(٥٩)	سر پا شاهان گردن فراز

أي: - بسم الله الذي خلق الأرواح، وأجرى الكلام على اللسان.
- الخالق الرحمنُ المغيثُ، الْكَرِيمُ ستارُ العيوبِ وغفارُ الذنوبِ.
- العزيزُ الذي خاب الواقدون على غيره.

- فيضع الملوكُ الأقوباءُ رؤوسهم، على اعتابِ بابِ لطلبِ الحاجة.
كما ختصَّ البابُ العاشرُ - وهو الأخيرُ من بوستان - بذكر الله ومناجاته وطلب الاستغفار منه، فقال في مطلع هذا الباب الذي تبلغُ أبياته مائةً وعشرةً أبياتاً:
بیا تا برآریم دستی ز دل
که نتوان برآورد فردا ز گل^(٦٠)
أي: - تعال لنمدَّ يدَّا إلى الله مخلصين، إذ لا يمكن مذ اليد غداً من تحت التراب.

٥٦- هيلى العماني، شعر العجم، ج ٢، ص ٤٠-١٩.

٥٧- غلام حسين زرين كوب، با كاروان حلمه، ص ٢٥١.

٥٨- سعدي، كليات، ص ٧٣٦.

٥٩- سعدي، بوستان، ص ٣٣.

٦٠- سعدي، بوستان، ص ١٩٦.

وقال في الأبيات الأربع الأخيرة من هذا الباب معترفاً بذنبه، طالباً العفو والمغفرة من الله:

بر این بی بضاعت ببخش ای عزیز
که هیجم فعال پسندیده نیست
امیدم به آمرزگاری تُست
خدایا ز غفوم مکن نا امید^(١)

لطفت همین چشم داریم نیز
کن از من سیه نامه تر دیده نیست
جز این کاعتمانم به یاری تُست
بضاعت نیاوردم الا امید

ای: - أتوقع من فضلك أن تغفر لهذا الفقير الضعيف، أيها الخالق العزيز.
- ليس أحد أكثر معصية مني، إذ لا عمل صالح لي؛
- ولكنني اتكللت على عنايتك، ورجوت عفوك ومغفرتك.
- فليس عندي بضاعة إلا الأمل، فلا توسيبني يا رب من عفوك.

الخاتمة

هكذا تُصبح لنا أن أخلاق المتنبي وسَعْدِي من أهم المؤثرات على حكمة المتنبي وسَعْدِي. لأنها تؤثّر على الحكمة من جهتين، الأولى بتأثيرها على إقبالهما إلى الحكمة والمؤثرات الشخصية الأخرى نحو أسلانة الشاعرين وأسفارهما، والثانية بتأثيرها على المضمّنين والموضوعات الحكيمية الملائمة لنفسية كلّ منهما وخصائصها الأخلاقية. واتُّضح لنا أيضاً أن هناك بوناً شاسعاً بين أخلاق المتنبي وسَعْدِي ونفسيهما، ونحن لا نشك في أن الشاعرين مختلفان في هذا الجانب كلّ الاختلاف، إذ لا نلاحظ أي تشابه بينهما، فكلّ ما ذكرنا في المحاور الثلاثة من هذه المقالة هو تناوله وتباعد بل تناقض وتعاكُس. لأنّ تواضع سَعْدِي ينافق غرور المتنبي، وتناوله عكس تشاوُم المتنبي، وتدينه ينافق ضعف عقيدة المتنبي. وبقدر ما كان المتنبي متعالياً ومغروراً كان سَعْدِي متواضعاً ومعتدلاً، وبقدر ما كان المتنبي متشائماً وحاذداً على الدهر والناس كان سَعْدِي متقدلاً ومحباً للإنسانية جماء، وبقدر ما كان المتنبي ضعيف الاعتقاد كان سَعْدِي متديناً مؤمناً.

فالتفاوت في كلّ هذه القضايا المرتبطة بنفسية الشاعرين وأخلاقهما أدى بدوره إلى التفاوت بين الشاعرين في مدى إقبالهما على الحكمة أولاً، والاختلاف في مضامينهما الإيجابية والسلبية ثانياً. كما أدى إلى الاختلاف في مكانة الحكمة ووظيفتها عند الشاعرين أيضاً.

ومن مظاهر هذا التفاوت أنَّ اهتمام سعدى بالحكمة أكثر بكثير من اهتمام المتنبِّي. وقد استدنا في كلامنا هذا إلى عدَّة أمور، أهمُّها: الحجم الكبير جدًا للحكمة في كليات سعدى مقابل حجم القليل في ديوان المتنبِّي، وأنَّ المنظومات الخاصة بالحكمة عند سعدى كثيرة جدًا، في حين أنَّ المنظومات الخاصة بالحكمة في ديوان المتنبِّي لا تتعذر منظومتين أو ثلاث منظومات، وإنَّ الحكمة عند المتنبِّي وسيلة للوصول إلى الثروة والسلطان، بينما هي وسيلة للموعظة والإرشاد عند سعدى، أي: الحكمة عند الأول وسيلة، وعند الآخر غاية. ذلك لأنَّ الهدف الأساس من الحكمة عند سعدى النصح والإرشاد إما للناس أو المدوح أو لنفسه أحياناً، في حين أنَّ الهدف الأساس عند المتنبِّي المدح والفخر والهجاء. فخلاصة الكلام في هذا المجال أنَّ معالجة نفسية الشاعرين تُظهر لنا التفاوت بين المتنبِّي كشاعر المدح وسعدى كشاعر الموعظة والنصيحة، أي: التفاوت بين المذاх والواعظ، وإنَّ اشتراك الشاعران فيما يؤخذ عليهما، لوجود بعض التناقضات بين حكمة الشاعرين وحياتهما، من قبيل التكسب والإباحية.

أما تأثير هذا الاختلاف في المضامين الحكيمية وموضوعاتها الإيجابية والسلبية، أي في الحثَّ على الفضائل والتحذير من الرذائل، فيظهر في الإكثار من بعض المضامين دون غيرها. بعبارة أخرى كلَّ ما ذكرناه هو من التفاوت في نفسية الشاعرين، فكان حثُّ المتنبِّي على الشجاعة والجرأة أكثر بكثير من حثُّ سعدى عليهمَا، وبالعكس لا يقاوم إقبال سعدى على التواضع مع إقبال المتنبِّي عليه. وكذلك إنَّ المتنبِّي ما حثَّ على القناعة والعدالة ولم يمنع عن الأنانية والغرور، في حين أنَّ سعدى حثَّ كثيراً على القناعة والعدالة والإنصاف ومنع عن الغرور والأنانية. وكانت هذه المقالة دراسة موجزة ومتواضعة في نفسية كلَّ من المتنبِّي وسعدى وتأثيرها على حكمة الشاعرين.

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر والمراجع العربية

- ١- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، ١٠٠٢/٣٩٢، شرح ديوان المتنبي المسمى بالفسر، تحقيق وتقديم رضا رجب، الطبعة الأولى، دمشق، دار البنابيع، ٢٠٠٣م، خمسة مجلدات.
- ٢- ابن خلّakan، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، ١٢٨٢/٦٨١، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨م، ثماني مجلدات.
- ٣- ابن رشيق القiroاني، أبو علي الحسن، ١٠٦٤/٤٥٦، العمدة في محسن الشعر وأدابه، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م، مجلدان.
- ٤- ابن شاكر الكتبني، محمد، ١٣٦٣/٧٦٤، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، لا طبعة، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٣ - ١٩٧٤م، خمسة مجلدات.
- ٥- الأرفه لي، بلال وليد، ملامح الأدب العربي في قصور البوبيتين، ١٥٣ صفحة (مستنسخة)، رسالة ماجستر، اللغة العربية وأدابها، الجامعة الأميركيّة في بيروت، كلية العلوم والأداب، حزيران ٢٠٠٣م.
- ٦- البديعى، يوسف، ١٦٦٢/١٠٧٢، الصبح المنبى عن حيثية المتنبي، لا طبعة، دمشق، مكتبة عرفة، لا تاريخ.
- ٧- بلاشير، ريجيس، أبو الطيب المتنبي، دراسة في التاريخ الأدبي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، لا طبعة، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٧٥م.
- ٨- الثعالبي، أبو منصور، ١٠٣٨/٤٢٩، ينیمة الدهر في محسن أهل العصر، شرح وتحقيق مفيد محمد قميحة، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م، أربعة مجلدات.
- ٩- الجرجاني، علي بن عبد العزيز، ١٠٠٢/٣٩٢، الوساطة بين المتنبي وخصوصة، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البخاري، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥١م.
- ١٠- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك، ١٣٦٣/٧٦٤، نصرة الشائز على المثل السائر، تحقيق محمد علي سلطانى، لا طبعة، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩١٧/١٣١٩م.

- ١١— الواقي بالوفيات، باعتماء هلموت رينتر ورفاقه، الطبعة الثانية [طبع على نفقة وزارة الأبحاث العلمية والتكنولوجية التابعة لألمانيا الاتحادية، بإشراف المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت]، بيروت، دار صادر، ١٣٨١ / ١٩٦٢ م، تسعه وعشرون مجلداً.
- ١٢— العباسي، عبد الرحمن بن أحمد ، ١٥٥٦/٩٦٣ ، معاهد التصصيص على شواهد التلخيس، لا طبعة، [قسطنطينية] ، لا ناشر، لا تاريخ.
- ١٣— البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، تحقيق عمر فاروق الطباع وتعليقه، الطبعة الثانية، بيروت، دار الأرقم، ١٩٣٨ م، مجلدان.
- ١٤— البغدادي، عبد القادر بن عمر، ١٦٨٢/١٠٩٣ ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، الطبعة الأولى، [وبهامشه كتاب المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المزري المشهور بشرح الشواهد الكبرى للإمام محمود العيني]، بيروت، دار صادر، لا تاريخ، أربعة مجلدات.
- ١٥— الحميري، محمد بن عبد المنعم، القرن الثامن/ الخامس عشر، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠ م.
- ١٦— عزّام، عبد الوهاب، ذكرى أبي الطيب، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨ م، ٣٢٠ صفحة.
- ١٧— الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، ٩٤١/٣٢٩، الكافي، تصحيح وتعليق على أكبر الغفاري، الطبعة الرابعة، تهران، دار الكتب الإسلامية، ١٩٨٥ ، ثمانية مجلدات.
- ١٨— المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسن، ٩٦٥/٣٥٤ ، الديوان، صححها وقارن نسخها وجمع تعليقاتها عبد الوهاب عزّام، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٤٤ م.
- ١٩— شاكر، محمود، المتنبي، رسالة في الطريق إلى تقاوتنا، لا طبعة، القاهرة، مطبعة المدنى، ١٩٨٧ م.
- ٢٠— الشعكة، مصطفى، أبو الطيب المتنبي في مصر وال Iraq، الطبعة الثانية، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١ م.

- ٢١— أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله، ١٠٥٧/٣٤٩، رسالة الغفران، تحقيق إبراهيم اليازجي، الطبعة الأولى، القاهرة ، مكتبة قومسيون، لا تاريخ.
- ٢٢— الواحدي، أبو الحسن على بن أحمد النيسابوري، ١٠٧٦/٤٦٨، شرح ديوان المتنبي، تصحیح وفهرسة فریدرخ دیتریصی، لا طبعة [طبع في مدينة برلين المحروسة]، بیروت ، دار صادر، ١٨٦١م، مجلدان.
- ٢٣— اليازجي، ناصيف بن عبد الله، ١٨٧١/١٢٨٨، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، بیروت، مطبعة القديس جرجیوس، ١٨٨٢م.
- ٤— ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين، ١٢٢٩/٦٢٦، معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، الطبعة الأولى، بیروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩١م، ستة مجلدات.

بـ – المصادر والمراجع الفارسية

- ٢٥— دامادی، محمد، سعدی شاعر جامع ومائذن چند حکایت بوستان، صفحه ٣٤٧-٣٦٨، در ذکر جمیل سعدی، چاپ پنجم، تهران، کمسیون ملی یونسکو وسازمان چاپ و انتشارات وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی، ١٣٧٧/١٩٩٧، جلد دوم.
- ٢٦— دشتی، علی، قلمرو سعدی، چاپ دوم، تهران، انتشارات اساطیر، ١٣٨٠/١٣٨٠. ٢٠٠٠
- ٢٧— زرین کوب، عبد الحسین، با کاروان حله، مجموعه نقد ادبی، چاپ نهم، تهران، انتشارات علمی، ١٣٧٤.
- ٢٨— سعدی، مصلح الدین عبد الله، ١٢٩١/٦١٠، بوستان، سعدی نامه، تصحیح وتوضیح دکتر غلامحسین یوسفی، چاپ پنجم، تهران، انتشارات خوارزمی، ١٣٧٥/١٩٩٦.
- ٢٩— سعدی، کلیات، شرح وتقديم عباس اقبال آشتیانی، چاپ ششم، تهران، نشر علم، ١٣٧٢/١٩٩٣، [طبعه استثنائیة، وقد أشیر إليها في الحواشی بكلمة «اقبال»]

- ٣٠ - سعدي، كليات، تحقيق محمد على فروغى، بدون نوبت چاپ، تهران، انتشارات امير كبير، ١٩٨٥/١٣٦٥.
- ٣١ - کمالی سروستانی، کورش، دیباچه، صفحه ٧ - ٩، در سعدی شناسی [دفتر اول]، به کوشش کوروش کمالی سروستانی، چاپ نخست، شیراز ، دانشنامه فارس، ١٩٩٧ / ١٣٧٧، دفتر اول.
- ٣٢ - مهاجراني، عطاء الله، نصائح سعدي لأبناء القرن العشرين، الدراسات الأدبية، بيروت، الدورة الجديدة، السنة الأولى، ٢٠٠٠م، العددان ٣ و ٤، الصفحات ٤٠ - ٤١.
- ٣٣ - نعماني، شبلي، شعر العجم: تاريخ شعر وأدبيات ايران، ترجمه محمد تقى فخر داعى گيلاني، چاپ سوم، تهران، دنيای كتاب، ١٣٦٨ / ١٩٨٢.

ج- المراجع الأجنبية

- 34-Browne (G. Edward). – *A Literary History of Persia: From Firdawsi to Sa'dī*. – seventh published. – London: Camberidge University, 1964. – Volume II.
- 35-Schimmel, (A.). – *Persian literature*: edit by Ehsan yarshater. – U.S.A, 1919.
- 36- Davis, (R.). – “Sa'dī”, in *Encyclopaedia of Islam*. – New edition. – Leiden : Brill, 1995. – Volume VIII, pp. 719 – 723.

This document was created with Win2PDF available at <http://www.daneprairie.com>.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.

جملية توظيف المصطلحات الصرفية والنحوية والعروضية في لزوميات المعرّي

د. سيد مهدي مسبوق*

د. علي باقر طاهري نيا**

مهدي تركاشوند***

الملخص:

شهد العصر العباسي ازدهاراً واسعاً في مختلف مظاهر الحياة ونشطت الحركة العلمية ووضعت مصطلحات كثيرة وجديدة في مختلف فروع المعرفة ودخلت بعض هذه المصطلحات في الأدب وجرت على أقلام الكتاب وألسنة الشعراء. فمن الطبيعي ألا تخلو منها أشعار كبار الشعراء كأبي تمام والمتنبي والمعرري وغيرهم. ولما كان المعرري ذا موهبة غزيرة وثقافة واسعة في مختلف العلوم والمعارف فقد أكثر من استخدام هذه المصطلحات العلمية في شعره خاصة ديوانه اللزوميات، وإسرافه في توظيف هذه المصطلحات في شعره قد أثار إعجاب فئة من النقاد والدارسين كما أثار طعن فئة أخرى.

هذا والمعرري قد تعرض لمصطلحات العلوم المختلفة من الصرف والنحو والعرض والفلك والكيمياء والطب وغيرها. ومن الواضح أن دراسة هذه المصطلحات في شعره تكشف عن جانب من أفكاره وأرائه كما تتم عن سعة إمامه بهذه العلوم وغزاره أدبه، فمن ثم تتوقف هذه الورقة عند المصطلحات الصرفية والنحوية والعروضية التي استخدمها الشاعر استخداماً فنياً وذوقياً لا يتواء بها المتألق إلا بعد التأمل في الجانب الفني والتي قد استخدمه الشاعر لتصوير خوالج نفسه والتعبير عن آرائه.

الكلمات المفتاحية:

المعرري، المصطلحات، الشعر، الصرف، النحو والعرض.

* استاذ مساعد في جامعة بو علي سينا بحمدان.

** استاذ مشارك في جامعة بو علي سينا بحمدان.

*** طالب ماجستير في اللغة العربية وآدابها.

المقدمة

هو أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَيْمَانَ التَّوْخِيُّ الْمَقْبُ بِالْمَعْرِيِّ وَالْمَكْنَى بِأَبِي الْعَلَاءِ، قَدْ وَلَدَ فِي مَعْرَةِ النَّعْمَانِ سَنَةَ ٣٦٣ هـ وَتَوَفَّى فِيهَا سَنَةَ ٤٢٩ هـ لِلْهِجَرَةِ .
وَيَبْدُو أَنَّ لَمْ يَكُنْ رَاضِيًّا لَا عَنْ اسْمِهِ وَلَا عَنْ كَنْيَتِهِ، حِيثُ اشَارَ إِلَى ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ،
مِنْهَا مَا قَالَهُ عَنْ كَنْيَتِهِ:

دَعَيْتُ أَبَا الْعَلَاءِ وَذَلِكَ مَيْنٌ وَلَكِنَّ الصَّحِيحَ أَبُو الْنَّزَولِ^(١)

وَعَنْ اسْمِهِ الْأَوَّلِ:

فَعْلَتُ سُوئِيْ مَا أَسْتَحْقُ بِهِ الذَّمَّا^(٢) وَأَحْمَدَ سَمَانِيْ كَبِيرِيْ، وَقَلَّا
أُصَبِّيَ أَبُو الْعَلَاءِ بِالْجَدْرِيِّ فِي الرَّابِعَةِ مِنْ عُمْرِهِ فَصَارَ ضَرِيرًا لَا يَرِيْ إِلَّا الظَّلْمَةِ.
وَقَدْ اشَارَ إِلَى هَذِهِ الْعَاهَةِ فِي لَزَوْمِيَّاتِهِ اشْتِراتَ كَثِيرَةً ذَاتَ لَوْعَةَ وَحَزْنٍ، مِنْهَا:

ذَهَابُ الْعَيْنِ صَانِ الْجَسَمَ آوَنَةً عَنِ التَّطْرِيقِ فِي الْبَيْدِ الْأَمَالِيِّ^(٣)

مَعَ هَذَا كُلَّهُ، وَهُبَّ اللَّهُ نَعْمَةُ جَلِيلَةٍ نَابَتْ مِنْابَ عَمَّاهُ وَهِيَ ذَاكِرَتُهُ الْقَوِيَّةُ الْعَجِيبَةُ الَّتِي
أَسْعَفَتَهُ فِي التَّفْوِقِ عَلَى مَعَاصرِيهِ وَفِي تَحْصِيلِ الْعِلُومِ وَالْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ وَاصْبَحَتْ خَيْرَ
مَعِينٍ لَهُ. دَرَسَ الْمَعْرِيِّ عِلُومَ الْأَوَّلَيْنَ مِنَ النَّحْوِ وَالْلُّغَةِ وَالْعَرْوَضِ وَالْحَدِيثِ عَلَى
مَشَاهِيرِ عَصْرِهِ، ثُمَّ هُمَّ بِالْأَسْفَارِ، وَرَحَلَ إِلَى الْمَدِنِ الشَّامِيَّةِ كَأَنْطَاكِيَّةِ وَطَرَابِلسِ وَحَلْبِ
وَاللَّاذِقِيَّةِ لِلِإِسْتِزَادَةِ مِنَ الْعِلْمِ ثُمَّ وَلَى وَجْهِهِ شَطَرَ بَغْدَادَ مُنْتَجِ الْعُلُومِ وَقَبْلَةِ الْأَدِبِاءِ
فِي ذَلِكَ الْحِينِ. وَبَعْدَ أَنْ أَرَوَى ظَمَاءَ عَبْرِ الْجَوْلَةِ فِي هَذِهِ الْمَدِنِ وَالْاِخْتِلَافِ إِلَى
الْأَوْسَاطِ الْعَلْمِيَّةِ فِيهَا وَالتَّعْرِفِ إِلَى الْحَضَارَاتِ الْعَرِيقَةِ كَحَضَارَةِ الْفَرْسِ وَالْهَنْدُودِ
وَالْيَوْنَانِ عَادَ إِلَى مَسْقَطِ رَأْسِهِ مُعْتَزِلًا النَّاسَ وَمَكْتَفِيًّا بِالْبَلِسِيرِ مِنَ الطَّعَامِ وَالْكَفَافِ مِنَ
الْقُوَّتِ مُسَمِّيًّا نَفْسَهُ رَهِينَ الْمَحْبُسِينِ يَعْنِي حَبْسَ النَّفْسِ فِي الْمَنْزِلِ وَحَبْسَ الْبَصَرِ عَنِ
الرَّؤْيَا. وَظَلَّ الشَّاعِرُ فِي هَذِينِ الْمَحْبُسِينِ زَهَاءَ خَمْسِينَ عَامًا. وَلَمَّا أَنْتَابَتْهُ الْأَمْرَاضُ
وَشَعَرَ بِدُنُونِ مَوْتِهِ أَوْصَى بِأَنْ يُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ:

هَذَا جَنَاهُ أَبِي عَلَيَّ^(٤) وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدٍ^(٤)

١ - لَزَوْمَ، ص ٣٦

٢ - نَفْسَهُ، ص ٣٠٧

٣ - نَفْسَهُ، ص ٧٢

٤ - ابْن خَلْكَانَ، ؟، ص ١١٥

بقي المعربي في قيد الحياة حتى سنة ٤٤٩ للهجرة. ولما مات أشده على قبره أربعة وثمانون شاعراً مراهقياً، منها أبيات لعلي بن الهمام من قصيدة طويلة في رثاه ومنها:

فَلَقَدْ أَرْقَتِ الْيَوْمَ مِنْ جُفْنِي دَمًا	إِنْ كُنْتَ لَمْ تُرِقِ الدَّمَاءَ زَهَادَةً
مُسْكَ فَسَامِعَخَ يَضْمَنُخَ أَوْ فَمَا	سِيرَتْ ذَكْرَكَ فِي الْبَلَادِ كَانَهُ
ذَكْرَاكَ أَخْرَاجَ فَدِيَهَ مَنْ أَحْرَمَأَ)	وَأَرَى الْحَجِيجَ إِذَا أَرَادُوا لِيلَةً

وقد أدرك أربعة من خلفاءبني العباس من المطيع الله الفضل بن المقذر إلى القائم بأمر الله عبدالله بن القادر و كذلك أدرك خمسة من الخلفاء الفاطميين من المعز لدين الله معذ بن المنصور إلى المستنصر بالله معد بن الظاهر^(١).

نظرة على أهم ميزات شعر المعربي

كان المعربي مطلاً على أشعار القدماء ومتطلباً غرائباً لأشعارهم، والمتتبلي الذي كان من أبرز الأعلام في الشعر العربي قد أعجب به شاعرنا خاصة في الشطر الأول من حياته الأدبية وقبل أن يعكف على العزلة. وقد ظهر صدى هذا الإعجاب في ديوانه سقط الزند جلياً، حيث أخذ الشاعر يجري فيه على منهج المتتبلي، خاصة في معانيه الحكمية وفخرياته. وفي معرض دراسته لشعر المعربي ، يشير الدكتور شوقي ضيف إلى هذه القضية قائلاً: «بدأ أبوالعلاء حياته الفنية في الشعر بتقليد المتتبلي إذ كان يتتعصب له تعصباً شديداً، وسقط الزند خيراً ما يفسر هذا التطور من تقليده إذ تراه ينظم على طريقة المتتبلي السابقة، فهو يعني بالغريب والشاذ في التراكيب، كما يعتد بالتصنع...»^(٢).

ومن أبرز مظاهر تعصب المعربي لأبي الطيب ما حدث له في بغداد مع الشريف المرتضى، إذ روی أنه قد جرى في بعض مجالس الشريف المرتضى ذكر أبي الطيب فهضم المرتضى من جانب المتتبلي فقال المعربي: لو لم يكن له من الشعر إلا قوله: لك يا منازل في القلوب منازل، لكفاه، فغضب المرتضى وأمر بحبسه وقال للحاضرين أتدرون ما عنى هذا بذكر البيت؟ قالوا: لا، قال: عني به قول المتتبلي:

٥ - الحموي، ١٤٠٠: ج ٣ ص ١٢٦

٦ - التجار، ١٤١٨: ص ٦٨

٧ - حبيب، ص ٣٨١

وإذا أنتك مذمتى من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كامل^(٨)
ومما يدل كذلك على شغف أبي العلاء بأشعار المتتبى أنه شرح ديوانه في كتاب
سماه «اللامع العزيزى» وقد أهداه إلى الأمير عزيز الدولة، الذي تولى اماره حلب سنة
ثلاث وثلاثين واربعينه^(٩). ويدرك ابن خلكان أنه لما فرغ من تاليف كتاب «اللامع
العزيزى» قرئ عليه فقال: كأنما نظر الى بلحظ الغيب حيث يقول:
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

ثم أشار ابن خلكان إلى أنه ألف كتابا آخر مختصرا في شعر المتتبى سماه «معجز
احمد» تكلم فيه عن غريب اشعاره ومعانيه وما ذه على غيره^(١٠).

أما الخصائص اللغوية لشعر المعربي فتتجلى في ثروته اللغوية وبلاهة تراكيبه
والأكثار من التكلف والتميق بضروب البديع. وكانت ثروته اللغوية تشتمل على الكثير
من الألفاظ الغريبة والتعابير النادرة والمترادات الكثيرة^(١١).

أصبح اللجوء إلى الصناعة والتكلف ميزة بارزة في عصر المعربي وميدانه واسعاً
لإظهار المقدرة الأدبية واللغوية بين الشعراء ولم يكن شاعرنا بمعزل عن هذه النزعه
 وإنما رافقها وشغف بها وأصبحت طابعاً مميزاً لشعره، وخير مثال على هذا التكلف هو
ديوانه المسمى باللزوميات، وعني المعربي بالمحسنات البديعية في شعره عنابة فائقة
وأسرف في التلاعب بالألفاظ والتلميحات التاريخية واستخدام المصطلحات العلمية حيث
يقول الدكتور كمال اليازجي عن هذه الظاهرة في شعره: «والذي يظهر لدارس مؤلفات
المعربي أن عنابة المؤلف في الشكل لم تكن أقل منها في الموضوع، بل ربما كانت القيمة
في الكثير منها للشكل دون الموضوع، شأن الكثير من رسائله. فمؤلفاته جملة مظهر لسعة
اطلاعه اللغوي ومرونته في تقليل الألفاظ والتراكيب ومقدراته في التميق والتزيين
والتجنيس وربما كان العامل الأول في تصنيف عدد من مؤلفاته إبراز هذه المقدرة
والتبجح بسعة العلم»^(١٢).

٨ - حسين، ١٣٨٤ق، ص ١٠٣

٩ - علي محمد، ١٩٩٧م، ص ١٥١

١٠ - ابن خلكان، ص ١١٤

١١ - اليازجي، ١٤١٧، ص ٢٢

١٢ - المرجع السابق

وأكثر المحسنات البدعية في شعر المعربي استعمالاً هو التجنيس والطباقي والمقابلة والتورية ورد العجز على الصدر، والتجنيس بأنواعه المختلفة أكثرها استعمالاً، حيث يظهر الشاعر في لزومياته شغوفاً به إلى حد الجنون. يقول الدكتور شوقي ضيف في سياق دراسة التصنّع في لزوميات الشاعر: «إن أبو العلاء استطاع أن يستخدم هذا الجناس استخداماً مزدوجاً، فهو يأتي به غالباً ليعبر عن جناس من جهة وليعبر عن لفظ غريب من جهة أخرى. كان أبوالعلاء يستخدم الجناس استخداماً لغوياً يريد به أن يدل على مهارته في اللغة قبل أن يدل على مهارته في استخدام لون قديم من الوان التصنيف»^(١٣).

ضاع أكثر مؤلفات المعربي والمعلوم والمطبوع من آثاره اليوم هو:

- لزوم ما لا يلزم
- سقط الزند
- ضوء السقط
- رسالة الغفران
- ملقي السبيل
- الفصول والغايات
- زجر النابح ومجموعة من الرسائل.

لمحة عن شيوخ المصطلحات العلمية في الشعر العباسي

لقد اشتغلت احتكاك العرب بالثقافات الأجنبية في العصر العباسي ونشطة الحركة العلمية ونھضة الترجمة وحملت إلى المسلمين قواعد المنطق والعلوم العقلية والفلسفية وظهر في ميدان الأدب شعراء قد تعرفوا إلى الكثير من هذه العلوم والمعارف وتعرضوا لها واستخدموا مصطلحاتها في أشعارهم استخداماً استعارياً وذوقياً، منهم أبو تمام وأبو الفتح البستي والمتibi والمعربي، من ذلك قول أبي تمام يصف الخمر مستخدماً مصطلح الصرف:

كتلاعب الافعال بالاسماء^(١٤)

خرقاء يلعب بالعقل حبائها

وقوله متمثلاً بالأفاظ علم المنطق :

صاغُهُمْ ذُو الجَلَلِ مِنْ جَوَهْرِ الْمَجَدِ وَصَاغَ الْأَنَامَ مِنْ عَرَضِهِ^(١٥)

وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ قَوْلُ أَبِي الْفَتْحِ الْبَسْتَنِيِّ :

رُ وَالْإِعْرَابُ جَدًا

وَبَصِيرٌ بِمَعْنَى الشِّعْرِ

طَالِبًا مَالًا وَرَفْدًا

قَالَ لِمَا أَنْ رَأَى

لَازِمٌ لَا يَتَعَدِّي^(١٦)

إِنْ مَالِيْ يَا حَبِيبِي

وَقُولُهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ :

وَهُذَا لِإِنْصَافِ الْوَزِيرِ خَلَفُ

عَزْلَتُ وَلَمْ أَذْنَبْ وَلَمْ أَكُ جَانِبَا

كَأَنِّي نُونُ الْجَمْعِ حِينَ تُضَافُ^(١٧)

حُذْفٌ وَغَيْرِي مُثْبَتٌ فِي مَكَانِهِ

وَالْمُتَنَبِّي أَيْضًا كَانَ يَجْرِي عَلَى هَذَا الْمُنْوَالِ وَيُوَظِّفُ كَثِيرًا مِنْ مَصْطَلَحَاتِ الْعِلُومِ فِي

شِعْرِهِ وَ«إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَرَكْ شَادَةً نَحْوِيَّةً إِلَّا وَتَكْلِفُهَا فِي قَصَائِدِهِ»^(١٨).

وَمِنْ ذَلِكَ قُولُهُ فِي قَصِيدَةٍ يَمْدُحُ بِهَا سَيفَ الدُّولَةِ الْحَمْدَانِيِّ :

إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهُ فَعْلًا مَضَارِعًا مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَازُ^(١٩)

أَمَا الْمُعْرِي فَقَدْ أَكْثَرَ مِنْ اسْتِخْدَامِ الْمَصْطَلَحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ فِي شِعْرِهِ خَاصَّةً فِي دِيَوَانِهِ الْلَّزَومِيَّاتِ الَّذِي اسْتَخْدَمَ فِيهِ شَتَّى الْمَصْطَلَحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ مِنْ كِيمِيَّاءٍ، وَفِيزيَاءٍ، وَفَلَكَ، وَجِيَوْلُوجِيَا، وَرِياضَةٍ، وَطَبَّ، وَصَرْفٍ، وَنَحْوٍ، وَعَرْوَضٍ وَقَافِيَّةٍ... وَغَيْرِهَا. وَبِمَا أَنَّ الْمَقَامَ يَضْيقُ بِنَا أَنْ نُوَسِّعَ الْقَوْلَ فِي كُلِّ هَذِهِ الْمَصْطَلَحَاتِ فَإِنَّنَا نَكْتُفِي مِنْهَا بِبعْضِ الْمَصْطَلَحَاتِ الْصَّرْفِيَّةِ وَالنَّحْوِيَّةِ الَّتِي يَنْبَسُطُ ظَلَلُهَا عَلَى شِعْرِهِ وَقَبْلَ الْخُوضِ فِي صَلْبِ الْمَوْضِعِ نَسْلِطُ الضُّوءَ عَلَى مَوْقِفِ النَّقَادِ وَالْدَّارِسِينَ مِنْ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ فِي شِعْرِ صَاحْبِنَا.

موقف الباحثين من هذه المصطلحات في شعر المعرّي

الفئة المؤيدة:

من النقاد من يقف موقفاً ايجابياً من هذه الظاهرة في شعر المعرّي باعتبارها عاماً اساسيّاً في روعة شعر المعرّي وجماله، منهم طه حسين، ومحمد الشرقي وحمد أبو

١٥ - المرجع السابق، ص ٢٨١

١٦ - ديوان، ١٩٨٩، ص ٧٨

١٧ - المرجع السابق، ص ١٧٦

١٨ - ضيف، ص ٣١٠

١٩ - ديوان، ١٩٩٧، ص ٣٠٢

شاويش. يرى الدكتور طه الحسين أن وجود هذه المصطلحات في لزوميات المعرى «يدل على شدة تأثير الدرس اللغوي في ملكته الشعرية»^(٢٠). يبدو في هذه العبارة أن طه حسين يقف موقف المعجب بهذه الظاهرة في شعر المعرى ويكتشف بصرامة عن موقفه هذا في موضع آخر حيث يقول :«تصرف أبي العلاء باصطلاحات العلم بهذا النحو من التصرف أكسب شعره ظرفا»^(٢١).

واستحسن محمد الشرقي أيضا صنيع المعرى في هذا المجال واظهر موقفه الإيجابي من هذه المبادرة وذكر:«أنَّ أبي العلاء عندما يأخذ باختراع المعانى العامة من المسائل والمصطلحات العلمية والفنية خاصة لا يسخر الشعر للعلم بل يسخر العلم للشعر فهو ليس بالشاعر الفقير أو اللغوي أو النحوي أو الفلكي بالمعنى المنقص في الذوق الأدبي بل هو الشاعر الملهم أبدا»^(٢٢).

والدكتور حماد أبو شاويش يتبنى نفس الموقف ويحذّر ما وظفه المعرى في شعره من مصطلحات العلوم قائلا: «إن المصطلحات ألفاظ كغيرها من ألفاظ اللغة ومن حق الأديب أن يستعمل منها ما يحتاج إليه ليحدد الفكرة التي يريد التعبير عنها ويوضح التجربة التي انفع بها ولا يخفى أن كثيراً من معانى أبي العلاء جاءت جديدة ومعانى الجديدة قد تحتاج إلى لغة جديدة لأدائها أو لتطويع اللغة المستخدمة، وقد استطاع أبو العلاء حقاً أن يستغل مصادر اللغة وثرواتها إلى أقصى درجة ولا نكاد نجد شاعراً في العربية بلغ درجته من توظيف مصادر اللغة في الشعر والنشر»^(٢٣).

الفئة المعاشرة:

رغم أن مثل تلك المصطلحات تمثل في رأي بعض النقاد والدارسين ألواناً جديدة لتصاویر الشاعر المبدع التي يرسمها في شعره فقد ظهر من النقد من يقف موقفاً سلبياً من هذه الظاهرة باعتبارها مظهراً من مظاهر التصنيع والتعقيد الفني ووسيلة

٢٠ - طه حسين،؟،ص:٥

٢١ - المرجع السابق،ص:١٠

٢٢ - الشرقي،١٩٤٥،ص:٢٢٢

٢٣ - أبو شاويش،١٩٨٩،ص:٤٣

يتعتمدها المعرّي ليثبت ببراعته اللغوية ومعرفته العلمية. منهم شوقي ضيف وأحمد الشايب. يقول الدكتور شوقي ضيف ناعياً على المعرّي إسرافه في استخدام هذه المصطلحات: «لا تستطيع أن نفهم هذا التصنّع لاصطلاحات النحو والصرف والعروض، وكان يلح في طلبه إلحاحاً شديداً أليس يدل ذاك على أن التفكير الفني لم يعد يدخل فيه شيء طريف وأن الشعراء قد أحسوا إحساساً ما بإجادتهم فانطلقوا يتكلّفون في شعرهم هذه الكلف التي لا تفصّح عن جمال فني سوى التعقيد الذي يدخله الشعراء من ممرات وأبواب كثيرة»^(٢٤).

يرى هذا الناقد أن المعرّي هو أول شاعر عربي وسع نطاق توظيف المصطلحات العلوم والفنون في الشعر العربي ويقول: «لعله أول من وسّع استعارة الشعراء لاصطلاحات العلوم والفنون ومن قبله كان المتتبّي يتصنّع لذلك ولكنه لم يسرف فيه إسراف المعرّي الذي ذهب يطرّز شعره بالألفاظ العلوم والفنون بل أنتَ نراه يدخل مسائلها في آرائه، وكأنه يريد منها الحجة والدليل على ما يذهب إليه من فكرة أو رأي»^(٢٥).

ويتبيني أحمد الشايب نفس الموقف قائلاً: «أرسى المعرّي على سابقيه في استخدام المصطلحات العلمية واتخاذها أقىسة وبراهمين ليس فيها جمال الشعر وإن كان فيها تطرف التحويين والفقهاء»^(٢٦).

والدكتور عثمان موافي يرفض عكوف الشعراء على هذه الرموز والمصطلحات بعامة، إذ إنها – في رأيه – تخل بعنصر التخييل أو الإيحاء الذي هو عماد الشعر ويرى أن «استعمال المصطلحات العلمية والفلسفية يؤدي إلى طغيان عنصر الإقناع على عنصر التخييل ويفسد بذلك التعبير الشعري إذ يجح به إلى التقرير والدلالة المباشرة، لا إلى الإيحاء والدلالة غير المباشرة»^(٢٧).

٢٤ - ضيف،؟: ص ٥٤

٢٥ - شوقي ضيف،؟: ص ٣٤٠

٢٦ - الشايب، ١٩٤٥، ص ٣٨

٢٧ - موافي، ٢٠٠٠، ص ٢٢٤

نماذج من المصطلحات الصرفية والنحوية والعروضية في شعر المعرى المصطلحات الصرفية

وظف المعرى المصطلحات الصرفية والنحوية في شعره توظيفاً إستعارياً، لكنه أكثر من استخدام الصرفية منها. نبدأ بتحليل المصطلحات الصرفية قبل النحوية والعروضية.

ومن التمثيل بالإعلال قوله:

بَتُّ كَالْوَاوِ بَيْنَ يَاءَ وَكَسْرِ
لَا يَلِمُ الرَّجُلُ إِنْ أَسْقَطُونِي^(٢٨)

يصف المعرى أحواله بين الناس وصفاً صرفيّاً ويشبهها بالواو التي وقعت بين الياء والكسر^(٢٩).

يريد الشاعر بهذا البيت أن يشير إلى أن شأنه في الاعتزال عن الناس شأن الواو في مضارع المثل الواوي وأمره ومصدره الذي تحذف منه الواو وتتفصل عن عين الفعل ولا ماه.

يعتقد أبوالعلاء إن الإنسان معدور في غدره وخيانته، لأنه قد ورث هذه الشيمة من

آبائه:

وَكَيْفَ وَفَاءُ النَّجْلِ وَالْأَبْغَادِ؟
كَحَالَاتِهَا أَسْمَاوُهَا وَالْمَصَادِرُ
أَتَتْ عَلَى تَغْيِيرِ لَوْنِكَ قَارِئٌ؟^(٣٠)

يعالج المعرى الصلة بين الأصول والفرع تعليلاً صرفيّاً فيقول: الأفعال إذا كانت متعللة تبعتها مشتقاتها في الإعلال ولا تستطيع الخلاص منها. وعلى هذه القاعدة تتبع الفروع الأصول.

أما الغرض الذي قصده الشاعر فهو أن الابن يتخلق بأخلاق أبيه، إن كان الأب ذات نفس سليمة سيكون الابن سالما وإن كان خائناً سيخذلوا الابن حنوه.

ومنها قوله:

٤٧ - لروم، ص ٤٧.

٢٩ - تختلف الواو التي هي فاء الفعل الثلاثي مفتح العين في الماضي مكسورة العين في المضارع مثل: وَعَدَ ، وَصَفَ ، فيجب حذف هذه الواو في المضارع والأمر. (ال نحو الوافي، عباس حسن، ٤: ٦٠٧)

٣٤٣ - نفسه، ص ٣٤٣.

فضاه في البين حذف الواو في "يَعْدُ"
 إذا غدوتَ عن الأوطان مُرْتَحلاً
 كانت فبانت وما حنَّتْ إلى وطنٍ
 عادَ غارِ إلى وكرٍ ولم تَعْدُ^(٣١)
 ينصح الشاعر المخاطب بالعزلة والتشبث بها ويقول: إذا رحلتَ عن وطنك فلا تعد
 إليه بل كن كالواو لأنها متى وقعت بين ياء وكسر تحذف لغرض صرفي فلا تعود إليه
 أبداً.

في موضع آخر يشبه نفسه بفعل قال في إعتلاله ويقول:
 أَعْلَتُ عِلَّةً أَقَالَ وهي قيمةٌ
 أعيَا الأَطْبَةَ كُلُّمِ إِبْرَاؤُهَا^(٣٢)

إنه وظف في هذا البيت قاعدة صرفية للتعبير عن علة إنسانية واستمد من إعتلال قال
 وما يشبهها من الأفعال المعتلة وأشار بذلك إلى أنه لا يمكنه أن يبرأ من عاهته وعلته
 كما أن الأفعال المعتلة لا تبرأ من الاعتلال يعني بذلك أن علته قيمة وأن الحياة وما
 فيها من الآلام والمصائب قد ثقلت عليه ولا نجاة له منها.
 ومنها:

كم تُتصحِّحُ الدُّنْيَا وَلَا تَقْبِلُ
 وفائزٌ من جَدَّه مُقْبِلٌ
 إن أَذَاهَا مثُلُّ افعالنا
 ماضٍ وَفِي الْحَالِ وَمُسْتَقْبِلٌ^(٣٣)
 يخلق أبوالعلاء في البيت الثاني تصويراً رائعاً إذ يشبه أذى الدنيا بأ Zimmerman للأفعال.
 ويقول كما ينقسم الفعل إلى الأزمنة الثلاثة^(٣٤) كذا يستمر أذى الدنيا دائماً ويشمل الماضي
 والحاضر والمستقبل.

ويقول مشبيها حالات الناس بإعراب الأفعال رفعاً ونصباً وخفضاً وجزماً:
 وترفع أجساداً وتتصبَّب مَرَّةً
 وتُخْفَضُ في هذا التُّرَابِ وَتُجَزِّمَ^(٣٥)
 يصف الشاعر أحوال الناس في النعمة والشقاء وصفاً صرفيّاً فكما يكون للفعل ثلاثة
 حالات من الرفع والنصب والجزم، للإنسان حالات مختلفة، كذلك منهم من ينعم في حياته

٣١ - نفسه، ص ٣٠٩

٣٢ - نفسه، ص ٥٦

٣٣ - نفسه، ص ١٧٠

٣٤ - للفعل ثلاثة أقسام: ١- الماضي وهو فعل يدل على امرئين: المعنى والزمان الذي فات ٢- مصادر وهو كلمة تدل على امررين
 معاً: المعنى والزمان الصالح للحال او الاستقبال ٣- أمر وهو كلمة تدل بنفسها على امررين: معنى مطلوب تتحقق في زمن
 مستقبل ولا بد لفعل الأمر ان يدل بنفسه مباشرة على الطلب . (ال نحو الرافي ، عباس حسن ، ١: ٢٧)

٣٥ - نفسه، ص ٢٦٩

ومنهم من يشقى و يتتحمل المصائب حتى يموت ويدفن، وهكذا جعل الشاعر الموت عامل خفف وسكون للإنسان.

وقال في ما يجمع على المؤنث السالم من غير العاقل:

إنَّ الرِّجَالَ إِذَا لَمْ يَحْمِلْهَا رَشَدٌ	مُثُلُ النِّسَاءِ عَرَّا هَا الْخُلُفُ وَالْخُلُفُ
أَلَا تَرَى جَمْعَ مَا لَا عَقْلَ يُسْتَدِّهُ	جَمْعَ الْمُؤْنَثِ ^(٣٦) فِيهِ التَّاءُ وَالْأَلْفُ ^(٣٧)

عنى الشاعر بهذا البيت أن الرجل الذي لا يتمتع بالعقل في حياته يشبه المرأة الحمقاء. ولتبرير ما ذهب إليه إعتمد على قاعدة صرفية وهي أن جمع المذكر غير العاقل يكون على جمع المؤنث السالم.

وقال ممثلاً بعدم جواز تصغير المصغر:

أَرَدْتَ إِهَانَتِي فَحَمَاكَ مِنِي	قَضَاءً فِيْ كَانَ لَهُ نُجُوزٌ
وَجَدْتَنِي لِلْجِينَ أَوِ التُّرْيَا	وَتَصْغِيرُ الْمُصْغَرِ لَا يُجُوزُ ^(٣٨)

اللجين والثريا كلاهما على زنة التصغير ولا يجوز تصغير المصغر، فاستمد المعرفي من هذه القاعدة الصرفية وقال: أراد عدو تحريري بتصغر شاني فوجدني كاللجين والثريا لا يجري عليهما التصغير لأنهما على زنة التصغير والتصغر فيما للتحبيب أو التعظيم فلا يمكن للشامت أن يحط من شاني.

وقال ممثلاً بعامل الخفف:

لَا تَدْنُونَ مِنِ النِّسَاءِ	فَإِنَّ غَبَّ الْأَرْيَ مُرُّ
وَبَاءُ مُثُلُ الْبَاءِ تَخَ-	فِضُّ لِلْدَنَاءَةِ أَوْ تُجُرُّ ^(٣٩)

يقول: إذروا النساء فإن كان أول القرب منهن حلو كالعسل فعقباه مُر كالحنظل ثم إستعار قاعدة صرفية لإثبات دعواه وإقناع الآخرين وهي تشبيه النساء بالباء الجارة

٣٦ — جمع المؤنث السالم ينقاس في ستة اشياء منها: في وصف مذكر غير عاقل مثل: كلمة جيل في: هذه بساتين جيلات (الحو الوفي، ١: ١٠٢).

٣٧ — نفسه، ص ٥٠

٣٨ — أحد شروط الأسماء التي يدخلها التصغير هو: لا يكون الاسم مصغر للفظ، مثل كميـت ، دريد ، وسويد. (الحو الوفي، ٤: ٥١٤).

٣٩ — نفسه، ص ٣٩.

خفّاصاً ودناءةً. الغرض الذي قصده الشاعر بهذه البيت هو كما «الباء الجارة» يعمل في الإسم ويجره، كذا القرب من النساء يسوق إلى العار والذل.

المصطلحات النحوية

ليست المصطلحات الصرفية هي التي يستمد منها الشاعر فقط، بل يميل إلى النحو ويستعير منه مادته الشعرية ليعبر بها عن معتقداته وآرائه تجاه الحياة.

منها قوله:

سِرُّ سَيْعَنَ وَالْحَيَاةُ مَعَارَةُ
كَبَيِّعٌ نَعَمْ وَبَئْسَ يُخْبَأُ فِيهِما

(٤٠) ويكون ذاك على اشتراط مفسر

يقول: الحق مكون في هذه الدنيا، ومتى انقضت الحياة الدنيا يظهر الحق فيكافئ من حرم من أبنائه ثم يفسر عقیدته تفسيراً نحوياً ويختلف لها تصويراً ادبياً إذ يشبه الحق المكون بفاعل أفعال المدح والذم، فكما يكون الفاعل^(٤١) في هذه الأفعال مستتراً وجوباً إذا ولّها تمييز مفسر كذا يكون الحق مستوراً في هذه الدنيا ويظهر ويطلع عليه الناس متى بادت هذه الدنيا.

يريد أن يقول إن انقضاء هذه الحياة هو القرينة الدالة على الحق المستور فيها كما أن التمييز هو القرينة الدالة على الفاعل المستتر في أفعال المدح والذم.

ويرى المعرّي أن خير النساء هي من تلازم الخبراء:

تَرَوَّجْ إِنْ أَرِدْتَ فَتَاهَ صَدَقْ
إِذَا اطْلَعَ الْأَوَانِسُ لَمْ تَطْلَعْ

(٤٢) كُمْضَمِّرٌ نَعَمْ، دَامَ عَلَى الضَّمِّيرِ

يقول إنه خير للرجال أن يتزوجوا بالفتيات العفيفات العابدات اللاتي لا يتبرّجن ولا يخرجن من بيوتهن إلى الشوارع. وهو يشبه سترهن في الخدر بفاعل أفعال المدح والذم الذي يكون مستتراً دائمًا عند تفسيره بالتمييز.

ومنها قوله، مستعيناً «كان»:

٤٠ — نفسه، ص ٤٧٣

٤١ — يقتصر بفاعل المدح والذم على النوع معينة منها: الضمير المستتر وجوباً بشرط أن يكون ملتزماً الإفراد والتذكرة وعائداً على تمييز بعده يفسر ما في هذا الضمير من الغموض والإبهام نحو: نعم قوماً العرب اي: نعم القوم قوماً ففي نعم ضمير مستتر وجوباً تقديره هو يعود إلى التمييز (قوماً). (ال نحو الواقي ، ٣٠٠ : ٣)

٤٢ — نفسه، ص ٤٦٥

والمرءُ كانَ ومثلُ كانَ وجذْهُ
حالِيهِ في الإلْغاءِ والإعْمالِ^(٤٣)

نظر المعرى إلى الإنسان وإلى أفعاله وحالاته نظرة نحوية وشببه ب فعل «كان»
إعمالاً. الغرض الذي قصده الشاعر بهذا البيت هو أنه كما يكون بفعل «كان» عاملًا
في رفع المبتدأ وينصب الخبر ويكون تارةً غير عامل كذلك يكون الإنسان في حياته عاملًا
مجتهداًً ومتى ما مات و دفن أصبح ملغى غير عامل.
وفي موضع آخر يشبه شاعرنا احتجابه عن عيون الناس واعتزاله إياهم بفاعل «نعم»

فيقول:

إذا مرَّ أعمى فارْحَمُوهُ وأيقُّنُوا
وإن لم تكُفُوا أنَّ كُلَّمَ اعمى
وما زال نعم الرأي لي أنَّ منزلي
كأنَّ فيهِ مُضمرٌ كُنْ في نعماً^(٤٤)

يمدح المعرى الطريقة التي اختارها في حياته وهو إعزاله عن الناس وقراره في
البيت ويعتبرها راياً صائباً، ثم يشبه نفسه معتزاً في البيت، متحجباً عن عيون الناس
بفاعل افعال المدح والذم الذي يكون مستترًا وجوباً متى فسره تمييز منكر.

المصطلحات العروضية

لا ريب أن المعرى كان عروضياً بارزاً عارفاً ببحور الشعر العربي وقوافيه وملما بما
يؤخذ على الشاعر ارتکابه وهذا الامر يتجلی في اشارات عروضية جرت على قلمه في
مدنته للزووميات وفيما تجشمها من القوافي الوعرة وهذا الأمر قد تمثل في شعره باستخدام
رموز ومصطلحات عروضية لا يتيسر فهمها إلا لمن كان متقدماً لهذا العلم، منها قوله:
ألم تر أن طويلاً القرير—
ضم من متقاربها والهزج^(٤٥)

هذا البيت يشير إلى اختلاط العالم الذي يشبه البحر الطويل، إذ إن الطويل تكون من
اختلاط المتقارب الذي يبني على (فعولن) والهزج الذي يبني على (مفاعيلن) وإنه مركب
منهما لأن تقاعيله (فعولن مفاعيلن) ثمانى مرات^(٤٦).

٤٣ — فعل «كان» ثلاثة اقسام: ناقصه وناتمة وزاندة. في الحالة الأولى تكون عاملًا في رفع المبتدأ وتنصب الخبر، وإذا كانت ناتمة تحتاج إلى الفاعل فقط وأما إذا كانت زاندة، فإنها غير عاملة فلا تحتاج إلى فاعل أو اسم وخبر (ال نحو الواتي، عباس حسن، ١:

٤١٧

٤٤ — نفسه، ص ٢١١

٤٥ — نفسه، ص ١٣٦

٤٦ — الأسماء، ٢٠٠٥، ص ٦٧

ومنها قوله:

يدعى الطويل ولا تجاوز ذلك
عش يا بن آدم عدة الوزن الذي
فحياة مثلك أن يوسد هالـ^(٤٧)
فإذا بلغت وأربعين ثمانيةً

يقول على الإنسان أن يقتضي في حياته بثمانية وأربعين عاماً وعبر عن هذا المعنى اعتقاداً على عدد حروف البحر الطويل لأنّه مركب من ثماني تفاعيل أربع منها مكونة من خمسة أحرف (فـوـلـنـ×) وأربع أخرى مكونة من سبعة أحرف (مـفـاعـلـنـ×) وربما تسميتها بالطويل تعود إلى عدد حروفه حيث قيل «سمى طويلاً لأنه أطول الشعر وليس في الشعر ما يبلغ حروفه ثمانية وأربعين حرفاً في البحور غيره»^(٤٨).

ومنها:

غدوتُ أَسِيراً فِي الزَّمَانِ كَأَنِّي
عَرَوْضٌ طَوِيلٌ قَبْضُهَا لَيْسَ يَبْسَطُ^(٤٩)

يشير إلى أنه وقع أسيراً في يد الزمان ولا يتغير حاله و شأنه في ذلك شأن البحر الطويل الذي عروضه مقبوضة على الدوام والقبض في الطويل هو حذف الخامس الساكن الذي يلزم حذفه في عروض الطويل أي في تفعيلاته الأخيرة من الشطر الأول ويصير (مـفـاعـلـنـ) في عروضه (مـفـاعـلـنـ).

ومنها:

وَأَكْرَمْنِي عَلَى عَيْبِيِّ رِجَالٌ
كَمَا رُوِيَ القَرِيضُ عَلَى الزَّحَافِ^(٥٠)

يقول إن الناس يكرمونني رغم ما فيّ من العيوب كما يرون أشعاراً فيها الزحاف ولا يعيونها على الشاعر وإنما يعتبرونها من الجوازات الشعرية، والزحاف تغيير يطرأ على الحرف الثاني من الأسباب ويكون بتسكن المتحرك أو حذفه أو حذف الساكن ففي مثل مفعلن يكون بتسكن التاء فتصير مفعلن وتنقل إلى مستعلن أو بحذفها فتصير مفعلن^(٥١).

٤٧ — لزوم، ص ٢٨٠

٤٨ — الماشي، ٢٠٠٦، ٤٤

٤٩ — لزوم، ص ٢٢٧

٥٠ — نفسه، ص ٢٤٣

٥١ — مصطفى، ٣١، ٩

ومنها:

بقائي الطويلُ وغيي البسيطُ

في الشطر الأول يشير إلى المعنى اللغوي للبحرين الطويل والبسيط ويشكوا من أنه قد عاش حياة طويلة في غباوة منبسطة وفي الشطر الثاني يلمح إلى ما يعانيه من الآلام والمصاعب مستمدًا من حالات بحرالرجز الذي تضطرب تفاعيله ويكثر فيه دخول الزحافات والعلل.

والشاعر بالإضافة إلى ما مر بنا من الرموز العروضية قد يستخدم مصطلحات القافية

في شعره، منها قوله:

وَقُرْبُهُمْ لِلْحَجَى وَالدِّينِ إِذَاءُ وَلَا سَنَادٌ وَلَا فِي الْفَطْرِ إِقْوَاءُ	بُعْدِي عَنِ الْإِنْسَانِ بُرْأَةً مِنْ سَقَامِهِ كَالْبَيْتِ أَفْرَدٌ لَا يُطَاءُ يَدْرِكُهُ
--	--

يبير الشاعر ما اختار من حياة العزلة والإنفراد معتقداً بأن الإعتزال عن الناس ينحيه من شرورهم وأسقامهم فشبه نفسه في انفراده وبعده عن شرور الناس بالبيت المفرد الذي لا يتعريه الإطاء ولا السناد ولا الإقواء. هذه المصطلحات الثلاثة من عيوب القافية والإطاء هو أن تتكرر القافية في قصيدة واحدة بلفظها ومعناها من غير فاصل أفله سبعة أبيات والسناد هو اختلاف ما يراعي قبل الروي من حروف وحركات والإقواء هو اختلاف حركة الروي في قصيدة واحدة كأن يكون الروي في بيت مجروراً وفي آخر مرفوعاً.^(٥٣)

ومن البديهي أن كل هذه العيوب لا تقع في البيت الواحد وكأنما المعني هو هذا البيت يعيش بمعزل عن شرور الناس وأذاهم.

النتيجة:

نستخلص مما مر بنا أن:

١— أبا العلاء قد ألح في توظيف المصطلحات الصرفية وال نحوية والعروضية في شعره إلحاحاً كثيراً وحاول أن يرد كثيراً من أفكاره إلى علل أصحاب الصرف والنحو والعروض ومصطلحاتهم.

- ٢- إكثار المعرّي من استخدام هذه الرموز زاد شعره غموضاً وصعوبة وأفسد بذلك التعبير الشعري إذ طغى عنصراً التفكير والإقناع على عنصري التخييل والعاطفة.
- ٣- الشاعر استخدم هذه المصطلحات ليعبر بها عن أفكاره وآرائه من جهة ويثبت معرفته العلمية الواسعة من جهة أخرى وبذلك خلا كلامه من المجال الشعري وأصبح أقرب إلى النثر منه إلى الشعر.

المصادر:

أولاً: الكتب

- ١- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (د.ت)، تحقيق د. احسان عباس، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت.
- ٢- أبوتمام، ديوان أبي تمام شرح الخطيب التبريزي، (١٩٩٤م)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٣- أبوشاويش، حماد حسن، النقد الأدبي الحديث حول شعر أبي العلاء المعرّي، (١٩٨٩م)، الطبعة الأولى، دار إحياء العلوم، بيروت.
- ٤- أبوالعلاء المعرّي، ديوان لزوم ما لا يلزم، (٢٠٠١م)، شرح كمال اليازجي، دار الجيل، بيروت.
- ٥- الأسمر، راجي، علم العروض والقافية، (٢٠٠٥م)، دار الجيل، بيروت.
- ٦- البستي، أبوالفتح، ديوان أبي الفتح البستي، (١٩٨٩م)، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية بدمشق.
- ٧- حسن، عباس، النحو الوافي، (د.ت)، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة.
- ٨- حسين، طه، تجديد ذكرى أبي العلاء، (د.ت)، دار المعارف، القاهرة.
- ٩- حسين، طه، تعريف القدماء بأبي العلاء، (١٣٨٤ق)، تحقيق مصطفى السقا وأخرين، الدار القومية للطباعة، القاهرة.
- ١٠- الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، (١٤٠٠ق)، الجزء الثالث، دار الفكر، بيروت.
- ١١- ضيف، شوقي، الفن ومذاهب في الشعر العربي، (د.ت)، الطبعة الثالثة عشرة، دار المعارف، القاهرة.

- ١٢- المتنبي، أبو الطيب، ديوان المتنبي، (١٩٩٧م)، شرحه وضبطه وقدم له على العسيلي، موسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- ١٣- مصطفى، محمود، أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والفافية، (د.ت.)، دار القلم، بيروت.
- ١٤- موافي، عثمان، في نظرية الأدب، من قضايا الشعر والنشر في النقد العربي القديم، (٢٠٠٠م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- ١٥- الهاشمي، السيد أحمد، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، (٢٠٠٦م)، ضبطه وعلق عليه علاء الدين عطية، الطبعة الثالثة، مكتبة دار البيروتي، بيروت.
- ١٦- اليازجي، كمال، أبو العلاء ولزومياته، (٤١٧ق)، دار الجيل، الطبعة الثانية، بيروت.

ثانياً : المقالات

- ١- آينه وند، صادق، بيش در آمدي بر شناخت سبك ادبی أبي العلاء المعربي، (٣٧٧ش)، مجلة مدرس علوم انساني، الشتاء، العدد .٩.
- ٢- السعدني، المصطفى، الإسترداد الشعري في لزوميات المعرفي بين التأثير والتاثير، (٤١٨ق)، منشورات ندوة أبي العلاء المعربي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأداب، الجزء الأول، دمشق.
- ٣- الشايب، أحمد، أبو العلاء شاعر أم فيلسوف، (١٩٤٥م)، منشورات المهرجان الألفي لأبي العلاء المعربي، دمشق.
- ٤- الشريفي، محمد، أسلوب المعرفي ومناهجه، (١٩٤٥م)، منشورات المهرجان الألفي لأبي العلاء المعربي، دمشق.
- ٥- علي محمد، احمد، تأثر المعرفي في سقط الزند بشعر المتنبي، (١٩٩٧م)، الجزء الأول، منشورات ندوة أبي العلاء المعربي.
- ٦- التجار، عز الدين، المعرفي حياته ونشأته وثقافته، (٤١٨ق)، الجزء الأول، منشورات ندوة أبي العلاء المعربي.

ظاهرة التناوب اللغوي بين المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية والمصدر

د. مالك يحيى*

الملخص

تحاول هذه الدراسة أن توضح أن ظاهرة التناوب اللغوي التي وردت في النصوص اللغوية، من شعر ونثر وقرآن كريم، تشيع في العربية، إذ قد تأخذ صيغة صرفية ما الأحكام النحوية والدلالية لصيغة أخرى وتتبادل معها مبني ومعنى.

ونظراً لتشيع هذه الظاهرة وغزارتها أمثلتها، فقد ركز البحث على ظاهرة التناوب بين المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية والمصدر، وأورد كثيراً من الشواهد التي وضحت التالي:

أ— مجيء اسم الفاعل بمعنى المصدر.

ج— مجيء المصدر بمعنى اسم الفاعل.

د— اشتراك المصدر مع الصفات المشبهة وصيغ المبالغة في صورته الشكلية.

ه— مجيء اسم المفعول بمعنى المصدر.

و— مجيء المصدر بمعنى المفعول.

وخلص البحث إلى أنَّ التناوب أسهم في توسيع العرب في توظيف الصيغة الصرفية لإفاده معان متعددة غير معانيها الموضوعة لها، وهو توسيع أثبت البحث أنَّ في ظاهرة التناوب اللغوي هذه مرونة واتساعاً واهتمامًا بالمعنى وتنوعاً في الأساليب.

كلمات مفتاحية: التبادل اللغوي — التناوب اللغوي بين المشتقات والمصدر — أثر التناوب اللغوي في الدرس الصرفي.

مقدمة:

يجمع الباحثون على أن اللغة العربية من أغنى لغات العالم، وأكثرها ألفاظاً وعبارات، وأنها لغة موحية تتوكى الوضوح. وعلى الرغم من أن كثيراً من مفرداتها

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا .

قد صاغ، وأن كثيراً من شعرها لم يصل إلينا، كما قال أبو عمرو بن العلاء: «ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير»^(١) فإن ما تمتلكه اللغة العربية الآن من مفردات يُعد ثروة كبيرة لا يستهان بها.

وهذا ما جعلها لغة حية تفتح صدرها لنقبل الجديد اللغوي، تستطيع أن تعبّر عن كل شيء يعترض الإنسان في حياته، بفضل ما تمتاز به من خصائص كالاشتقاق والنحو والمجاز وغيرها.

ومهما قيل عن صعوبة في قواعدها، وجفاف في أبواب نحوها وصرفها، فإننا نجد مرونة في كثير من مسائلها. ومن مظاهر المرونة في قواعد اللغة الصرافية ظاهرة التناوب اللغوي بين المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية والمصدر.

ونعني بالتناوب تبادل الأحكام اللغوية لأن تأخذ صيغة صرفية الأحكام النحوية والدلالية لصيغة أخرى، وتتناوب معها مبنياً ومعنى.

منهج البحث:

وقد نهجت في هذا البحث منهجاً وصفياً، فدرست مواطن التناوب اللغوي بين المشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية والمصدر، معتمداً على كثير من الشواهد القرآنية والشعرية التي توضح ظاهرة التناوب اللغوي، الذي يعد مظهراً من مظاهر توظيف المشتقات، اقتضاه توسيع العرب في استخدام الصيغ الصرافية، والتنوع في دلالاتها.

أهداف البحث:

ومن هذا المنطلق فإن هذا البحث يهدف إلى تفسير ظاهرة التناوب اللغوي، وإلى تبيان أن ظاهرة التناوب التي وردت في النصوص اللغوية دلت على مرونة واتساع وقدرة على التنوع في قواعد اللغة، وعلى أن اللغة العربية بقدر اهتمامها بالألفاظ فإنها تجعل الأهمية الكبرى للمعنى وإن كان اهتمامها بالألفاظ كبيراً. ولاسيما أن اللغوين

١— ابن الأباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأباري، نزهة الأنبياء في طبقات الأدباء، تتح محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة — دار نهضة مصر، د. ت. ص ٢٧.

العرب قد عذوا المعنى ملحظاً ضرورياً في استكمال التحليل وعمل المعرب^(٢).

التناول اللغوي بين اسم الفاعل والمصدر:

إن التناوب بين المشتقات والمصدر ظاهرة شائعة في العربية، إذ قد يأتي اسم الفاعل على صورة المصدر، وقد يأتي المصدر على صيغة اسمي الفاعل والمفعول، يقول ابن مالك: «ويجيء المصدر على زنة اسم المفعول في الثلاثي بلفظ اسم الفاعل»^(٣) وما جاء من المصادر على صيغة اسم الفاعل الثلاثي في كلام العرب: واقية، إذ يقال: «وقاء الله وقياً وواقية وواقية، أي صانه»^(٤). فوافية مصدر جاء على زنة اسم الفاعل، ومثل ذلك كافية أي كنب^(٥)، والصاتحة قد تكون اسم فاعل، وقد تكون مصدرأ^(٦) وكذلك الطاغية، والعافية^(٧).

وهذه مسألة شائعة في العربية، حصر العلماء كثيراً من ألفاظها^(٨). وقد جاء مثل هذا في الشعر. قال الفرزدق:

على حُلْفَةِ لَا أشْتُمُ الدَّهَرَ مُسْلِمًا
ولا خارجًا مِنْ فِي زُورٍ كَلَامٌ^(٩)

فاسم الفاعل (خارجاً) هنا هو في حقيقة دلالته مصدر، لأن خارجاً هو معنى خروج، وقد علق المبرد على هذا بقوله: (إما أراد لا أشتم ولا يخرج من في زورٍ كلام، فأراد ولا خروجاً، فوضع (خارجاً) في موضعه^(١٠)).

٢— ابن هشام الأنصاري، جمال الدين، مغني الليب عن كتب الأعارات، تج: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، ط٢، مؤسسة الصادق، طهران. ١٣٧٨هـ—ص٥٨٢—٥٨٣.

٣— ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تج: محمد كامل برگات، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ—١٩٦٧—ص٢٠٧.

٤— ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت د. ت .، مادة (وقى)
هـ لسان العرب، مادة (كذب).

٥— المصدر السابق، مادة (صح).

٦— المصدر السابق، مادة (طعن)، (عفا).

٧— ابن عبيش، موفق الدين، بن علي (ت ٦٤٣هـ)، شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ—١٩٧٥م.

٨— ابن عبيش، موفق الدين، بن علي (ت ٦٤٣هـ)، شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ—١٩٧٥م.

٩— الفرزدق، ديوانه، دار صادر، بيروت، ١٣٨٠هـ—١٩٦٠م. مج: ٢١٢.

١٠— المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ)، المقتصب، تج محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٣ص٢٦٩.

وكل قول صحيح:

عُمِّرَةً وَدَعَ إِنْ تَجْهِزَتْ غَازِيَاً
كفى الشيبُ والاسلامُ للمرءِ ناهيَاً^(١١)

فكلمة (ناهياً) وإن جاءت على وزن (فاعل)، فهي في الحقيقة دلالتها تصح أن تكون بمعنى المصدر، وهذا ما جوزه ابن جني حين قال: «قد يجوز أن يكون (ناهياً) هنا مصدراً كالفالح والباطل والغائر والباغز ونحو ذلك، مما جاء فيه المصدر على فاعل، حتى كأنه قال: كفى الشيب والإسلام للمرء نهياً ورزعاً»^(١٢)

ومن مجيء اسم الفاعل بمعنى المصدر أيضاً، ما جاء في شعر الهمذاني:

شَنَّتِ الْعَقْرَ عَقْرَ بْنِ شُلَيْلٍ
إِذَا هَبَّ لِقَارِئِهَا الرِّيَاحَ^(١٣)

قالوا: وهو مصدر قرأته الريح: إذا جاءت لوقتها. قال الفراء: يحيى المصدر على فاعلة، نحو: **الحَاقَّةُ، الصَّاخَّةُ، وَالْعَافِيَّةُ**^(١٤).

وقد أيد القرآن الكريم هذا التناوب بين اسم الفاعل والمصدر، وهذا ما نجده في قوله تعالى: «يعلم خائنة الأعين»^(١٥). أي خيانة، وقوله تعالى: «ولا تزال تتطلع على خائنة منهم»^(١٦). قال الزمخشري: «قوله على خائنة على خيانة أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة وقرئ على خيانة»^(١٧).

وقال تعالى: «فَأَهْلَكُوا بِالْطَّاغِيَّةِ»^(١٨). أي بطبع خيانتهم، ويؤيد هذا ما ورد في قول أبي حيان: وقال ابن عباس وابن زيد أيضاً وأبو عبيدة ما معناه: **الطاغية مصدر**

١— الحسحاس، سليم عبد بن، ديوانه، تحرير عبد العزيز المبيني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٦.

٢— ابن جني، أبو الفتح، عثمان (ت ٣٩٢هـ)، الخصائص، تحرير محمد علي النجار، ط دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦، ١: ٣٤٦.

٣— الزمخشري، أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر، شرح الفصيح، تحرير دراسة د. إبراهيم بن عبد الله بن جهور الغامدي، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث، مكة المكرمة—١٤١٧هـ—١: ٥٨.

٤— ابن بعيسى، شرح المفصل، ٦: ٥٢.
٥— غافر ١٩.

٦— المائدة ١٣.

٧— الزمخشري، أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غواصات التزيل وعيون الأقوابل في وجوه التناوب، دار الكتاب العربي، بيروت د. ت، ١: ٦٦٦.

٨— **الحَاقَّةُ**.

كالعاقبة فكانه قال بطغائهم. ويدل عليه «كذبت ثمود بطغواها»^(١٩).

فالشواد الشعري والقرآنية السابقة تشى بوجود التناوب اللغوي بين اسم الفاعل والمصدر، وفي ذلك دليل على سعة العربية ومرونة قواعدها الصرفية.

وقد يرجع التناوب بين اسم الفاعل والمصدر إلى تطور بناء الصيغة نفسها وما يطرأ عليها من تغييرات صوتية من ذلك أن النافية اسم فاعل بمعنى المصدر كما في قولنا: «نادا نادية أي: نداء. وقال ابن منظور: إن أصلها نداء، قلبت إلى نادية، وجعل اسم الفاعل موضع المصدر»^(٢٠). فالتطور في الصيغة رافقه تطور في الدلالة.

التناول اللغوي بين المصدر واسم الفاعل:

وتوجد صورة أخرى للتناول بين المصدر واسم الفاعل ولاسيما الثلاثي، إذ قد يأتي المصدر بمعنى اسم الفاعل في كلام العرب، نحو قولهم: رجل عدل، أي: عادل^(٢١). ورجل صوم، أي: صائم^(٢٢). وقالت العرب: بنو فلان لنا سالم، أي مسالمون، وحرب، أي مُحاربون^(٢٣).

وهذه مسألة نص على شيوخها سيبويه، إذ ذهب إلى أن المصدر، قد يقع على الفاعل، وذلك قوله يوم غم ورجل نوم، إنما تريد النائم والغام^(٢٤).

وقال الشاعر:

أجارُكُمْ بَسْلٌ عَلَيْنَا مُحَرَّمٌ
وَجَارُتُنَا حَلٌّ لَكُمْ وَحَلِيلُهَا^(٢٥)

١٩— الشمس ١١ والأندلسي، أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف (٧٥٤هـ)، البحر الخيط، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، د. ت. ٣٢١: ٨. واظهر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (طفي).

٢٠— ابن منظور لسان العرب مادة (ندي).

٢١— العيني، بدر الدين، ت ٨٨٥٥هـ، شرح المراح في التصريف، حققه وعلق عليه عبد السنوار جواد، ص ٣٦.

٢٢— الأسترابادي، رضي الدين، ت ٦٦٨٦هـ، دار الكتب العلمية بيروت — ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥م، ١: ١٧٦.

٢٣— الشعالي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ت ٤٣٠هـ، فقه اللغة وسر العربية، تج. مصطفى السقا إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شالي. مطبعة مصطفى الباجي الحلي، القاهرة، ٣٤٥٣، ١٣٥٣، ١٩٣٨م. ص ٣٤.

٢٤— سيبويه، عمرو بن عثمان بن قبر، الكتاب. تج: عبد السلام هارون (المطبعة المصرية العامة للكتاب)، القاهرة، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، ٤: ٤٣.

٢٥— الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح ديوانه، قدم له ووضع فهارسه، د. حنا نصر الحبي. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٤م، ص ٢٩٢.

لقد استعمل الشاعر كلمة (بسّل) وهي مصدر، وكان عليه أن يستعمل اسم الفاعل باسل، وذلك لأنه لم يكن يقصد وقوع حدث في زمن معين، وإنما البسالة هنا غير مقيدة بزمن معين، ولذا جاء المصدر نيابة عن اسم الفاعل.

ومن ذلك قول الخنساء:

فإنما هي إقبال وإبار^(٢٦)
ترتع ما رتعت حتى إذا ذكرت
إن المصدررين (إقبال وإبار) استعملما بدلة أخرى وصف بهما الحدث فهما بمعنى
مُقبلة ومدبرة.

وعلى سيبويه على بيت الخنساء بقوله: «فجعلها الإقبال والإبار فجاز على سعة الكلام كقولك: نهارك صائم وليلك قائم»^(٢٧). فهذه المصادر كلها مما وصف بها للمبالغة، كأنهم جعلوا الموصوف ذلك المعنى لكثره حصوله منه، وقالوا: «رجل عَدْلٌ ورضا وفضل، كأنه لكثره عدله والرضا عنه وفضله جعلوا العدل والرضا نفسيهما، ويجوز أن يكونوا وضعوا المصدر موضع اسم الفاعل اتساعاً فرجل عَدْلٌ بمعنى عادل، وماء غور بمعنى غائر ورجل صوم بمعنى صائم»^(٢٨).

وقال الشاعر:

فain ترقني يا هند فالمرفق أيمن
وإن تخرقي يا هند فالخرق الأم
فأنت طلاقُ والطلاقُ عزيمة
ثلاثاً ومن يخرق أعقُ وأظلم^(٢٩)

فأتى بلفظ الطلاق، وهو مصدر، وأراد اسم الفاعل وهو طلاق.

وقد جاءت آيات الذكر الحكيم مؤيدة لهذا التناوب، كما نص على ذلك بعض المفسرين من ذلك قوله تعالى: «الذين يؤمدون بالغيب»^(٣٠). والغيب مصدر بمعنى اسم الفاعل، وكذلك قوله تعالى: « وما تغنى الآيات والنذر»^(٣١) والنذر مصدر معناه المُنذر.

٢٦ - الخنساء ديوان، دار صادر، بيروت، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م، ص ٣٨.

٢٧ - سيبويه، الكتاب، ١: ٣٣٧.

٢٨ - ابن يعيش، شرح المفصل، ٣: ٥٠.

٢٩ - المصدر السابق: ٤: ٤٣.

٣٠ - البقرة، ٣.

٣١ - يونس ١٠١.

ويدخل في هذه المسألة بعض ما جاء من المصادر في موضع حال، وقد كثر مجيء الحال مصدرًا نكرة، وقد وضع سيبويه باباً سماه: (هذا باب ما ينتصب من المصادر لأنَّ حال وقع فيه الأمر فانتصب، لأنَّه موقع في الأمر)، قال فيه: «وذلك قوله: قلتَه صبراً، ولقيته فجاءه وفاجأه وكفاحاً ومكافحة، ولقيته عياناً وكلمتَه مشافهة، ...»^(٣٢). كما نجد أنَّ المبرد قد أكد ذلك فقال: «ومن المصادر ما يقع في موضع الحال فيسَدْ مسده فيكون حالاً، لأنَّه قد ناب عن اسم الفاعل وأغنى غناءه، وذلك قوله: قلتَه صبراً، إنما تأويله صبراً أو مصبراً وكذلك جئته مشياً؛ لأنَّ المعنى جئته مشياً ...»^(٣٣).

وقد ورد مثل ذلك في القرآن الكريم، قال تعالى: «قُلْ أرَأَيْتَمْ إِنْ أَصْبَحَ مَا وَكَمْ غُورًا»^(٣٤). أي غائراً. وقال تعالى: «ثُمَّ اذْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا»^(٣٥). أي ساعيات، مسرعات كما قال الزمخشري^(٣٦).

ومن ذلك قوله تعالى «وَيُرْسِلُ عَلَيْهَا حَسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتَصْبِحُ صَعِيدًا زَلْقاً، أَوْ يَصْبِحُ مَا وَهَا غَورًا»^(٣٧). وقد علق الزمخشري على هذه الآية: قوله «صَعِيدًا زَلْقاً» فرأى أنها أرض بيضاء يُرْلَقُ عليها لملاستها، زَلْقاً وغورًا كلاهما وصف المصدر^(٣٨). ويبدو أنَّ استخدام المصدر بمعنى اسم الفاعل مظهر من مظاهر التوسيع في اللغة، وأنَّ استخدام المصدر لإفاده معنى اسم الفاعل هو الأسلوب الأقدم تاريخياً للتعبير عن اسم الفاعل، وقد يدل على ذلك أنَّ الوصف بالمصدر شائع في العربية، وعدة العلماء ضرباً من الوصف.

وإذا وضع المصدر موضع اسم الفاعل وجرى مجراه يجوز لك فيه وجهان:

٣٢— سيبويه، الكتاب، ١: ٣٧٠.

٣٣— المبرد، المقتضب، ٣: ٢٣٤.

٣٤— الملك، ٣٠.

٣٥— البقرة، ٢٦٠.

٣٦— الزمخشري، الكشاف، ١: ٧٢٣.

٣٧— الكهف، ٤٠— ٤١.

٣٨— المصدر السابق، ٢: ٧٢٣.

١- أن تتركه مفرداً وتصف به المفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث، ويؤيد هذا ما ذكره ابن جني في مسألة الوصف بالمصادر، إذ ذهب إلى أن الوصف بالمصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث، نحو: رجل عدل، وامرأة عدل، وسبب ذلك أنهما أرادوا المصدر^(٣٩). وقد خطأ السيوطي من يقول للمرأة عزبة بالباء، فقال: «إنما يقال رجل عزب وامرأة عزب، لأنه مصدر وصف به فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث. كما يقال رجل خصم، وامرأة خصم»^(٤٠).

ويفهم من كلام السيوطي هذا، أن المصدر قد وُظّف توظيفاً جديداً هو الدلالة على الوصفية، ولذا فإن ما جاء من الصفات المؤنثة دون علامة تأنيث هو لحفظ الأصل، وهو المصدرية.

وقد عبر العلماء عن هذا التوظيف بالأصلية والفرعية، إذ نص ابن منظور على أن «الزَّوْرُ، بمعنى الزائر، وهو في الأصل مصدر وُضع موضع الاسم، كصوم ونوم، بمعنى صائم ونائماً»^(٤١).

ويمكن أن نعد الأصلية التي ذكرها ابن منظور، يمكن أن نعدّها المرحلة الأولى التي تمثل البنية التحتية وأن التحول في الدلالة هو المرحلة الثانية التي تمثل البنية الفوقية. والمرحلة الأولى هي المعنى المعجمي، بينما تكون الثانية مبنية على السياق^(٤٢).

٢- أن تثنّيه وتجمعه، فتقول: هذان عدلان، وهؤلاء عدّون، وما جاء على ذلك قول الشاعر:

وبايّعت ليلى في خلاء ولم يكن
شهود على ليلى عدول مقانع^(٤٣)

٣٩- ابن جني، الخصائص، ٢: ٢٠٦-٢٠٧.

٤٠- السيوطي، جلال الدين، الأشباه والظواهر في النحو، تج: طه عبد الرؤوف سعد (مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م)، ٤: ١٦٣.

٤١- ابن منظور، لسان العرب (زور).

٤٢- عمابير، إسماعيل أحد، بحوث في الاستشراق واللغة، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البشير، عمان، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٤٣- مجnoon ليلي، ديوانه، جمع وتحقيق وشرح عبد السنار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، القاهرة، د.ت، ص ١٨٦.

وقد علق ابن يعيش على ذلك بقوله: «فجمع عدلاً ومقعاً»^(٤٤).

ويلاحظ أن مجيء المصدر بمعنى اسم الفاعل، واستخدام اسم الفاعل بمعنى المصدر. يدخل في باب التوسيع في توظيف الصيغة الصرفية لإفاده معانٍ متعددة، وقد عبر العلماء عن شيء من هذا التوسيع والمرونة والتوظيف المتعدد للصيغة. يقول الرضي: «وقد يوضع اسم الفاعل مقام المصدر، كما يوضع المصدر مقام اسم الفاعل»^(٤٥). والوضع الذي أشار إليه الرضي هو توظيف جديد لصيغة صرفية لأداء دور صيغة أخرى.

التناول بين المصدر وصيغة المبالغة:

أما الاشتراك بين المصدر وصيغة المبالغة شكلاً فمسألة شائعة في العربية أيضاً. ومن ذلك أن (فعيل) صيغة صرفية قد تستخدم لإفاده المبالغة، وهي من الصيغ التي يأتي عليها المصدر، نحو: الشهيق، والصهيل، والزفير، والهدير، والهويل، وأكثر ما ينقاصل (فعيل) مصدرأً في الأصوات^(٤٦). وقد جاء المصدر على هذا الوزن في قوله تعالى: «وَإِنْ نَشَا نُغْرِّقُهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَنُونَ»^(٤٧) وقد ذهب الزمخشري إلى أن صيغة (فعيل) في لفظة (صريرخ) تكون بمعنى المصدر أي الصراخ نفسه، فيكون مصدرأً بمعنى الإصرار^(٤٨). ومنه قوله تعالى: «فَلَمَّا اسْتَأْسَوْا فِيهِ خَلَصُوا نَجِيَاً»^(٤٩) النجي قد يكون اسمأً ومصدرأً^(٥٠).

وقد جعله ابن عطية مصدرأً فقال: «النجي لفظ يوصف به من له نجوى واحداً أو

٤٤— ابن يعيش، شرح المفصل ١: ١٣.

٤٥— الأستراباذى، شرح الشافية ١: ١٧٧.

٤٦— البغدادى، عبد القادر، ت ٩٣ هـ ، خزانة الأدب، ولب لباب لسان العرب، تع. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط٢، ٢٠٩١ هـ: ١٩٨٩ م. ٧: ٤١٦.

٤٧— يس: ٤٣.

٤٨— الرمخشري، الكشاف ٣: ٢٨٨.

٤٩— يوسف: ٤٠.

٥٠— ابن منظور، لسان العرب، مادة (نجي).

جماعة أو مؤنثاً أو مذكرأ، فهو مثل عدول وعَدْلٌ^(٥١). وقال الألوسي: «وَهُدَى وَكَانَ الظَّاهِرُ جَمْعُهُ لِأَنَّهُ حَالٌ مِّنْ ضَمِيرِ الْجَمْعِ وَلِأَنَّهُ مَصْدَرٌ بِحَسْبِ الْأَصْلِ كَالتَّاجِيُّ أَطْلَقَ عَلَى الْمُتَنَاجِينَ مَبَالَغَةً أَوْ لِتَأْوِيلِهِ بِالْمَشْتَقِ وَالْمَصْدَرِ وَلَوْ بِحَسْبِ الْأَصْلِ يَشْمَلُ الْقَلِيلَ وَالْكَثِيرَ، أَوْ لِكُونِهِ عَلَى زَنَةِ الْمَصْدَرِ لِأَنَّ فَعِيلَأً مِّنْ أَبْنَيَةِ الْمَصَادِرِ»^(٥٢).

والذى يظهر من النقول السابقة أن (نجياً) هنا مصدر، لأن (فَعِيلَأً) تأتي المصدر بلا تأويل، فهي إحدى صيغ المصادر، وأنها تدل على صوت، والغالب في المصدر الذي على (فَعِيلَأً) أن يدل على صوت.

ومن المصادر التي جاءت على (فَعِيلَأً) في غير الأصوات، النكير بمعنى الإنكار، والتذير بمعنى الإنذار، والعدير بمعنى العذر^(٥٣). ومن ذلك رحل رحيلأ، وذمل نميلاً^(٥٤).

وقد جاء المصدر على هذا الوزن في قوله تعالى: «آلَرْ، تَلَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ»^(٥٥). فالحكيم صفة وضعت موضع المصدر أي: ذو الحكمه^(٥٦). ومثل هذه المصادر قد تلتقي في صورتها اللفظية مع صيغ المبالغة.

ومن الصيغ التي يشترك فيها المصدر والمبالغة من الناحية الشكلية صيغة (مفعال)، وقد جاء المصدر على هذا الوزن في قوله تعالى: «فَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ»^(٥٧)، وقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ»^(٥٨).

١— ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، الخور الوجز، تحقيق على عوض وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت. ٣: ٢٦٩.

٢— الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثان، فرآه وصححه محمد حسين العرب، دار الفكر، بيروت، د.ت. ١٣: ٣٥.

٣— البغدادي، خزانة الأدب: ٧: ٤١٦.

٤— الحملاوي، أحمد، هذا العرف في فن الصرف، شرح د. محمد صالح الشطي، دار الأنجلوس للنشر والتوزيع، حائل: ٢٠٠٥: ١٤٢٦.

٥— يونس: ١.

٦— النحاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، تتح. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، دار النهضة العربية، ١٩٨٥: ١٠١٣.

٧— الأعراف: ٨٥.

٨— آل عمران: ٩.

يقول أبو حيان: «والكيل مصدر كنى به عن الآلة التي يقال بها، قوله في هود "المكيل والميزان" فطابق قوله "والميزان"، أو هو باق على المصدرية، وأريد بـ"الميزان" المصدر، كالميعاد لا الآلة فتطابقا»^(٥٩) وهذا ما أكده عصيمة، إذ قال: «إنَّ الميزان يعني الوزن، وإنَّ الميعاد يعني الوعد، فالميزان والميعاد صفتان وضعنا موضع المصدر»^(٦٠) ومنه قوله تعالى: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ»^(٦١). والميثاق مصدر بمعنى الإيثاق أو الوثيقة أو التوثيق، فهو من الصفات التي وضعت موضع المصدر^(٦٢).

وقد تأتي بعض المصادر على صيغة (فَعُول) فيلتقي بذلك المصدر مع ما جاء من صيغة المبالغة على هذا الوزن، ومن ذلك قوله تعالى: «فَتَقْبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ»^(٦٣) وقبول مصدر. يقول الألوسي: «والقبول مصدر مؤكّد لل فعل السابق بحذف الزوائد، أي: قبلها قبولاً حسناً»^(٦٤). ومنه قوله تعالى: «النَّارُ ذَاتُ الْوُقُودِ»^(٦٥).

فهذه الألفاظ جميعها مصادر، و(فَعُول) من الأوزان الشائعة في المبالغة، نحو: كَسُولٌ، شَكُورٌ، وَأَكُولٌ. وقد ذكر أبو حيان أنَّ ما جاء من مصادر على صيغة (فَعُول) قليلة، منها: الوضوء، والطهور، والولوع، والقبول^(٦٦). وذهب ابن جنّي إلى أنَّ الأصل بالضم، أي الوقود، والقبول، والولوع، وأنَّ الفتح يُعدُّ لغة شاذة^(٦٧).

٩— أبو حيان، البحر الخيط، ٤: ٢٣٨.

٦٠— عصيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، د.ت، القسم الثاني، ج ٣: ١٦٧.

٦١— البرقة: ٨٣.

٦٢— العكري، أبو البقاء، البيان في إعراب القرآن، تتح على البحاوي، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ—١٩٨٧م، ١: ٤٤.

٦٣— آن عزماً: ٦٣.

٦٤— الألوسي، روح المعاني، ١٣٨: ٣.

٦٥— البروج: ٥.

٦٦— أبو حيان، البحر الخيط، ١: ١٠٢.

٦٧— ابن حني، الختسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإفصاح عنها، تتح على النجدي ناصف، وعبد الحليم نجّار، وعبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ج ٢—ع—م ١٣٨٦هـ، ١: ٦٣.

أما ابن منظور فينقل جواز الأمرين، أن يكون الوقود بضم الواو وفتحها مصدراً، يقول: «وقد جاء في المصدر فَوْلُ، والباب الضم، قوله تعالى: **النَّارِ ذَاتِ الْوَقْدُ** بالفتح معناه: **الْوَقْدُ** فيكون مصدراً، **وَالْوَقْدُ** بالضم المصدر»^(٦٨).

ويبدو أنَّ هذا الاشتراك بين المصدر وصيغة المبالغة من الناحية الشكلية من باب التوسيع والمرونة في توظيف المشتقات. ويؤكد ذلك أنَّ الصيغ السابقة وردت في أول استعمالاتها لإفاداة المصدر، ثمَّ تطورت لإفاداة معانٍ متخصصة، مثل المبالغة. ويؤيد هذا الرأي أنَّ (فعال) مصدر سامي قديم، تحول إلى المبالغة، واستبدلت به صيغة (تفعيل) وهذا يدخل في باب تطور المصادر من مجرد الدلالة على الحدث إلى الدلالة على الوصف^(٦٩).

التناول بين المصدر والصفة المشبهة:

وقد يلتقي المصدر مع الصفات المشبهة في صورته الشكلية، ومن ذلك أنَّ نَعْماء، وسِرَاء، وبَعْضاء، ورَغْباء، ونَصِيحة، وغيرها مصادر على أوزان الصفة المشبهة^(٧٠). ومن الأوزان التي يلتقي فيها المصدر مع الصفة المشبهة (فعل) نحو: قُتل مصدرأً، وضَخَمَ صفة، وكذلك (فَيَلُ) نحو: لَعِبَ مصدرأً، وبَطَرَ صفة. و(فعال) نحو: صُرَاخَ مصدرأً، وَكَبَارَ صفة، و(فعال) نحو: نَفَارَ مصدرأً، وفَساقَ صفة.

والحقيقة أنَّ الاشتراك بين صيغ المصدر والصفة المشبهة شائع في العربية، ومما أسهم في الاشتراك بين المصدر وأبنية الصفة المشبهة شكلاً تعدد صيغ المصدر للفعل الواحد تعددًا قد يفضي إلى أن تتشابه بعض الأوزان مع أبنية الصفة، وهذا التعدد سمة ظاهرة في أبنية المصادر في العربية، نحو: هَلْكَ، وَهَلَكَأً، وَتَهْلُكَأً، وَهَلُوكَأً، وَمَهْلَكَة، وَتَهْلِكَةً وَتَهْلِكَةً. وغيرها^(٧١).

٦٨— ابن منظور، لسان العرب، مادة (وقد).

٦٩— عمابرة، إسماعيل أحد، التطور التاريخي لأبنية المصادر في العربية، دراسة مقارنة مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات ج ٤، العدد ١، ١٩٩٦، ص ٣١٣ – ٣٣٥.

٧٠— قباوة، فخر الدين، تصريف الأسماء والأفعال، ص ١٣٥.

٧١— ابن منظور، لسان العرب، مادة (هَلَكَ).

التناول بين اسم المفعول والمصدر:

تستعمل العرب اسم المفعول بمعنى المصدر، من ذلك قولهم: حلفت مخطوفاً، ومرجوع، وموعد، ومصدقة ومكرورة، ومذكورة، ومواعدة^(٧٢).

ووصف ابن مالك مجيء المصدر على زنة اسم المفعول من الثلاثي بالقلة، وفي غير الثلاثي بالكثرة^(٧٣). ووافقه في ذلك الرضي، وذكر من ذلك ميسور، ومقصور، ومجلود، ومقتون^(٧٤). وفيهم من كلام الرضي أنها مصادر جاءت على (مفعول). فالميسور بمعنى اليسر^(٧٥). والمجلود: الجلد أي الصبر^(٧٦). ومثله المعمول بمعنى العقل، يقال (ماله معقول) أي عقل^(٧٧). بيد أن سيبويه أذكر مجيء المصدر على وزن (مفعول)، وفسر ما جاء من صيغة المصادر على هذا الوزن، بأن ذلك يراد به الزمان، ففي قولهم: دعْة إلى ميسورة، ودع معسورة، كأنه قال: دعْة إلى أمر يُؤْسَرُ فيه أو يُعْسَرُ فيه^(٧٨).

غير أن الواقع اللغوي يخالف ما ذهب إليه سيبويه في هذه المسألة، لأن كثيراً من المصادر جاءت على (مفعول) وأقر بها العلماء، وعليها شواهد من القرآن الكريم والشعر.

ومن المصادر التي جاءت على وزن (مفعول) في الذكر الحكيم، قوله تعالى: «فَسَبِّحْرُ وَيَسِّرْوْنَ بِأَيْكُمُ الْمَقْتُونَ»^(٧٩). فمقتون هنا هي بلفظ اسم المفعول لا بمعناه إذ اكتسبت دلالة المصدر وأدت معناه في السياق، وبالتالي فهي بمعنى الفتنة، وهذا ما أكدته الزمخشري بقوله: «وقد يرد المصدر على وزن اسم المفعول»^(٨٠). وكذلك قوله

٧٢— سيبويه، الكتاب، ٤: ٩٧، العيني، شرح المراح، ص ٣٦.

٧٣— الأسترابادي، شرح الشافية: ١: ١٦٨.

٧٤— المصدر السابق — ١: ١٧٥.

٧٥— ابن بعشن، شرح المفصل: ٦: ٥٢.

٧٦— الأسترابادي، شرح الشافية، ١٤: ١٧٤.

٧٧— ابن منظور، لسان العرب، مادة (عقل).

٧٨— سيبويه، الكتاب، ٤: ٩٧.

٧٩— القلم ٦، ٥.

٨٠— الزمخشري، المفصل: ٢٢٠.

تعالى: «ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْنُوبٍ»^(٨١)، ومكذوب مصدر جاء على وزن مفعول^(٨٢). ولم يأت اسم المفعول بمعنى المصدر في القرآن الكريم وحده، وإنما وجئناه في أشعار العرب. قال الراعي النميري:

لَهَا وَلَا لِفُؤَادِهِ مَقْوِلاً^(٨٣)

فقد وردت كلمة (مَقْوِل) بمعنى عقل. كما وردت كلمة (مُصَاب) بمعنى الإصابة في قول الحارث بن خالد المخزومي:

أَظَلْوَمُ إِنْ مُصَابُكُمْ رَجُلًا^(٨٤)

وجاء (الموضع) و(المرفوع) بمعنى الرفع والوضع، وهما ضربان من السير في قول طرفة :

مَوْضِوْعُهَا زَوْلٌ وَمَرْفُوعُهَا كَمَرٌ صَوْبٌ لَجِبٌ وَسَطَ رَيْحٌ^(٨٥)

ولعل هذا التناوب بين اسم المفعول والمصدر، سمة تعكس مدى الاشتراك بين الصيغة الصرفية، وقد يكون استخدام اسم المفعول بمعنى المصدر أثراً من آثار مراحل الاختلاط في الأدوار والمعاني في اللغة كما يرى إسماعيل عمايرة^(٨٦).

وإن مجيء اسم المفعول بمعنى المصدر لم يقتصر على الثلاثي وحده وإنما تعدد إلى غير الثلاثي. ويدخل في هذا الباب المصدر الميمي ودلاته، وهو كثيراً ما يلتقي مع اسم المفعول شكلاً. قال تعالى :

وَمَرْقَنَاهُمْ كُلُّ مُمَزَّقٍ^(٨٧). أي تمزيق، وقوله تعالى: «إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ

٨١— هود: ٦٥ .

٨٢— أبو حيان، البحر الخيط، ٥: ٢٤٠ .

٨٣— النميري، الراعي، ديوانه، جمهه وحققه رايهرت فايرت، بيروت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، ١٤٠١ هـ، ١٩٨٠، ص ٣٣٦ .

٨٤— المخزومي، شعر الحارث بن خالد، تحر. مجدى الجبوري، ط١، بغداد، منشورات مكتبة الأسدلس، ١٣٩٢ هـ، ١٩٧٢، ص ٩١ .

٨٥— طرفة، ديوانه، شرح الأعلم الشتربي، شالون، مطبعة فرطوند، ١٩٠٠ ص ١٥٠ . وانظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة (وضع) ومادة (رفع) .

٨٦— عمايرة، إسماعيل، التطور التاريخي لأبنية المصادر في العربية، ٣٣٥ .

٨٧— سيبا: ١٩ .

الْمُسْتَقِرُ»^(٨٨). أي الاستقرار، وكذلك قوله تعالى: «وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقِرٌ وَمَنَّاعٌ إِلَى حِينٍ»^(٨٩) وقد ذهب العكبري إلى أن (مستقر) يجوز أن يكون مصدرًا بمعنى الاستقرار^(٩٠).

وقد وردت كلمة (مُكْرِم) بمعنى إكرام في قراءة من القراءات؛ قال تعالى: «وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ»^(٩١). وجاء في اللسان: «قال الأخفش: وقرأ بعضهم: «ومن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ» بفتح الراء، أي إكرام وهو مصدر مثل: مُخْرِجٌ وَمُذْخَلٌ»^(٩٢). ويظهر أنَّ شيوخ اسم المفعول من غير الثلاثي لإفادة المصدر، يرجع إلى أن المصدر المبغي من غير الثلاثي يوافق شكلاً بناء اسم المفعول من غير الثلاثي، وهذا ما أسمهم في التناوب بين صيغتي اسم المفعول والمصدر من غير الثلاثي.

وقد يأتي المصدر بمعنى اسم المفعول كثيراً في كلام العرب. يقول سيبويه: «وقد يجيء المصدر على المفعول، وذلك قوله: لِبْنَ حَلْبَ، إنما تريده مَحْلُوبٌ، وكقولهم: الْخَلْقُ، إنما يريدون المخلوق، ويقولون للدرهم: ضَرَبُ الْأَمْيَرُ، وإنما يريدون مَضْرُوبُ الْأَمْيَرِ»^(٩٣).

والتبادل بين المصدر واسم المفعول، مسألة بينة في العربية. جاء في شرح الفصيح للزمخشري: «الكتاب مصدر كتبَ يَكْتُبُ كِتَابًا وَكِتَابَةً، ثم يوصف المفعول بالمصدر فيقال للمكتوب: كتابٌ وَكِتَابَةً، كما يقال للمخلوق: خلقٌ، وللدرهم المضروب: ضَرَبٌ تقول: "هَذَا خَلْقُ اللَّهِ"»^(٩٤)، وهذا الدرهم ضَرَبُ الْأَمْيَرِ»^(٩٥) وكذلك قوله: «اعملْ على حَسَبِ ما أَمْرَتُكَ، وحسَبْ في هذا الموضع بمعنى مَحْسُوبٍ، وفعَلْ بمعنى مَفْعُولٍ في كلامِهِمْ موجود، كقولهم: نَفَضْ لِلمنفُوضِ،

.٨٨ — القيامة: ١٢.

.٨٩ — البقرة: ٣٦.

.٩٠ — العكبري، التبيان في إعراب القرآن ١: ٥٣.

.٩١ — الحج، ١٨.

.٩٢ — ابن منظور، لسان العرب، مادة (خرج) و مادة (دخل).

.٩٣ — سيبويه، الكتاب ٤: ٤٣.

.٩٤ — البقرة: ١٨٣.

.٩٥ — الزمخشري، شرح الفصيح، ١: ٦.

وخطَّ للورق المخطوط»^(٩٦).

وقد جاء بعض هذه المصادر المراد بها اسم المفعول في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: «وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدِمْ كَذِبٍ»^(٩٧) فـ(كذب) مصدر على وزن (فعل) دلّ في هذه الآية على موصوف بالحدث، وهو اسم المفعول الذي أدى المصدر معناه ووظيفته. ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: «كُلُّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةِ رِزْقًا»^(٩٨). قال أبو حيـان: «الرِّزْقُ هُنَا الْمَرْزُوقُ»^(٩٩). ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: «وَيَهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ»^(١٠٠) والنسل: مصدر أريد به اسم المفعول^(١٠١). ومنها قوله تعالى: «كُتُبَ عَلَيْكُمُ الْقَاتَلُ وَهُوَ كُرْهَةٌ لَكُمْ»^(١٠٢)، أي مكروه، فهو مصدر بمعنى اسم المفعول كما أشار الزمخشري في كشافه^(١٠٣). وقوله تعالى: «فَلَمَّا تَجَلَّ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَّاً»^(١٠٤)، أي: مدكوكاً. قال الزمخشري (دكّاً) أي مدكوكاً مبسوطاً مسوّي بالأرض، وكل ما انبسط من بعد ارتفاع فقد انداع^(١٠٥).

ولعل هذا التناوب بين المصدر واسم المفعول مظهر من مظاهر التوسيع اللغوي، مما جاء من المصادر بمعنى اسم المفعول، نحو: الخلق بمعنى المخلوق، والحلب بمعنى المحلوب، قد يكون بقايا مرحلة كان يؤدي فيها المصدر معاني الصيغة الصرفية، ومن بينها اسم المفعول، وربما كانت هذه المصادر تفيد مجرد الحدث، ثم تطورت لإفاده معنى اسم المفعول، وفي مرحلة لاحقة مالت فيها اللغة نحو تخصيص المعاني الصرفية، وأصبح لاسم المفعول صيغته الخاصة به، شأنه في ذلك شأن بقية

٩٦— الزمخشري، شرح الفصح، ٢: ٥٤٧.

٩٧— يوسف: ١٨.

٩٨— البقرة: ٢٥.

٩٩— أبو حيـان، البحـر الـحيـط، ٢: ١٠٨.

١٠٠— البقرة: ٢٠٥.

١٠١— المصدر نفسه، ٢: ١٠٨.

١٠٢— البقرة: ٢١٦.

١٠٣— الزمخشري، الكشاف، ١: ٣٠١.

١٠٤— الأعراف: ١٤٣.

١٠٥— المصدر نفسه، ١: ٧٤٨.

المشتقات، وقد أسمى في هذا الأمر ما سمّاه النحاة الوصف بالمصدر، وهو ملمح تطور وظيفة المصدر من مجرد الدلالة على الحدث إلى إفاده أحد معاني الصيغة الصرفية.

خاتمة البحث:

- و في نهاية المقالة يمكننا التسجيل، أهم ما النتائج البحث، وهي :
- بين البحث أن استخدام المصدر بمعنى اسم الفاعل، واسم المفعول بمعنى المصدر، مظهر من مظاهر التوسيع في اللغة، وهو الأقدم تاريخياً للتعبير عن اسم الفاعل وقد يدل ذلك أن الوصف بالمصدر شائع في العربية، وفي ذلك تأكيد على أن العرب كثيراً ما تتعت بال المصدر، وتأتي بالحال مصدرأً منكراً.
- أثبتت البحث أن الاشتراك بين المصدر وصيغة المبالغة شكلاً مسألة شائعة في العربية، ويبدو أن هذا الاشتراك يدخل في باب التوسيع في توظيف المشتقات.
- بين البحث أن الاشتراك بين صيغة المصدر وأبنية الصفات المشبهة شكلاً متداول في كلام العرب، وما أسمى في هذا الاشتراك تعدد صيغة المصدر، تعددًا قد يفضي إلى أن تتشابه بعض أوزان المصدر مع أبنية الصفات.
- أظهر البحث أن ما جاء من صيغة المصادر على وزن المفعول، يمكن أن يفسر بأن صيغة (مفعول) من الصيغة الصرفية التي كانت تستخدم لإفاده معنى المصدر في مرحلة من مراحل طور اللغة. وفي مرحلة لاحقة مالت فيها اللغة نحو تحصيص المعاني الصرفية، وأصبح لاسم المفعول صيغته الخاصة.
- بين البحث أن شيوع اسم المفعول من غير الثلاثي لإفاده معنى المصدر يرجع إلى أن المصدر الميمي من غير الثلاثي قد يوفق شكلاً بناء اسم المفعول من غير الثلاثي.
- أظهر البحث كثرة النصوص اللغوية التي تشي بوجود ظاهرة التناوب بين المصدر والمشتقات الدالة على الفاعلية والمفعولية، ولحظ البحث أن هذه النصوص لم تقف عند الشعر وحده، ولا النثر فقط، ولا القرآن الكريم فقط، وإنما شملت ذلك كلها.
- إن ما ورد في هذا البحث من شواهد، قوة لقواعد اللغة نحواً وصرفًا، ووصف لها بالمرونة والاتساع، والقدرة على التنويع.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأستراباذي، رضي الدين (ت ٦٨٦هـ) شرح الشافية، دار الكتب العلمية، بيروت (١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م)
- الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح ديوانه، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه، د. حنا نصر حتى، دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م)
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب، المفردات في غريب القرآن تح. محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت. د. ت.
- الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى، قرأه وصححه محمد حسين العرب، دار الفكر، بيروت. د. ت.
- ابن الأباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، نزهة الألباء في طبقات الألباء، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم (دار نهضة مصر، القاهرة) د. ت.
- الأندلسي، أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف (ت ٧٥٤هـ)، البحر المحيط، مكتبة ومطباع النصر الحديثة، الرياض – د. ت.
- البغدادي، عبد القادر (ت ٩٣١هـ) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٣٥هـ)، فقه اللغة وسر العربية، تح. مصطفى السقا، وإبراهيم الأباري، وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٣، ١٩٣٨م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح. محمد علي النجار، ط. دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦.
- المحتبب في تبين وجوه شواد القراءات والإفصاح عنها، تح. علي النجدي ناصف، وعبد الحليم نجار، وعبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ج. ع. م، ١٣٨٦هـ.
- الحسحاس، سحيم عبد بنى، ديوانه، تح. عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥.

- الحملاوي، أحمد، شذا العرف في فن الصرف، شرح د. محمد صالح الشنطي، دار الأنيلس للنشر والتوزيع، حائل، ط١، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م.
- الخنساء، ديوانها، دار صادر، بيروت، ١٣٨٣ هـ: ١٩٦٣ م.
- الزمخشري، أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح. عبد الرزاق المهدى، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.
- شرح الفصيح، تح، ودراسة د. إبراهيم بن عبد الله بن جمهور الغامدي، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث، مكة المكرمة، ١٤١٧ هـ.
- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح. عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٥ م.
- السيوطي، أبو بكر، جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، تح. طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٥ م.
- طرفة، ديوانه، شرح الأعلم الشنتمري، (شالون، مطبعة فرطند)، ١٩٠٠ م.
- عضيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، د.ت.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز، تح. علي عوض وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- العكري، أبو البقاء، التبيان في إعراب القرآن، تح. علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م.
- عميرة، إسماعيل أحمد، التطور التاريخي لأنبنة المصادر في العربية، دراسة مقارنة، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، مج١٤، العدد١، ١٩٩٦ م.
- بحوث في الاستشراف واللغة، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الشير، عمان، ط١، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦ م.
- العيني، بدر الدين، (ت ٨٥٥ هـ)، شرح المراح في التصريف، حقيقه وعلق عليه عبد السatar جواد، د.ت.
- الفرزدق، ديوانه، دار صادر، بيروت، ١٣٨٠ هـ، ١٩٦٠ م.

- قباوة، فخر الدين، تصريف الأسماء والأفعال، مكتبة المعارف، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تفسير القرطبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦ م.
- ابن مالك، تسهيل الفوائد وتمكيل المقاصد، تح. محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧ هـ، ١٩٦٧ م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.
- المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد، (ت ٢٨٥ هـ)، المقتضب، تح. محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٣ .
- مجنون ليلي، ديوانه، جمع وتحقيق وشرح عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، القاهرة، د.ت.
- المخزومي، شعر الحارث بن خالد، تح. يحيى الجبوري، ط١، بغداد، منشورات مكتبة الأنجلس، (١٣٩٢ هـ، ١٩٩٧ م).
- النحاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، تح. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، دار النهضة العربية، ١٩٨٥ .
- التميري، الراعي، ديوان، جمعه وحقق راينهارت فايبرت، بيروت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، (١٤٠١ هـ، ١٩٨٠ م).
- ابن هشام الانصاري، معنى اللبيب عن كتب الأغاريب، تح. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ط٢، مؤسسة الصادق، طهران، ١٣٧٨ هـ.
- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي (ت ٦٤٣ هـ)، شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٥ م.

لم ولما الجازمان ودلالاتهما في القرآن الكريم

د. يونس علي يونس*

الملخص

يُسلط هذا البحث الضوء على أداتين جازمتين مبيناً دلالاتهما في القرآن الكريم وهما (لم ولما) الجازمان، وذلك من خلال قراءة متأنية في القرآن الكريم، ويركز على الجوانب المتعلقة بمعانيهما وأقسامهما، وقد تم فيه عرض آراء العلماء في مسألة وجوب عملهما، وما هي موقع إعراب الجمل المنفية بـلم، ثم إحصاء موقع لم ولما في القرآن الكريم. وما تؤكده من هذا البحث أن يترافق الفارق على دلالة هاتين الأداتين الجازمتين في القرآن الكريم وتتواءلها.

ولقد تتبعنا جل المسائل المتعلقة بهاتين الأداتين في القرآن الكريم ووصفنا الطريقة التي تعطى بها النحو والمفسرون، وتوصلنا إلى نتيجة مفادها أن آراء النحو والمفسرين كانت متفرقة حيناً، ومتباينة في بعض الموضع.

كلمات مفتاحية: القرآن – الجزم – لم – لما – الدلالة.

مقدمة:

الجزمُ في اللغة، القطعُ، فَلِذَكْ كَانَ فِي الْكَلَامِ حَذْفُ الْحَرْكَةِ أَوْ مَا قَامَ مَقَامَهَا، وَفِي اصطلاح النحو: إنما هو حذف، والحدف تخفيف، أي: حذف الحركة الإعرابية من آخر الفعل وتسكينه، أو ما قام مقامها كحذف التون من الأفعال الخمسة، وحذف حرف العلة من آخر الفعل المعتل عند جزمه، والحدف والقطع سيان، ولذا سموه جزماً^(١).

وقد حكي عن أبي بكر بن السراج أنه شبّه الجازم بالدواء، والحركة في الفعل بالفضلة التي يخرجها الدواء، وكما أن الدواء إذا صادف فضلة حذفها، وإن لم يجد فضلة أخذ من نفس الجسم، فكذلك الجازم إذا دخل على الفعل، إن وجد حركة أخذها، وإلا أخذ من نفس الفعل، وسهل حذفها وإن كانت أصلية لسكونها، لأنها بالسكون

* مدرس — قسم اللغة العربية — كلية الآداب — جامعة تبريز — اللاذقية — سوريا.

١— الأنباري: الإنصال في مسائل الخلاف ، ٢: ٥٧٥، هادي عطيه: الحروف العاملة في القرآن الكريم بين التحويلين والبلاغيين، ط١، ص ٦٨٨ .

ضعف (٢).

إذاً، لا بد للجزوم أن يُحذف من آخره علامة الرفع، وإذا كان الفعل معتلاً سُكّن آخره علامة للرفع، ولا بد أن يكون للجزم علامة وتأثير، فلما لم يصادف في آخر الفعل إلا حرفًا ساكنًا حذفه، ليكون بينه وبين المرفوع فصل، وجاز حذف الحرف لضعفه، إذ كان ساكنًا، فجرى مجرى الحركة في جواز الحذف عليه (٣).

هدف البحث:

وقع اختياري على هذا البحث وهو (لم ولما) الجاز متان ودلالة المقام في القرآن الكريم؛ لأن معظم ما ورد فيهما في كتب اللغة والتراث ما هو إلا شذرات متفرقة، وآراء متباعدة، فوجدت أنه من المفيد أن أجمع هذه الآراء وأقدم دراسة متواضعة، جامعاً شتات ما تفرق في الكتب لتكون مجتمعة في حيز محدد يسهل على القارئ الإلمام بها دون عناء وجهد.

وجوب عمل (لم ولما):

جاء في أسرار العربية لأبي البركات ابن الأباري: "إن قال قائل: لم وجب أن تعمل (لم ولما) ولام الأمر، ولا في النهي) في الفعل المضارع الجزم؟ قيل: إنما وجب أن تعمل الجزم لاختصاصها بالفعل؛ وذلك لأن (لم) لما كانت تدخل على الفعل المضارع فتنقله إلى معنى الماضي، كما أن (إن) التي للشرط والجزاء تدخل على الفعل الماضي فتنقله إلى معنى المستقبل، فقد أثبتت حرف الشرط، وحرف الشرط يفعل الجزم، وكذلك يقتضي جملتين، فليطول ما يقتضيه حرفُ الشرط اختيار له الجزم، لأنه حذف وتخفيض، فبمنزلته (لم) في النقل، وكان محمولاً عليه" (٤).

٢— أبو البركات ابن الأباري: أسرار العربية، دراسة وتحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م، ص ١٦٨.

٣— ابن الوراق: علل التصوّر، تج: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشيد، الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م، ص ١٥٧.

٤— الأباري: أسرار العربية، ص ١٧٢.

أما ابن الوراق فيرى أن الجزم لا بد من دخوله على الفعل، ليكون بإزاء الجر في الأسم، ووجب أن تكون هذه العوامل عاملة؛ لأنها قد لزمن الفعل وأحدثت فيه معنى، وإنما خصصت بالجزم لأن الشرط والجزاء يقتضي جملتين، كقولك إن تضرِّبْ أضرِّبْ، فلَطَول ما يقتضيه الشرط والجزاء اختيار له الجزم لأنه حذف وتحفيظ^(٥). والأصل في (لم) أن تدخل على الماضي، الذي نُقلَ إلى لفظ المضارع؛ لأن (لم) يجب أن تكون عاملة، فلو لزمَ ما بعدها الماضي لما تبيَّن عملها، فنُقلَ الماضي إلى المضارع ليتبيَّن عملها.

والفرق بينها وبين حرف الشرط والجزاء بينَ ظاهر، وذلك لأن الأصل في حرف الشرط والجزاء أن تدخل على فعل المستقبل، والمستقبل أَقْلَى من الماضي، فَعُدِّلَ من الأَنْقَلَ إلى الأَخْفَ، فأمَّا (لم)، فالالأصل فيها أن تدخل على الماضي، وقد وجَّب سقوط الأصل، فلو جوَّزنا دخولها على الماضي الذي هو الأصل لما جاز دخولها على الفعل المضارع الذي هو الفرع؛ لأنَّه إذا استعمل الذي هو الأَخْفَ، لم يستعمل الفرع الذي هو الأَنْقَل^(٦).

وأمَّا (لمما)، فالجزم يقع بعدها، وبينها وبين (لم) فرقٌ، وذلك أنَّ (لم) نفيٌ لقولك: قامَ زيدٌ، ثم تقول: لمْ يَقُمْ زيدٌ، فإذا قلت: قد قامَ، فففيه: لمَّا يَقُمْ، وذلك أنَّ قد فيها معنى التوقع، فزدت (ما) على (لم) بإزاء قد، الداخلة على الفعل في أول الكلام^(٧). وذكر ابن هشام أن "لم" حرف جزم لنفي المضارع وقلبه ماضياً^(٨)، نحو قوله تعالى: «لم يَلِدْ وَلم يُولَدْ»^(٩).

ويرى سيبويه أن (لم) حرف جزم ونفي، وعدَّها نظير (لن) في النفي، لكنه ذكر اختلافهما (فلَم) لنفي الماضي، و(لن) لنفي المستقبل، لذلك قال: "لم نفي لقوله: فعلـ

٥— ينظر: ابن الوراق، علل النحو، ص ١٩٨، وينظر أسرار العربية ص ١٧٢، وشرح جمل الزجاجي ٢: ٩٧.
٦— ص ١٧٣.

٧— ينظر: ابن الوراق، علل النحو، ص ١٩٨، والمقتضب ٢: ٤٤، والمقصد: ١٠٩٢—١٠٩١، الجنى السداني: ٥٣٧.
٨— مغني الليب: ٣٦٧.
٩— مغني الليب: ص ٢٥٧.
١٠— سورة الإخلاص: ٣.

و(لن) نفي لقوله: سَيَقُولُ^(١٠).

ونذكر المبرد: أن لم لنفي الماضي، ووقوعها في المستقبل من أجل كونها تعمل الجزم ولا جزم إلا مُعرّب^(١١).

وذهب الرُّمانِي مذهب سيبويه والمبرد، فرأى أن حكمها أن تدخل على المستقبل، فتنقل معناه إلى الماضي، ويرى أنها عملت الجزم، ويتفق الفارسي معه في إحداثها الماضي في الاستقبال وإنْ كان قد خالقه في علة الجزم بها.

فالرُّمانِي يرى أنها عملت الجزم، لأنها نقلت الفعل نقلتين: نقلاته إلى الماضي ونفته كما سبق.

أما الفارسي فلم يجعل ذلك علة لجزِّها الفعل، فهو يرى أن (لا) الناهية، ولام الأمر يجزِّمان الفعل، ولم يجعل أحدَ منهما المستقبل ماضياً^(١٢).

وذهب ابن جني وبعض النحاة إلى أن (لم) إذا شبَّهَت بلا ضرورة يلغى عملها، فترفع الفعل بعدها، فقد يشبه حروف النفي ببعضها، وذلك لاشتراك الجمع في دلالته عليه، وشاهدتهم لما ذهبوا إليه قول الشاعر:

لَوْلَا فَوَارِسٌ مِّنْ ذُهْلٍ وَأَسْرَتِهِمْ
يَوْمَ الصَّلَيْفَاءِ لَمْ يُؤْفُونَ بِالْجَارِ^(١٣)

وجاء في اللباب للعكري: "إِنما أَعْمَلْتَ (لم) لأنها اختصَّتْ، وإنما جَزَّمْتَ لِثَلَاثَةَ أوجه:

أَحدها: أنَّ الْفَعْلَ فِي نَفْسِهِ تَقْيِيلٌ، و(لم) تَنْقَلِهِ إِلَى زَمِينٍ غَيْرِ زَمِينٍ لَفْظِهِ فِي زَدَادِ ثَقْلًا، فناسب أن يكون عملها الحذف.

والثاني: أنها تشبه (إن) الشرطية من حيث إنها تنقل الفعل من زمان إلى زمان، فجزمت كما تجزم (إن).

والثالث: إن (لم) تُرَدُّ المضارع إلى معنى الماضي، فال فعل باعتبار لفظه يستحق

١٠— الكتاب: ٤: ٢٢٠.

١١— ينظر: المبرد، المقضب، ط١، ٤٦، ت١: محمد عبد الخالق عصبة، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م.

١٢— الحروف العاملة في القرآن الكريم: ص ٧٠٠ م.

١٣— ينظر: ابن جني، المختسب، ج ٢: ٤٢، ت١: علي السجدي ناصف، د. عبد الحليم التيار، د. عبد الفتاح شibli، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط١، القاهرة، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م، وينظر: خالد الأزهري، التصریح بضمون التوضیح، ٤: ٣٦٧، ت١: عبد الفتاح بحیری، ط١، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢ م.

الحركة الإعرابية، وباعتبار معناه يستحق البناء، فجعل له حُكْمٌ متوسط وهو السكون الذي هو في المبني بناء، وفي المُعرَبِ حاصلٌ عن عاملٍ^(١٤).

أقسام (لَمْ):

(لَمْ) حرف نفي له ثلاثة أقسام^(١٥):

الأول: أن يكون جازماً نحو قول الله سبحانه: «لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ»^(١٦)، وهو المشهور.

الثاني: أن يكون ملغى لا عمل له، فيرتفع الفعل المضارع بعده كما في قول الشاعر :

لَوْلَا فَوَارِسٌ مِنْ ذُهْلٍ وَأَسْرَتَهُمْ يَوْمَ الصَّلْيَقَاءِ لَمْ يُؤْفُونَ بِالْحَارِ

وقد صرّح ابن مالك بأن الرفع بعد (لَمْ) لغة قوم من العرب، وذكر بعض النحوين أن ذلك ضرورة^(١٧).

الثالث: أن يكون ناصباً للفعل، حكى اللحياني عن بعض العرب أنه ينصب بـ (لَمْ) كقراءة بعضهم: «لَمْ تَشْرَحْ» بفتح الحاء، وقوله:

أَيْوَمْ لَمْ يَقْدِرْ أَمْ يَوْمَ قَدَرْ^(١٨)

وخرج ذلك ابن هشام على أن الأصل (شَرَحَن)، و(يَقْدِرَن)، ثم حذفت نون التوكيد الخفيفة وبقيت الفتحة دليلاً عليهما^(١٩)، وهذا ما ذكره المرادي^(٢٠)، وفي هذا شذوذ: توكيد المنفي بـ (لَمْ) وحذفت النون لغير وقف ولا ساكنين^(٢١).

٤— أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكيري، الباب في علل البناء والإعراب، ج ٢: ٤٧، تج: د. عبد الله نبهان، دار الفكر، ط ١، ١٩٩٥ م.

٥— انظر المرادي، الجنى الداني، ص ٢٦٦، تج: د. فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦— الإخلاص: ٤-٣ .

٧— الجنى الداني: ٢٢٦ .

٨— البيت للحارث بن منذر، واستشهد به على جواز نصب المضارع بعد (لَمْ) في قوله (لَمْ يَقْدِرْ) وهو عند العلماء محمول على أن الفعل مؤكّد بالنون الخفيفة. مغني الليب: ص ٢٧٥، والنواود: ص ١٣ . والخزانة: ٤: ٥٨٩ .

٩— ينظر: ابن هشام، مغني الليب، ص ٢٧٥ .

١٠— المرادي، الجنى الداني، ص ٢٦٦-٢٦٧ .

١١— ينظر: مغني الليب: ص ٢٧٥ .

وأفضل تخرير لذلك ما أورده ابن الأباري في الإنصاف بقوله: إن اللحياني حكى أن من العرب من يجزم بـ (لن) وينصب بـ (لم) إلى غير ذلك من الشواذ التي لا يلتفت إليها، ولا يقاس عليها^(٢٢)، أو على أن هذه لغة بعض العرب، وعليها القراءة بالنصب كما في الآية الكريمة والبيت^(٢٣).

: (لمًا)

هي بين الحروف التي تعمل مرة ولا تعمل أخرى^(٢٤)، وهي حرف نفي وجزم لل فعل المضارع كـ (لم)، وقد نص ابن قتيبة على أنها بمعنى (لم)، ومثاله عليها قوله سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾^(٢٥)، وتقديره بـ (بل لم يذوقوا عذاب)^(٢٦). ذكر الزمخشري أن (المًا) فيها معنى التوقع، وهي في النفي نظير (قد) في الإثبات، فقال: إن إتيان ذلك منظر^(٢٧)، في قول الحق سبحانه: ﴿وَلَمَّا يَأْتُكُمْ مَثُلُّ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(٢٨).

فذكر أنه أنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه؛ لأنه متنفس بانتفائاته، وذكر أن (المًا) بمعنى (لم) إلا أن فيها ضرباً من التوقع، فدل على نفي الجهاد فيما مضى، وعلى توقعه فيما يستقبل^(٢٩)، في قوله سبحانه:

﴿وَلَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهُوْا مِنْكُمْ﴾^(٣٠ و ٣١).

وقد اختلف النحاة في (المًا) هل هي بسيطة أو مركبة، فذهب بعضهم إلى أن الأصل (لم) ولحقتها (ما) في مقابلة (قد) في الواجب، فإذا قلت: لم أضرب، فهو في

٢٢— الإنصاف: ٢: ٦١٥.

٢٣— الحروف العاملة: ص ٤٠ ٢.

٢٤— الرهان (أبو الحسن علي بن عيسى)، معاني الحروف، ص ١٣٢.

٢٥— سورة: ٨.

٢٦— الحروف العاملة في القرآن: ص ٦٣٨.

٢٧— المرجع السابق نفسه.

٢٨— البقرة: ٢١٤.

٢٩— الحروف العاملة: ص ٦٣٨. وينظر الزمخشري، الكشاف: ١: ٢١٩.

٣٠— آل عمران: ١٤٢.

٣١— ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر الجليط: ٣: ٦٦. دار الفكر، ط ٢، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م.

مقابلة ضَرِبَتْ، وإذا قلت: لَمَا أضْرِبْ، فهو في مقابلة قَدْ ضَرِبَتْ، والدليل على ذلك أنك لا تحذف الفعل بعد (لَم)، فلا تقول: جَئْتُ وَلَمْ، تُرِيدَ جَئْتُ وَلَمْ أَدْخُلْ، وتقول: جَئْتُ وَلَمَا، تُرِيدَ وَلَمَا أَدْخُلْ، كما تقول: قَدْ تَقَيَّفْ، وأنتَ تُرِيدَ قَدْ فَعَلْتُ^(٣٢).

وفي التصريح قال الفراء: "أصل (لَم)": (لا) فأبدلـتـ الألفـ ميمـاـ، كما قالـ فيـ (لنـ)ـ أصلـهاـ (لا)ـ فأبدلـتـ نـوـناـ ...ـ كماـ أنـ القـوـلـ بـتـركـيـبـهاـ هوـ رـأـيـ سـيـبـيـوـهـ عـنـدـماـ قـالـ:ـ وـمـاـ فـيـ (لـمـا)ـ مـغـيـرـ لـهـ عـنـ حـالـ (لـمـ)ـ كـمـاـ غـيـرـتـ (لـوـ)ـ إـذـ قـلـتـ:ـ لـوـمـاـ نـحـوـهـاـ،ـ أـلـاـ تـرـىـ أـنـكـ تـقـولـ (لـمـا)ـ،ـ وـلـاـ تـتـبـعـهاـ شـيـئـاـ وـلـاـ تـقـولـ ذـلـكـ فـيـ (لـمـ)"^(٣٣).

ونذكر ابن هشام أن (لـمـا)ـ تـأـتـيـ مـرـكـبـةـ مـنـ كـلـمـاتـ،ـ وـمـنـ كـلـمـتـيـنـ،ـ فـأـمـاـ المـرـكـبـةـ مـنـ كـلـمـاتـ فـنـحـوـ قـوـلـ اللهـ سـبـحـانـهـ:ـ (وـإـنـ كـلـاـ لـمـاـ لـيـوـفـيـنـهـمـ رـبـكـ أـعـمـالـهـمـ)^(٣٤).

في قراءة ابن عامر وحمزة وحفص بتشديد نون (إنـ)ـ وـمـيمـ (لـمـا)ـ،ـ فـيـمـنـ قـالـ الأـصـلـ (لـمـنـ ما)ـ فـأـبـدـلـتـ الـنـوـنـ مـيـمـاـ وـأـدـعـمـتـ،ـ فـلـمـاـ كـثـرـ الـمـيـمـاتـ،ـ حـذـفـ الـأـوـلـيـ.

وهـذـاـ القـوـلـ ضـعـيفـ،ـ لأنـ حـذـفـ مـثـلـ هـذـهـ الـمـيـمـ استـقاـلـاـ لـمـ يـثـبـتـهـ وـأـضـعـفـ مـنـهـ قـوـلـ الآـخـرـ:ـ (لـمـا)ـ بـالـتـقـوـيـنـ بـمـعـنـىـ جـمـعـاـ،ـ ثـمـ حـذـفـ التـقـوـيـنـ إـجـرـاءـ لـلـوـصـلـ مـجـرـىـ الـوـقـفـ،ـ لأنـ استـعـمـالـ (لـمـا)ـ فـيـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ بـعـيـدـ،ـ وـحـذـفـ التـقـوـيـنـ مـنـ الـمـتـصـرـفـ فـيـ الـوـصـلـ أـبـعـدـ^(٣٥).

واختار ابن الحاجب أنها (لـمـا)ـ الجـازـمـةـ،ـ حـذـفـ فـعـلـهـاـ،ـ وـالتـقـدـيرـ:ـ (لـمـاـ يـعـمـلـوـاـ)،ـ أوـ (لـمـاـ يـتـرـكـوـاـ)ـ لـدـلـالـةـ مـاـ تـقـدـمـ مـنـ قـوـلـهـ سـبـحـانـهـ:ـ (فـمـنـهـمـ شـقـيـ وـسـعـيـتـ)^(٣٦)ـ،ـ وـالـأـوـلـىـ أـنـ يـقـدـرـ (لـمـاـ يـوـفـوـاـ أـعـمـالـهـمـ)،ـ أـيـ أـنـهـمـ إـلـىـ الـآنـ لـمـ يـوـفـوـهـاـ وـيـسـتـفـوـنـهـاـ،ـ وـوـجـهـ رـجـانـهـ أـنـ مـنـفـيـ (لـمـا)ـ مـوـقـعـ الثـبـوتـ،ـ وـالـإـهـمـالـ غـيـرـ مـتـوـقـعـ الثـبـوتـ،ـ وـكـذـلـكـ لـأـنـ بـعـدـ (لـيـوـفـيـنـهـمـ)ـ وـهـوـ لـلـلـيـلـ عـلـىـ أـنـ التـوـفـيـةـ لـمـ تـقـعـ بـعـدـ^(٣٧).

وـأـمـاـ المـرـكـبـةـ مـنـ كـلـمـتـيـنـ،ـ فـكـمـاـ فـيـ قـوـلـ الشـاعـرـ:

٣٢ـ يـظـرـ ابنـ الـرـيـعـ،ـ التـبـيـنـ فـيـ شـرـحـ جـلـ الـرـاجـاجـيـ،ـ ١:ـ ٢٣٧ـ،ـ تـحـ:ـ عـبـادـ بـنـ عـبـادـ.

٣٣ـ التـصـرـيـحـ بـمـضـمـونـ التـوـضـيـحـ:ـ ٤:ـ ٣٦٨ـ.ـ وـانـظـرـ الـكـتابـ:ـ ٤:ـ ٢٢٣ـ.

٣٤ـ سـوـرـةـ هـودـ:ـ ١١١ـ.

٣٥ـ مـعـنـيـ الـلـيـبـ:ـ صـ ٢٧٩ـ.

٣٦ـ سـوـرـةـ هـودـ:ـ ١٠٥ـ.

٣٧ـ مـعـنـيـ الـلـيـبـ:ـ صـ ٢٨٠ـ.

لَمَّا رأيْتُ أبا يَزِيدَ مُقاوِلاً
ادْعَ الْقِتَالَ وَأشْهَدَ الْهَيْجَاءَ^(٣٨)

فعلى أن الأصل (لن ما) ثم أدخلت اللون في الميم للتقارب، ووصل خطأً. وذهب بعضهم إلى أنها بسيطة^(٣٩)، والراجح ما ذهب إليه سيبويه ومن تابعه من النحوين في القول بتركيب (لما) من (لم) و(ما) الزائدة حملًا لها على الكلمات التي زيدت عليها (ما)، فأحدثت فيها تغييرًا عن حالها السابق، ومن هذه الكلمات (لوما) حيث ذكر سيبويه أن أصلها (لو) دخلت عليها (ما) فأحدثت فيها تغييرًا^(٤٠). أي أنّ في (لما) قولين، هما: الأول أنها بسيطة، والآخر أنها مركبة، وتركيبها إما أن يكون من (اللام) و(من) و(ما)، نقله ابن الحاجب، وضعف هذا الرأي ابن هشام لأنها عنده مركبة من كلمات، أو من كلمتين.

أقسام (لما):

الأول: أن تكون بمعنى (لم) أي الجازمة للفعل المضارع، وهي حرف نفي، تدخل على الفعل المضارع فتجزمه وتصرف معناه إلى المضي^(٤١).

فأما وقوعها معنى (لم) فقولك: لَمَّا يأتكَ زِيدٌ، تريده: لَمْ يأتكَ، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا
يَأْتُهُمْ تَأْوِيلُهُ﴾^(٤٢)، قوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا يَنْذُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٤٣)، قوله جل شأنه: ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابَ﴾^(٤٤)، معناه: لَمْ يأتهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلْ، وَلَمْ يَذُوقُوا، ومن ذلك قول الأشعى:

فَقَمْنَا وَلَمَّا يَصْبِحَ دِيْكَنا
إِلَى جَوَنَةِ عِنْدَ حَدَارِهَا^(٤٥)
أَرَادَ (لم يصبح).

٣٨— المصدر السابق نفسه.

٣٩— الجنى الداعي: ص ٥٩٣.

٤٠— الكتاب: ٤: ٢٢٣.

٤١— الجنى الداعي: ص ١١.

٤٢— يونس: ٣٩.

٤٣— الحجرات: ١٤.

٤٤— ص: ٨.

٤٥— الخزانة: ٣: ٤٨.

وفي رصف المبني قال المالقي: الموضع الأول من مواضع (لما) أن تكون جازمة للفعل المضارع فتُصيّر معناه للماضي، كـ (لم) المذكورة في الباب، قيل: هذا، وهي جواب في التقدير لمنْ قال: قد فعل، ولذلك دخلت عليها (ما) لأنها عوض منْ (قد)، ولذلك تزيد على (لم) بالاستمرار في النفي وتتفق بـه دونها، ولذلك أيضاً يجوز الوقف عليها فتقول: شارفَ زيدُ المدينةَ لَمَا، وتريد: يدخلها، فحذفت الفعل لدلالتها عليها^(٤٦).

وفي المقتضى للجرجاني: أعلم أن (لما) تدخل على المضارع فتجزمه كما تجزم (لم)، وتنقلب المعنى إلى الماضي تقول: لما يخرج زيد أمس، ولا تقول: لما يخرج زيداً، كما لا تقول ذلك في (لم)^(٤٧).

الثاني: لما بمعنى إلا، ولها مواضعان^(٤٨):

أحدهما: بعد القسم، نحو: نشأتُكَ بِاللهِ لَمَا فَعَلْتَ، وعَزَمْتُ عَلَيْكَ لَمَا ضَرَبْتَ كَاتِبَكَ سوطاً.

وثانيهما: بعد النفي، ومنه قراءة عاصم وحمزة^(٤٩): «وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدِينَا مُخْسِرُونَ»^(٥٠)، قوله سبحانه: «وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»^(٥١)، أي ما كل إلا جميع، وما كل ذلك إلا متاع، وهو قول الله سبحانه: «إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ»^(٥٢)، أي وما كل نفس إلا عليها حافظ، ولما بمعنى إلا، لا تستعمل إلا في هذين الموضعين: أي في القسم، وبعد حرف الجمود^(٥٣).

وفي الجنى الداني أن (لما) التي بمعنى (إلا) حكاها الخليل وسيبوبيه والكسائي وهي

٤٦— المالقي، رصف المبني في شرح حروف المعاني، ص ٣٠٤—٣٠٥، تج: سعيد صالح مصطفى، الناشر دار ابن خلدون.

٤٧— الجرجاني: المقتضى، ٢: ١٠٩٢.

٤٨— الجنى الداني: ٥٤٣. وانظر محمد علي المروي: الأزهية في علم الحروف: ص ١٩٨، تج: الملوحي، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م.

٤٩— انظر: الرمخشري، الكثاف: ١: ٥٣٦. والنشر: ٢: ٢٩١.

٥٠— باسين: ٣٢.

٥١— الزخرف: ٣٥.

٥٢— الطارق: ٤.

٥٣— الأزهية: ص ١٩٨.

قليلة الدور في كلام العرب، فينبغي أن يقتصر فيها على التركيب الذي وقعت فيه، وزعم أبو القاسم الزجاجي: أنه يجوز أن تقول: لَمْ يأتني منَ الْقَوْمِ لَمَّا أَخْوَكَ، ولَمْ أَرَ مِنَ الْقَوْمِ لَمَّا زَيَّدَ، يريد إلا أخوك وإلا زيداً، قيل: وينبغي أن يتوقف في ذلك حتى يرد في كلام العرب ما يشهد بصحة ذلك^(٥٤).

الثالث: لَمَّا التَّعْلِيقَةُ:

وهي حرف وجوب لوجوب، أو وجود لوجود، بالدال، وبينهما قرب في المعنى لكونها تقتضي جملتين، وجدت ثانيتهما عند أولهما، نحو: «لَمَّا جَاءَنِي أَكْرَمْتُهُ»، ومن مجيئها بمعنى (حين) قول الله سبحانه: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمَنَا مِنْهُمْ﴾^(٥٥)، قوله جل شأنه: ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُؤْنسُ لَمَّا آتَمُوا كَثَفَنَا عَنْهُمْ﴾^(٥٦)، التقدير: حين أسفونا، حين آمنوا^(٥٧).

قال المالقي: « تكون (لَمَّا) حرف وجوب لوجوب إذا كانت الجملتان بعدها موجبتين كما سبق، فإن كانتا منفيتين كانت حرف نفي للفي نحو: لَمَّا لَمْ يَقُمْ زَيْدٌ لَمْ يَقُمْ عَمَّرُو»، وتكون حرف وجوب لنفي إذا كانت الجملة الأولى منافية والثانية موجبة، نحو قوله: «لَمَّا لَمْ يَقُمْ زَيْدٌ أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ» وبالعكس، وإذا كانت الأولى موجبة والثانية منافية نحو قوله: «لَمَّا جَاءَ زَيْدٌ لَمْ أَحْسِنْ إِلَيْكَ»، وفيها معنى الشرط أبداً لا يفارقها ولا تدخل إلا على الماضي لفظاً أو معنى دون لفظ نحو ما مثل به^(٥٨).

الخلاف بين النهاة في (لَمَّا) هل هي اسم أم حرف:

(لَمَّا) لفظ مشترك بين الاسمية والحرفية، والمتافق عليه بين النهاة أن (لَمَّا) الجازمة حرف، لأنها بمعنى (لَمْ) فهي حرف نفي وجذم وقلب، وإن (لَمَّا) التي بمعنى إلا الاستثنائية حرف أيضاً، لأن (إِلَّا) حرف يفيد الاستثنائية، كذلك (لَمَّا) حرف يفيد

٥٤— الجنى الذاي: ص ٩٤.

٥٥— الظرف: ٥٥.

٥٦— يونس: ٩٨.

٥٧— الأزهية: ص ١٩٩.

٥٨— رصف المأني: ص ٥٩٤.

الاستثناء^(٥٩).

أما (لما) التعليقية فقد وقع خلاف بين النحوين على مذهبين:

المذهب الأول: مذهب سيبويه وأكثر النحوين أنها حرف، قال سيبويه: وأما (لما) فهي للأمر الذي وقع لوقوع غيره، وإنما تجيء بمنزلة: (لو) لما ذكرنا، فإما هي لابتداء وجوب^(٦٠)، فنرى أن سيبويه حكم على (لما) بالحرفية لكونه جعلها بمنزلة (لو)، فكما أن (لو) حرف كذلك (لما).

المذهب الثاني: مذهب ابن السراج وأبي علي الفارسي وجماعة من النحوين حيث ذهبوا إلى أنها ظرف زمان بمعنى (حين)، وقد سلك هذا المسلك الهروي: أما وقوتها أي (لما) بمعنى حين ففقولك: كلمت زيداً لما كلمني، تريد حين كلمني، جعلت (لما) ظرفاً^(٦١)، ولذلك قال في قوله سبحانه: «فَلَمَّا آسَوْنَا أَنْتَمْنَا مِنْهُمْ»^(٦٢)، وقوله جل شأنه: «إِلَّا قَوْمٌ يُونِسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ»^(٦٣)، يريد حين أسفونا، وحين آمنوا. والصحيح ما ذهب إليه سيبويه لأوجه:

أحدها: ليس فيها شيء من علامات الأسماء، كما ذكر الملاقي أن الاسمية فيها متكلفة، والحرافية غير متكلفة، وكل مبنيٍ لازم البناء، فالحكم عليها بالحرفية إن دلت دلائل مقولية له في حيز الأسماء، وإن كانت بمعنى (حين) لم يخرجها هذا المعنى إلى الاسمية، فإن من الحروف ما يتقدّر بالأسماء وهو لازم بالحرافية، ومنها ما يتقدّر بالفعالية، وهو لازم للحرافية^(٦٤).

والثاني: أنها تقابل (لو) وتحقيق تقابلها أنك تقول: لو قام زيد قام عمرو، ولكنه لما لم يقم لم يقم، أي أنت إذا حكمنا على (لو) فكذلك ما يقابلها فهو (لما).

والثالث: أنها لو كانت ظرفاً لكان جوابها عاملًا فيها، ويلزم من ذلك أن يكون الجواب واقعًا فيها، لأن العامل في الظرف يلزم أن يكون واقعًا فيه، وأن تقول:

٥٩— الجني الداني: ص ٥٩٢-٥٩٣.

٦٠— الكتاب: ٤: ٢٣٤.

٦١— الأزهية: ص ١٢٩.

٦٢— الرخيف: ٥٥.

٦٣— يونس: ٩٨.

٦٤— انظر: الجني الداني: ص ٥٩٥-٥٩٦.

لَمَا قَمْتُ أَمْسِ أَحْسَنْتُ إِلَيْكِ الْيَوْمَ، وَقُولُ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ: ﴿وَلَئِكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا
ظَلَمُوا﴾^(١٠)، وَالْمَرَادُ أَنَّهُمْ أَهْلَكُوا بِسَبِّ ظُلْمِهِمْ، لَا أَنَّهُمْ أَهْلَكُوا حِينَ ظُلْمِهِمْ مُتَقَدِّمٌ عَلَى
إِذْنَارِهِمْ، وَإِذْنَارِهِمْ مُتَقَدِّمٌ عَلَى إِهْلَكِهِمْ.

الرابع: أَنَّهَا تُشَعِّرُ بِالْقَلِيلِ كَمَا فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، وَالظَّرِيفَةُ لَا تُشَعِّرُ بِالْقَلِيلِ.

الخامس: أَنَّ جَوَابَهَا قَدْ يَقْتَرَنُ بـ (إِذَا) الْفَجَائِيَّةِ كَمَا فِي قُولِهِ سَبَّحَانَهُ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ
بِأَيَّاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾^(١١)، وَمَا بَعْدَ إِذَا الْفَجَائِيَّةِ لَا يَعْمَلُ فِيمَا قَبْلَهَا.

الفرق بين أقسام (لَمَا) الثلاثة من جهة اللفظ:

يَتَضَرَّعُ فِي أَنْ (لَمَا) الْجَازِمةُ لَا يَلِيهَا إِلَّا مَضَارِعُ ماضِيِّ الْمَعْنَى، وَأَمَّا (لَمَا) الَّتِي
يَعْنِي (إِلَّا) فَلَا يَلِيهَا إِلَّا ماضِيُّ الْلَّفْظِ مُسْتَقْبِلُ الْمَعْنَى، وَ(لَمَا) الَّتِي هِي حِرْفٌ وَجُوبٌ
لِوْجُوبِهِ، وَهِيَ التَّعْلِيقِيَّةُ لَا يَلِيهَا إِلَّا ماضِيُّ الْلَّفْظِ وَالْمَعْنَى أَوْ مَضَارِعُ مَنْفِيٍّ بـ
(لَمْ)^(١٢).

زيادة (أَنْ) بَعْدَ (لَمَا) التَّعْلِيقِيَّةِ:

تَزَادُ (أَنْ) بَعْدَ (لَمَا) التَّوْقِيَّةِ كثِيرًا، وَمِنْ ذَلِكَ قُولُ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ
الْبُشِّيرُ﴾^(١٣)، وَقُولُهُ سَبَّحَانَهُ: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوُّ لَهُمَا﴾^(١٤).
وَهَذَا مَا ذَكَرَهُ سَيِّدُ الْبَرِّيَّةِ عِنْدَمَا قَالَ: وَأَمَّا (أَنْ) فَتَكُونُ بِمَنْزِلَةِ لَامِ الْقَسْمِ فِي قُولِهِ: أَمَا
وَاللَّهِ إِنْ فَعَلْتُ لَفَعْلَتُ، وَتَكُونُ تَوْكِيدًا فِي قُولِكَ: لَمَا أَنْ فَعَلَ، كَمَا كَانَتْ تَوْكِيدًا فِي
الْقَسْمِ^(١٥).

٦٥— الكهف: ٥٩.

٦٦— الرُّخْرُوف: ٤٧.

٦٧— الجن الناجي: ص ٥١٧.

٦٨— يوسف: ٩٦.

٦٩— القصص: ١٩.

٧٠— الكتاب: ٤: ٢٣٤.

دلالة (لم) في القرآن الكريم:

في القرآن الكريم آيات بقى معنى المضارع بعد (لم) فيها على معنى الاستقبال، ولا يُراد بالمضارع بعدها معنى الماضي، ولم أجد للمعربين ولا للمفسرين أقوالاً في هذه الآيات، وهي:

﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾^(٧١)، ﴿وَحَسَرَتَاهُمْ فَلَمْ تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٧٢)، ﴿فَلَمْ يَسْتَجِبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً﴾^(٧٣)، ﴿وَلَمْ يَجْدُوا عَنْهَا مَصْرَفاً﴾^(٧٤)، ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرُكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِبُوا لَهُمْ وَرَأُوا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾^(٧٥)، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبَلِّسُ الْمُجْرِمُونَ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرُكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرُكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾^(٧٦)، ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمَئِنْ إِنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانِ﴾^(٧٧).

وقول بعض النحاة بأن (لم) قلبت معنى المضارع إلى معنى الماضي، ثم أريد من الماضي معنى المستقبل بعد ذلك فيه أبعاد، وأيسر من ذلك أن نقول: إن حروف النفي يقوم بعضها مقام بعض، فتتبادل مواقعها، وقد صرحت أبو الفتح بذلك: "فقد تشبه حروف النفي بعضها ببعض وذلك لاشتراك الجميع في دلالته عليه، ألا ترى إلى قوله:

أَجِدُكَ لَمْ تَغْتَمِضْ لَيْلَةً
فَتَرَقُّدُهَا مَعَ رُقَادِهَا

فاستعمل (لم) في موضع الحال، وإنما ذلك من مواضع (ما) النافية للحال، وأنشد أيضاً:

أَجِدُكَ أَنْ تَرِي بِثَعِيلَبَاتِ
وَلَا بِيَدَانَ نَاجِيَةَ نَمْوَلَا

استعمل أيضاً (إن) في مواضع (ما)^(٧٨).

.٤٦—الأعراف: .٤٦

.٤٧—الكهف: .٤٧

.٥٢—الكهف: .٥٢

.٥٣—الكهف: .٥٣

.٦٤—القصص: .٦٤

.١٢—الروم: .١٢—.١٣

.٥٦—الرحمن: .٥٦

.٣٨٨—ابن جني: الحصائر: ١.

يشير أبو الفتح إلى أن وقوع (لَمْ) و(لَنْ) في جواب القسم إنما كان بالحمل على (ما)، وقد منع المبرد أن تقع (لن) في جواب القسم^(٧٩).

وقال ابن هشام: وتلقى القسم بـ (لن) و(لَمْ) نادر جداً، كقول أبي طالب :

وَاللَّهُ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمِيعِهِمْ حَتَّى أُوْسَدَ فِي التُّرَابِ دَفِينًا^(٨٠)

ووُجِدَتْ فِي كَلَامِ كَمَالِ الدِّينِ الْأَنْبَارِيِّ مَا يُشِيرُ إِلَى هَذَا، قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْقَبْرَ﴾، أَيْ لَمْ يَقْتِحِمْ، و(لا) مَعَ الْمَاضِي كَـ (لَمْ) مَعَ الْمُسْتَقْبَلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ أَيْ لَمْ يُصَدِّقْ وَلَمْ يَصِلَّ^(٨١).

وَقَالَ أَبُو حِيَانَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾^(٨٢)، وَقَيْلُ: "(فلَنْ أَكُونَ)" دُعَاء لَا خَبَرُ، و(لَنْ) بِمَعْنَى (لا) فِي الدُّعَاء^(٨٣)، وَالصَّحِيحُ أَنَّ (لن) لَا تَكُونُ فِي الدُّعَاء، وَقَدْ اسْتَدَلَ عَلَى أَنَّ (لن) تَكُونُ فِي الدُّعَاء بِهَذِهِ الْآيَةِ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

رَأَتْ لَكُمْ خَالِدًا خُلُودَ الْجِبَالِ لَنْ تَرَأَوْلَا كَذَلِكُمْ ثُمَّ مَا^(٨٤)

إِذَا دَخَلَتْ هَمْزَةُ الْاسْتِفَهَامِ عَلَى أَدَاءِ نَفِيِّ كَانَ مَعْنَى الْاسْتِفَهَامِ هُوَ الْإِنْكَارُ وَالتَّقْرِيرُ، قَالَ الرَّضِيُّ: «وَإِذَا دَخَلَتْ هَمْزَةُ الْاسْتِفَهَامِ عَلَى (لَمْ) وَ(لَمَّا)، فَهِيَ لِلْاسْتِفَهَامِ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيرِ، وَمَعْنَى التَّقْرِيرِ إِلَاجِاءِ الْمُخَاطِبِ إِلَى الإِقْرَارِ بِأَمْرٍ يَعْرَفُهُ»، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نُرِّبْكَ فِينَا وَلِيْدًا﴾، و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(٨٥).

وَقَدْ ذَكَرَ أَبُنْ هَشَامَ فِي الْمَغْنِيِّ خَرُوجَ هَمْزَةِ الْاسْتِفَهَامِ الْحَقِيقِيِّ إِلَى أَنْوَاعِ مُتَعَدِّدَةٍ، بَعْضُهَا لَهُ صَلَةٌ بِلَمْ، مِنْهَا:

١ - الإِنْكَارُ الْإِبْطَالِيُّ: وَهَذِهِ تَقْتَضِيُّ أَنَّ مَا بَعْدَهَا غَيْرُ وَاقِعٍ، وَأَنَّ مُذَعِّيَهُ كاذِبٌ، مَثَلُهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ لَمَا كَانَ مَعْنَاهُ شَرْحًا، و﴿أَلَمْ يَجْدُكَ

٧٩ - المختبب: ٢: ٦.

٨٠ - المغني: ١: ٢٢١.

٨١ - البيان: ٢: ٥١٤، ٤٧٨. وأعمال الشجري: ٢: ٩٤، ١٢٨. وفي الباب للعكيري بمعنى (ما)، ٢: ١٤٦، ١٥٤.

٨٢ - القصص: ١٧.

٨٣ - البحر: ٧: ١١.

٨٤ - ينظر السابق.

٨٥ - شرح الكافية: ٢: ٢٣٤.

يَتِيمًا فَأَوَى ﴿،﴾ و﴿ أَلَمْ يَجْعُلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضليلٍ ﴾﴾.

٢- الإنكار التوبخي: فيقتضي أن ما بعدها واقع، وأن فاعله ملوم، ومثل له بقوله تعالى: «أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحَتُونَ﴾، «أَغْيَرَ اللَّهُ تَذَعُونَ﴾، «أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ﴾

٣- التقرير: ومعناه، جعل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه، ويجب أن يليها الشيء الذي تقرره ...

فإذا قلت: ما وجه حمل الزمخشري الهمزة في قوله تعالى: «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَبِيرٍ﴾، على التقرير؟

قلت: قد اعذر عنه بأن مراده التقرير بما بعد النفي، لا التقرير بالنفي والأولى أن تُحمل الآية على الإنكار التوبخي، أو الإبطالي، أي (ألم تعلم أيها المنكر للنسخ).

ثم عاد ابن هشام وجعل قوله تعالى: «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ من الاستفهام التقريري^(٨٦)، وقد جعله فيما سبق من الإبطالي.

أما أبو حيان فقد جعل الاستفهام للتقرير في أكثر الموضع كما سيأتي:

١- «أَلَمْ أَقْلُ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمَ بِغَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٨٧)، (ألم أقل) تقرير لأن الهمزة إذا دخلت على النفي كان الكلام في كثير من الموضع تقريراً، نحو قوله تعالى: «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، ولذلك جاز العطف على جملة إثباتية نحو (ووضعنا)، (ولبست)^(٨٨).

٢- «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَبِيرٍ﴾^(٨٩)، استفهام معناه التقرير، فلا يحتاج إلى معادل البة، والأولى أن يكون المخاطب هو السامع، والاستفهام بمعنى التقرير كثير في كلامهم خصوصاً إذ دخل على النفي، «أَوْلَئِسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُنُورِ الْعَالَمَيْنَ﴾، «أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمَيْنَ﴾، فهذا كله استفهام لا يحتاج فيه إلى معادل، لأنه إنما أراد به التقرير^(٩٠).

٨٦- ينظر المغني: ٢: ١٢٣.

٨٧- البقرة: ١٢٣.

٨٨- ينظر البحر: ١: ١٥.

٨٩- البقرة: ١: ١٠٦.

٩٠- ينظر البحر: ١: ٣٤٤-٣٤٥، والمغني: ١: ١٧.

- ٣— ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٩١)، استفهام دخل على النفي، فهو تقرير، ليس له معادل، لأن التقرير معناه الإيجاب، أي علمت أيها المخاطب^(٩٢).
- ٤— ﴿أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ بَيْرِهِمْ وَهُمُ الْوُفُّ حَذَرَ الْمَوْتَ﴾^(٩٣)، همزة الاستفهام دخلت على حرف النفي، فصار الكلام تقريراً^(٩٤).
- ٥— ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَنَهَا جِرَوْا فِيهَا﴾^(٩٥)، هذا تقرير من الملائكة لهم، ورد لما اعتذروا به، أي لست مستضعفين، بل كانت لكم القدرة على الخروج إلى بعض الأقطار^(٩٦).
- ٦— ﴿فَإِنْ يَأْتُكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾^(٩٧)، الاستفهام للتوبیخ والتقریب، حيث أذر الله إليهم بإرسال الرسل فلم يقبلوا به^(٩٨).
- ٧— ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تَلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾^(٩٩)، هو استفهام معناه العتاب على ما صدر منهما، والتتبیه على موضع الغفلة^(١٠٠).
- ٨— ﴿أَلَمْ يُؤْخِذْ عَلَيْهِمْ مِثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾^(١٠١)، هذا توبیخ وتقریر لما تضمنه الكتاب منأخذ الميثاق، إنهم لا يکذبون على الله^(١٠٢).
- ٩— ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَաِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾^(١٠٣)، أي ألم يعلم المنافقون، وهو استفهام معناه التوبیخ والإنکار، وقرئ (تعلموا) بالتأء على الخطاب، فالظاهر أنه التفات، فهو خطاب للمنافقین، قيل ويحتمل أن يكون خطاباً للمؤمنین،

٩١— البقرة: ١٠٧.

٩٢— ينظر البحر: ١: ٣٤٥.

٩٣— البقرة: ٢٤٣.

٩٤— ينظر البحر: ٢: ٢٤٩.

٩٥— النساء: ٤٩.

٩٦— ينظر البحر: ٣: ٣٣٤.

٩٧— الأنعام: ١٣٠.

٩٨— ينظر: ٤: ٢٢٢.

٩٩— الأعراف: ٢٢.

١٠٠— ينظر البحر: ٤: ٢٨١. وانظر الكشاف: ٢: ٥٨.

١٠١— الأعراف: ١٦٩.

١٠٢— ينظر البحر: ٤: ٤١٦.

١٠٣— التوبية: ٦٣.

فيكون معنى الاستفهام التقرير وإن كان خطاباً للرسول(ص) فهو خطاب تعظيم والاستفهام فيه للتعجب، والتقدير: لا تعجب من جهلهم في محاذاة الله تعالى^(٤).

١٠ - ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَتَجْوَاهُمْ﴾^(٥)، استفهام تضمن التوبيخ والتقرير، وقرئ بالباء خطاباً للمؤمنين على سبيل التقرير^(٦).

١١ - ﴿أَلَمْ يَأْلَمُكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحٌ﴾^(٧)، الهمزة للتقرير والتوبيخ^(٨).

١٢ - ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنَى آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾^(٩)، قال لهم على جهة التوبيخ والتقرير: ألم أعهد^(١٠).

مع أفلم

١ - ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(١١)، وفي ثم استفهام استفهام توبيخ وتقرير، والضمير في (يسيراً) عائد على من أنكر إرسال الرسل من البشر ومن عاند الرسول أي هلا يسيرون في الأرض، فيعلمون بالتواتر أخبار الرسل السابقة، ويرون مصارع الأمم المكنته، فيعتبرون بذلك^(١٢).

٢ - ﴿أَفَلَمْ يَتَبَرَّوْا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأُولَئِنَ﴾^(١٣)، في ذكر الله تعالى توبيخهم على إعراضهم عن إتباع الحق، أي ألم يتفكروا فيما جاء به عن الله، فيعلموا أنه المعجز الذي لا يمكن معارضته فيصدقوا به وبمن

١٠٤ - البحر: ٥ : ٧٥.

١٠٥ - التربية: ٧٨.

١٠٦ - ينظر البحر: ٥: ٧٥.

١٠٧ - إبراهيم: ٩.

١٠٨ - ينظر البحر: ٥: ٤٠٨.

١٠٩ - يس: ٦٠.

١١٠ - البحر: ٧: ٣٤١.

١١١ - يوسف: ١٠٩.

١١٢ - البحر: ٥: ٣٥٣.

١١٣ - المؤمنون: ٦٨.

جاء به^(١٤).

٣- ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بِلَ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾^(١٥)، "هو استفهام معناه التعجب، ومع ذلك فلم يعتبروا برؤيتها أن يحل بهم في الدنيا ما حل بأولئك، بل كانوا فرة لا يؤمنون بالبعث، فلم يتوقعوا عذاب الآخرة"^(١٦).

مع أولم

١- ﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى﴾^(١٧)، "الهمزة للتقرير ... قال ابن عطية: الواو واو الحال دخلت عليها ألف التقرير، وكون الواو للحال هنا غير واضح، لأنها إذا كانت للحال فلا بد أن تكون في موضع نصب، وإذا ذاك لا بد لها من عامل، فلا تكون همزة التقرير دخلت على هذه الجملة الحالية، وإنما دخلت على الجملة التي اشتملت على العامل فيها وعلى ذي الحال، ويصير التقدير: أسألك ولم تؤمن، أي أسألك في هذه الحال.

والذي يظهر أن التقرير إنما هو منسحب على الجملة المنافية، وأن الواو للعطف واعتنى بهمزة الاستفهام فقدمت ... ولذلك كان الجواب بـ"بلى"، وقد تقرر في علم النحو أن جواب التقرير المثبت، وإن كان بصورة النفي تجربة العرب مجرى جواب النفي المحسن فتجبيه على صورة النفي، ولا يلتفت إلى معنى الإثبات^(١٨).

موقع الجملة المنافية بـ"لم" في الإعراب :

- وقعت خبراً للمبتدأ في: الأعراف، ٨٧، الأحزاب ١٩.
- وخبرأً لـ (إن) المكسورة الهمزة في: النساء ١٣٧.
- وخبرأً لـ (أن) المفتوحة الهمزة في: الأنفال، ٥٣، يوسف ٥٢.
- وخبرأً للبيت في: الكهف، ٤٢، الفرقان، ٢٨، الحاقة ٢٥.

١٤- البحر ٦: ٤١٣ .

١٥- الفرقان ٤٠ .

١٦- في البحر ٦: ٥٠٠ .

١٧- البقرة ٢٦٠ .

١٨- في البحر ٢: ٢٩٧-٢٩٨ .

- وخبراً لـ (كأن) في: الأحقاف ٣٥، النازعات ٤٦.
- وخبراً لـ (كأن) المخفة في: النساء ٧٣، الأعراف ٩٢، يومن ١٢ - ٢٤ - ٤٥، هود ٦٧ - ٩٦، لقمان ٧، الجاثية ٨، خبر كأن المخفة جاء مقويناً بـ لم في جميع مواقعه في القرآن.
- وفقت الجملة المنفية بـ لم خبراً (لأن) المخفة في: الإنعام ١٣١، الأعراف ٩٢ الجاثية ٨، البلد ٧.
- وجاءت مفعولاً للقول في الحجر ٣٣، الحجرات ١٤، المدثر ٤٥.
- ومفعولاً ثانياً ليحسب في: الأحزاب ٢٠.
- وحالاً في: البقرة ٢٥٩، آل عمران ١٧٤، المائدة ٤١، الإنعام ١٥٨، الأعراف ١١ - ٤٦، القصص ٥٨، الأحزاب ٢٥، الرحمن ٥٦، الإنسان ١.
- وصفة في: النساء ١٠٢ - ١٦٤، المائدة ٤١، الأنعام ١٥٨، التوبه ٢٦ - ٤٠، النحل ٧، الكهف ٩٠، الأحزاب ٩ - ٢٧، محمد ١٥، الفتح ٢١ - ٢٥، الإنسان ١.
- بعد (حيث) في: الحشر: ٢.
- بعد (إذ) في: النساء ٧٢، الأحقاف ١١، المجادلة ١٣.
- بعد (إذا) الشرطية: الأعراف ٢٠٣.
- جواب (إذا) الشرطية: النور ٤٠ - ٦٢، الفرقان ٦٧ - ٧٣.
- بعد (لو): النور ٣٥.
- بعد (إن) الشرطية: البقرة ٢٤ - ٢٨٢ - ٢٧٩ - ٢٦٥ - ٢٨٢، النساء ١١ - ١٢ - ٢٣، المائدة ٦٧ - ٧٣، الأنعام ٧٧، الأعراف ٢٣ - ١٤٩، التوبه ٥٨، هود ١٤٩، يوسف ٦٠، الكهف ٦، مريم ٤٦، النور ١٣ - ٢٨، الشعراة ١٦٧ - ١١٦، الأحزاب ٥، القصص ٥٠، الأحزاب ٦٠، يس ١٨، الدخان ٢١، المجادلة ١٢، العلق ٥.
- بعد (من) المحتملة للشرطية والمسؤولية: في البقرة ١٩٦ - ٢٤٩ - ٢٥، النساء ٢٥ - ٩٢، المائدة ٤٤ - ٤٥ - ٤٧ - ٨٩، النور ٤٠، الفتح ١٣، الحجرات ١١، المناافقون ٦.
- بعد (أم) في: البقرة ٦، المؤمنون ٦٩، الشعراة ١٣٦، يس ١٠، النجم ٣٦، المناافقون ٦.
- بعد (ثم) في: الأنعام ٢٣، التوبه ٤، النور ٤، الحجرات ١٥، الطلاق ٥، البروج ١٠.

- بعد (بل) في: الصافات ٢٩، غافر ٧٤.
- بعد (كما) في: الأنعام ١١٠.
- وقعت صلة للموصول في: البقرة ١٥، ١٩٦، ٢٣٩، آل عمران ١٥١ — ١٧٠ — ١٨٨، النساء ١١٣، المائدة ٢٠ — ٤١، الأنعام ٦ — ٨١، الأعراف ٣٣، التوبه ٩٤ يومنس ٣٩، يوسف ٣٢، الرعد ١٨ — الإسراء ١١١، الكهف ٦٨ — ٧٨ — ٤٢، مريم ٤٣، طه ٩٦، المؤمنون ٦٨، النور ٣١ — ٥٨، التمل ٢٢، الزمر ٤٢ — ٨٢، غافر ٥٨، الشورى ٢١، الفتح ٢٧، المجادلة ٨، الممتحنة ٨، الطلاق ٨، الفجر ٨، العلق ١٥، الإخلاص ٣، الزمر ٤٢ — ٤٧، غافر ٧٤ — ٥٨ — ٤٢ — ٢١، الدخان ٢١، الجاثية ٨، الأحقاف ١١ — ٣٥، محمد ١٥ — الفتح ١٢ — ٢٥ — ٢٧ — ١٢ — ١٤ — ١٥ — ١٥، النجم ٣٦، الرحمن ٥٦، المجادلة ٤ — ٨ — ١٢ — ١٣، الحشر ٢، الممتحنة ٨، الجمعة ٥، المنافقون ٦، الطلاق ٤، الحاقة ٢٥، نوح ٢١، المدثر ٤٥، الإنسان ١، النازعات ٤٦، البروج ١٠، الفجر ٨، البلد ٧، العلق ٥ — ١٥، البينة ١، الإخلاص ٣.
- (فلم) في: النساء ١٣، ٩٠، المائدة ٦، الأنفال ١٧، التوبه ٢٥، الكهف ٤٧، ٥٢ غافر ٨٥، التحريم ١٠، نوح ٢٥، ٦.
- (ولم) في: البقرة ٢٤٧ — ٢٨٣ — ٢٨٣، آل عمران ٤٧ — ١٣٥، النساء ١٥٢، المائدة ٢٧ — ٤١، الأنعام ٨٣ — ٩٢، الأنفال ٧٢، التوبه ٤ — ١٦ — ١٨، يوسف ٧٧، النحل ١٢٠، الإسراء ١١١، الكهف ١ — ٣٣ — ٤٣ — ٤٣، مريم ٤ — ٩ — ١٤ — ٣٢ — ٦٧ — ٩٤ — ١٢٧ — ١١٥ — ١٢٧، النور ٦، الفرقان ٢ — ٦٧، النمل ١٠ — ٨٤، القصص ٣١، الروم ١٣، الأحقاف ٣٣، النجم ٢٩، الممتحنة ٨٠، الحاقة ١٠ — ٤٤، المدثر ٢٦.
- (ألم) في: البقرة ٣٣ — ٣٣ — ١٠٦ — ٢٤٣ — ٢٤٣ — ٢٥٨ — ٢٣، آل عمران ٢٣ — النساء ٤٤ — ٤٩ — ٤٩ — ٥١ — ٥١ — ٦٠ — ٦٠ — ٩٧ — ٧٧ — ٧٧ — ١٤١، المائدة ٤٠، الأنعام ٦ — ١٣٠، الأعراف ٢٢ — ١٤٨ — ٦٣، التوبه ٦٣ — ٧٠ — ٧٠ — ٧٨ — ٧٨ — ١٠٤، يوسف ٨٠ — ٩٦ — ٩٦، إبراهيم ٩ — ١٩ — ٢٤ — ٢٨، النحل ٧٩، الكهف ٧٢ — ٧٥، مريم ٨٣، طه ٨٦ — ٨٦، الحج ١٨ — ٦٣ — ٦٣ — ٦٥، المؤمنون ١٠٥، النور ٤٣ — ٤١، الفرقان ٤٥، الشعراء ٤١ — ٢٢٥، النمل ٨٦، لقمان ٢٠ — ٢٩ — ٣١ — ٣١ — ١٨، فاطر ٢٧، يس ٦٠ — ٦٠.

الزمر ٢١ — ٧١، غافر ٦٩، الحديد ١٤ — ١٦، المجادلة ٧ — ٨، الحشر ١١،
التغابن ٥، الملك ٨، القلم ٢٨، نوح ١٥، القيامة ٣٧، المرسلات ١٦ — ٢٥ — ٢٠
النبا ٦، البلد ٨، الضحى ٦، الشرح ١، العلق ١٤، الفيل ١ — ٢ .
— (أسلم) في: يوسف ١٠٩، الرعد ٣١، طه ١٢٨، الحج ٤٦، المؤمنون، ٦٨، الفرقان
٤٠ ، سباء ٩، يس ٦٢، غافر ٨٢، فاطر ٣١، محمد ١٠ .
— (أولم) في: البقرة ٢٦٠، الأعراف ١٠٠ — ١٨٤ — ١٨٥، الرعد ٤١، إبراهيم:
٤٤، الحجر ٧٠، النحل ٤٨، الإسراء ٩٩، طه ١٣٣، الأنبياء ٣٠، الشعراء ٧٠ — ١٩٧ ،
القصص ٤٨ — ٥٧ — ٧٨، العنكبوت ١٩ — ٥١ — ٦٧، الروم ٨ — ٩ — ٣٧، السجدة
— ٢٧ — ٢٦، فاطر ٣٧ — ٤٤، يس ٧١ — ٧٧، الزمر ٥٢، غافر ٢١ — ٥٠، فصلت ١٥ —
٥٣، الأحقاف ٣٣، الملك: ١٩ .

(لما) الجازمة في القرآن الكريم :

- ١— (لما) الجازمة يمتد نفيها إلى زمن التكلم، وأما منفي (لم) فيحتمل الاتصال
قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَّ رَبِّ شَقِيًّا﴾، والانقطاع كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا
مَذْكُورًا﴾^(١١٩).
- ٢— لا تقع (لما) بعد أدوات الشرط ولا تسبقها^(١٢٠).
- ٣— يجوز حذف منفي (لما) في الاختيار^(١٢١).
- ٤— (لما) أبلغ في النفي من (لم) لأنها تدل على نفي الفعل متصلةً بزمن الحال فهي
نفي التوقع^(١٢٢).

والغالب في (لما) أن تستعمل في نفي الأمر المتوقع، تقول لمن يتوقع ركوب
الأمير قد ركب الأمير، أو لما يركب الأمير، أو لما يركب، وقد تستعمل في
غير المتوقع أيضاً نحو ندم زيد ولما ينفعه الندم^(١٢٣).

١١٩ — المغني ١: ٢١٨ — ٢١٩، الرضي ٢: ٢٣٤، البحر ٨: ١١٧ .

١٢٠ — الرضي ٢: ٢٣٤، المغني ١: ٢١٨، البحر ٢: ١٣٤ .

١٢١ — الرضي ٢: ٢٣٤، البحر ٢: ١٣٤، الإيضاح ٣١٩ .

١٢٢ — البحر ٢: ١٤٠ .

١٢٣ — الرضي ٢: ٢٣٤ .

- ٥— تدل (لما) على أن منفيها يقع في المستقبل عند الزمخشري ورد عليه أبو حيyan.
- ٦— وقعت (لما) بعد (بل) في قوله تعالى: ﴿بَلْ لَمَّا يَنْتُقُوا عَذَابٌ﴾^(١٢٤). وبعد (كلا) في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِي مَا أَمْرَهُ﴾^(١٢٥). وكانت جملتها صفة في قوله تعالى: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحُقُوا بِهِمْ﴾^(١٢٦). وجاءت حالاً في كل موقع (ولما).
- ٧— دخلت همزة الاستفهام على (لم) كثيراً في القرآن الكريم كما تقدم، ولم تدخل على (لما) وجاء ذلك في كلام العرب (اللما تعرفوا منا اليقينا).

الآيات التي وردت فيها (لما) الجازمة :

- ١— ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْذِكْرُ مِنْ بَيْنَنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابًا﴾^(١٢٧).
- ٢— ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحُقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١٢٨). في "اللما" لنفي ما يقرب من الحال بخلاف (لم) فلما يقم نفي لـ (قد قام زيد)، ولم يقم نفي لـ (قام زيد) لأن قام زيد فيه دلالة على القرب من الحال لمكان (قد)، جملة (لما يلحوظ) صفة لآخرين" ^(١٢٩).
- ٣— ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِي مَا أَمْرَهُ﴾^(١٣٠).
- ٤— ﴿أَمْ حَسِيبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مِثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(١٣١)، "ولما" فيها معنى التوقع، وهي في النفي نظيرة (قد) في الإثبات والمعنى أن إتيان ذلك متوقع متظر" ^(١٣٢).

١٢٤— ص. ٨ .

١٢٥— عبس. ٢٣ .

١٢٦— الجمعة. ٣ .

١٢٧— ص. ٨ .

١٢٨— الجمعة. ٣ .

١٢٩— البيان: ٢: ٤٢٧ ، الجمل: ٤: ٣٣٤ .

١٣٠— عبس. ٢٣ ، البيان: ٢: ٤٩٤ .

١٣١— البقرة. ٢١٤ .

١٣٢— في الكشاف: ١: ١٢٩ ، العكاري: ١: ٥١ ، البحر: ٢: ١٣٤ .

٥— ﴿أَمْ حَسِيْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾^(١٣٣) "وَ(الما)" بمعنى "لم" إلا أن فيها ضرباً من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى، وعلى توقعه فيما يستقبل^(١٣٤).

وفي البحر: "وهذا الذي قاله الزمخشري في (الما) أنها تدل على توقع الفعل المنفي فيما يستقبل، لا أعلم أحداً من النحويين ذكره، بل ذكروا أنك إذا قلت: لما يخرج زيد دل على انتفاء الخروج فيما مضى متصلناً نفيه إلى وقت الإخبار"^(١٣٥).

أما أنها تدل على توقعه في المستقبل فلا، لكنني وجدت في كلام الفراء شيئاً يقارب ما قاله الزمخشري، قال (الما) لتعريف وجود بخلاف (لم).

٦— ﴿بَلْ كَذَبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾^(١٣٦) "فإن قلت: ما معنى التوقع في قوله (ولما يأتهم تأويله)؟، قلت: معناه أنهم كذبوه على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل، تقليداً للأباء، وكذبوه بعد التدبر تمرداً وعناداً فذمهم بالتسريع إلى التكذيب قبل العلم به، وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه وإعجازه"^(١٣٧) وفي البحر: "ويحتاج كلام الزمخشري إلى نظر"^(١٣٨).

٧— ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ أَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِكُمْ﴾^(١٣٩). "وما في (الما) من معنى التوقع دل على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد"^(١٤٠).

٨— ﴿أَمْ حَسِيْتُمْ أَنْ تُتَرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾^(١٤١) "ولما معناها التوقع وقد دلت على أنها تبين ذلك وإيضاحه متوقع كائن"^(١٤٢).

١٣٣— آل عمران . ١٤٢

١٣٤— الكشاف : ١ ٢٢٠ .

١٣٥— ٦٦:٣ .

١٣٦— يوسم . ٣٩

١٣٧— الكشاف : ٢ ١٩١ .

١٣٨— ١٥٩:٥ .

١٣٩— الحجرات . ١٤

١٤٠— الكشاف : ٤ ١٧ .

١٤١— التوبية . ١٦

١٤٢— الكشاف : ٤ ١٤٢ .

المصادر والمراجع

- ١- ابن الأنباري، لأبي البركات، أسرار العربية، دراسة وتحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م.
- ٢- ابن جني، المحتسب، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م.
- ٣- ابن الشجري، هبة الله ، أمالى ، تحرير: د. محمود محمد الطناجي، القاهرة، مكتبة الخاجي، مطبعة المدنى، المؤسسة السعودية بمصر، ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.
- ٤- ابن عباد، عبادة، التبسيط في شرح جمل الزجاجي، تحقيق.
- ٥- ابن الوراق، علل النحو، تحقيق د. محمد جاسم، ومحمد الدرويش، مكتبة الرشيد، الرياض، ط١.
- ٦- ابن هشام، جمال الدين، شرح جمل الزجاجي، تحقيق د. علي محسن عيسى مال الله، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.
- ٧- ابن هشام، جمال الدين، مغني اللبيب، تحقيق د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دمشق، دار الفكر، ط٢، ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٤ م.
- ٨- الأزهري، خالد، التصريح بمضمون التوضيح، تحقيق د. عبد الفتاح بحيري، ط١، ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م.
- ٩- الأندلسي، أبو حيان، تفسير البحر المحيط، دار الفكر ، ط٢، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م.
- ١٠- البغدادي، خزانة الأدب، ط١، المطبعة الأميرية بولاق، مصر.
- ١١- جرجاني، عبد القاهر، المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق د. كاظم بحر المرجان، العراق، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٢ م.
- ١٢- الرمانى، أبو الحسن، معانى الحروف، تحقيق عبد الفتاح شibli، جدة، دار الشروق، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م.
- ١٣- الزجاجي، الجمل، تحقيق ابن أبي شنب، ط٢، ١٣٧٦ هـ، ١٩٥٧ م.
- ١٤- الزمخشري، أبي القاسم، الكشاف، دار الفكر ، ط١، ١٣٩٧ هـ، ١٩٧٧ م.



- ١٥— سبيوبيه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١.
- ١٦— صالح مصطفى، سعيد، رصف المباني في شرح حروف المعانى، دار ابن خلدون.
- ١٧— عبد الحميد، طه، البيان في غريب إعراب القرآن، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.
- ١٨— عطية، هادي، الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحوين والبلاغيين، ط١.
- ١٩— العكري، عبد الله بن الحسين، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق د. عبد الإله نبهان، دار الفكر، ط١، ١٩٩٥ م.
- ٢٠— المبرد، المقتصب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م.
- ٢١— المرادي، الجنى الداني، تحقيق د. فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم، دار الكتب بيروت.
- ٢٢— الهروي، محمد علي، الأزهية في علم الحروف، تحقيق محمد الملوحي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م.